

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٣/١٣/٩



كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني

(المتوفى بعد سنة ١٧٧٥ هـ / ١٢٧٢ م)

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية
من مخطوطة برلين و بانسكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

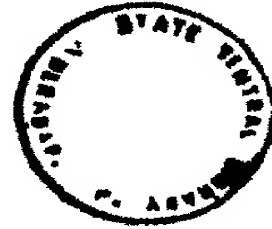
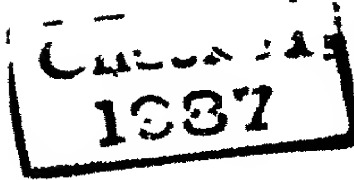
محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

طبعة مكتبة دار الكتب والخطوط العامة بمصر

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

٥٦٥٥٥

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٣/١٣/٩



كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الاحكام و الامور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني

(المتوفى بعد سنة ١٧٥٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية
من مخطوطة برلين و بانسكي پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محمد علي العباسي مدير دائرة المعارف العثمانية

مُطَبَّعٌ بِمَكْتَبَةِ دَارِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِإِسْكَانْدَرِيَّةٍ

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
All copyrights reserved.



محتويات الجزء الثالث من كتاب الإمام

موضوع	(محتويات)	صفحة
مقدمة الجزئين الثالث و الرابع		الف
تكملة مرثاة ابن أبى حجلة		١
السبع الموبقات		١٤
الستر على العباد		١٨
فائدة فى الذنوب		٢٣
الكبار و الصغار		٣٦
باب الزنا و الشهادة على الزانى		٤٢
عود إلى مرثاة ابن أبى حجلة		٥٩
بطرس لو سنيان و الثغور الإسلامية		٦٤
فى الرباط و المراقبة		٦٨
إشاعة الحملة على الإسكندرية سنة ٧٦٨		٧٨
مقتل بطرس لو سنيان سنة ٧٧٢		٨٢
الأشرف شعبان و حراسة الإسكندرية و دمياط		٨٦
عود إلى مرثاة ابن أبى حجلة		٨٨
مدينة صبة و خليجها		٨٩

كتاب الإمام	(محتويات)	ج - ٣
موضوع		صفحة
البحر الأعظم و كروية الأرض		٩١
الجواهر الأربعة و الأغذية		٩٣
جزر بحر الروم		٩٨
الحمام: منافعها و مضارها		١٠٠
ذكر الأغذية		١٠٢
عود إلى الحمام		١٠٤
عود إلى جزر بحر الروم		١٠٨
وصف مدينة رومة		١٠٩
مدينة قرقشونة		١١٢
قصة خرقه بنت النعمان		•
الحريز و أسماؤه و أنواعه		١١٣
تكلمة قصة خرقه بنت النعمان		١١٤
ذكر بعض مدن الفرنج		١١٨
جزيرة صقلية		١٢٠
قسطنطين بن هرقل		١٢١
عبد العزيز بن موسى بن نصير و ابنة لذريق		١٢٣
مدن بحر الروم و جزره		١٢٥
قصة يوشع بن نون		١٣٠
قصص عن زيد بن أسلم و أبي بكر الصديق		١٣٣
ب		لمع

كتاب الإمام	(محتويات)	ج - ٣
موضوع	صفحة	
لمع من أخبار أبي بكر و عمر و عثمان	١٤١	
عمر بن الخطاب و مناقبه	١٤٣	
خلافة عثمان بن عفان	١٤٦	
خلافة علي بن أبي طالب	١٥٣	
قصص و أخبار من عهد معاوية و يزيد	١٥٦	
موت الحسن بن علي	١٦٩	
في القطب و الأقطاب	١٧٠	
عود إلى جزر بحر الروم	١٧٣	
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة	١٧٤	
السلطان ابو الحسن علي بن يعقوب المربى	١٧٧	
ذكر الزراعة	١٨٢	
حروب أبي الحسن المربى و ابن الأحمر في الأندلس	١٨٣	
تبادل الرسائل و القذف بين الفنش و المربى	١٩٢	
غزوة الأندلس سنة ٧٦٨	١٩٨	
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة	٢٠٢	
قصة ملك قار و المهرج	٢٠٣	
عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة و عودة الأمير صلاح الدين		
ابن عرام سنة ٧٦٨	٢٠٨	
قصة يعقوب اليهودى مع بطرس لوسنيان	٢١٠	

كتاب الإمام	(محتويات)	ج - ٣
موضوع		صفحة
دخول يلبغا الخاسكى الإسكندرية		٢١٢
ولاية صلاح الدين بن عرام الثانية للاسكندرية		٢١٣
المراثى الأخرى للاسكندرية		٢١٦
عمارة الاسطول المصرى لغزو الفرنج		٢٣١
حدود مصر		٢٣٤
فى مصر النيل		٢٣٥
فى الخمسة الأنهار		٢٤٦
الفيوم		٢٤٨
فروع النيل		٢٤٩
فيضان النيل و المقياس		٢٥١
النهر فى اللغة و الأدب		٢٥٤
السماك المعروف بالأوال		٢٥٨
التمساح و آفته		٢٥٩
أنهار الأندلس		٢٦٠
الماء العذب و الملح		٢٦٢
ما قيل فى بحر النيل و أصوله		٢٦٣
عود لفيضان النيل و المقياس		٢٦٦
فى القناة		٢٦٨
حكاية جعفر البرمكى و الرشيد		٢٧٣
د	(١)	مصر

كتاب الإمام	(محتويات)	ج - ٢
موضوع	صفحة	
مصر في القرآن و ذكر من دخلها من الأنبياء و العلماء و غيرهم	٢٧٤	
قصة قتل ابن البقي سنة ٧١٨	٢٧٧	
من اخبار مصر	•	
من دخل مصر من الأنبياء	٢٨٠	
من دخل مصر من الصحابة	•	
من دخل مصر من العلماء	٢٨١	
من دخل مصر من الأولياء	٢٨٣	
احمد بن طولون و القاضي بكار	٢٨٥	
من دخل مصر من الأدباء	٢٨٨	
الاصمعي و الأعرابي و خبرا طبييتين	٢٩٠	
أفصح من سبحان وائل و أعيا من باقل	٢٩٣	
من أخبار الأمويين الأول و بعض الصحابة	٢٩٤	
خبر مسكين الدارمي	٢٩٩	
من أخبار القاضي التنوخي	٣٠١	
من دخل مصر من الحكماء	٣٠٤	
بعض ما قيل في الجن و الشياطين	٣٠٥	
خبر أمية بن أبي الصلت و الساحرة	٣٠٨	
سقراط و أرسطاطاليس و بطليموس من حكماء مصر	٣١١	
ما أحدثه حكماء الهند	٣١٣	

صفحة	موضوع
٣١٦	قارون و هامان و بخت نصر
٣٢١	الإسكندر و تأسيس الإسكندرية
٣٢٧	أخبار أهل الفترة
٣٣٢	ذكر ملوك مصر الكفار
٣٣٦	خبر نوح و الطوفان
٣٤٠	ملوك مصر القبط
٣٤١	فضائل مصر
٣٤٨	عن الإبل
٣٥٥	شجرة البلسان
٣٦٠	من عجائب مصر العرس
•	بجستان بعراق العجم
٣٦١	أول من ابتدع المساحة
٣٦٢	من عيوب مصر
•	عن الأهوية
٣٦٣	وصف مصر مدينة فرعون
٣٦٤	في موضوع اللعنة
٣٦٧	صفة دار فرعون و الهرمين



مقدمة

الجزئين الثالث والرابع

لأنه لمن دواعى غبطتنا أن نتقدم اليوم من جديد إلى قراء العربية بالجزئين الثالث والرابع من «كتاب الإمام» لأبى القاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى . وتمام نشر هذين الجزئين نختتم النص الكامل ٥ لمخطوطة برلين ، و نبتدئ مرحلة جديدة شاقة تشتمل على القسم الأخير من مخطوطة بانكى بور ، و يليها النص الكامل المطول لمخطوطة القاهرة التى لا بد من تقييم محتوياتها عن كثب لمعرفة صلاحية نشرها فى مجلدين آخرين على وجه التقريب .

و يلاحظ من الاطلاع على نص الجزئين الحاضرين طبعه ١٠ الاستمرار فى مادتهما مع الجزئين السابقين . و قد كان فى نيتنا طبع الجزئين الثالث والرابع فى مجلد واحد ، إلا أن طول النص بالإضافات التى أخذناها عن مخطوطة بانكى بور جعل ذلك أمرا صعب المثل مما حدا بنا إلى تقسيمهما . و سيجد القارئ أن موضوع حملة القبارصة على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ لا زال يشغل النويرى فى تعليقاته على بقية ١٥ مرثاة ابن أبى حجلة ، و كذلك فى عدد من الحكايات التى سردها عن مغامرات بعض الأسرى من أهل الإسكندرية - من عاد منهم و من لم يعد ممن قرر البقاء فى أرض النصرانية كقصة البنت المرتدة .

هذا وقد تصدى المؤلف أيضا في هذين المجلدين إلى عدد من الشئون التي يمكن الإمام بها من جدول محتويات الكتاب . وقد أخذنا هذه في كل من الجزئين عن رؤوس موضوعات الأبواب المختلفة التي اضطررنا إلى صياغتها من عندياتنا بين قوسين وأدخلناها في صلب الكتاب لتيسير مطالعته على القارى والباحث ، إذ أن المؤلف كتبته في أسلوب مرسل دون تبويب أو ترتيب ، فأصبح نشر النص على غرار الأصل جملة واحدة غير مستساغ .

و تتضح طبيعة المتفرقات التي جمع النورى شتاتها إلى جانب تاريخ الإسكندرية من نظرة عابرة على أبواب الكتاب ، من ذلك البيانات ١٠ الجغرافية عن الجزر والأنهار والمدن في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وقد حاولنا تحقيق بعضها ولم نحاول تحقيق البعض الآخر بما لم يرد في كتب الجغرافيا عند العرب ، وهى مادة جديدة تركناها لعلماء الجغرافيا التاريخية من المستشرقين . ومنها أيضا لمع في الأفلاك وكروية الأرض والاهوية وفلسفة الروح والنفس والعقل وظائف أعضاء الجسم ١٥ البشرى والأغذية وغير ذلك . تم إنه وصل فى معرض الكلام إلى الشرق الأقصى وملكة المهرج وبلاد القمار ، ويقال إنها بمنطقة اندونيسيا فى عصرنا هذا .

ولكن صلب المتن بقى قائما على موضوعين رئيسيين آخرين : أحدهما الأدب بما فيه الأدب الرفيع والأدب الشعبى الذى لم يتورع

الكاتب فيه من ذكر حكايات قد يمجها الذوق الحاضر لرقاعتها ولكنها بدون شك ناحية من نواحي الأدب التي أقبل الذوق الوسيط عليها . والشق الثاني هو التاريخي ، وربما كان أهم ما جاء فيه يتعلق ببعض حروب المسلمين في الأندلس والمغرب ، كما خصص المؤلف قسما من جهده لتاريخ مصر الإسلامية و لا سيما الجزء المعاصر لحياته النويري وفيه ٥ نبذ لها قيمتها الخاصة ، خذ مثلا عهد الناصر محمد من سلاطين المماليك ، وقد أورد فيه المؤلف المرسوم السلطاني الفريد الذي نقله المؤلف برمته في كتابه .

وفي كل هذه الحالات قننا بمقارنة دقيقة بين مخطوطتي برلين و بانكي بور ، يرى القارئ ثمرتها بجلاء في الحواشي الضافية ، كما ١٠ أننا ملأنا الثغرات التي سقط منها الكلام في مخطوطة برلين ووردت في بانكي بور و العكس بالعكس حتى يكتمل النص الأصلي بقدر الاستطاعة . و قد حاولنا الاحتفاظ بأسلوب المؤلف في جملته مع الاكتفاء بتصحيح الأغلاط النحوية الظاهرة و هجاء الكلمات حتى تصبح صيغة الكتاب مقبولة ، ولكننا أثبتنا في الحواشي جميع تلك المفارقات ١٥ كاملة . كذلك أدرجنا بالحواشي ما أمكن تحقيقه من الأماكن و تواريخ الخلفاء و السلاطين و الملوك و مكان الآيات القرآنية في سورها من المصحف .

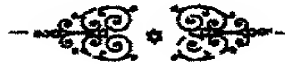
• رجاؤنا أن نكون بذلك قد قننا بواجبنا لأدبي في صدد نشر « كتاب الإمام » لأول مرة بكل ما حوى من الموضوعات ٢٠

المتفرقة في مختلف فنون الأدب و التاريخ و العلوم و القصص و غير ذلك مما جمعه مؤلفه من بطون الأصول الخطية العديدة التي كان ينسخها لأغنياء تجار الإسكندرية ، مضافا إليها المعلومات الفريدة التي سردها عن الإسكندرية كشاهد عيان في القرن الرابع عشر الميلادي .

عزيز سوريال عطيه

أستاذ التاريخ و اللغات بجامعة يوتا
بالولايات المتحدة الأمريكية

حيدرآباد الدكن بالهند
٣ نوفمبر سنة ١٩٧٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تكملة مرثاة ابن أبي حجلة ^١]

[١٥٤ : الف] ^٢ نعود إلى مرثية ابن أبي حجلة المتقدم أياتها في
وقعة ^٣ الإسكندرية :

و حَقَّ هذا من ذنوب تقدّمتْ و قرع كؤوس الخمر في الثغر بالشعر
في هذا البيت تويخ و تقريع لأهل الإسكندرية ، و تعريض لذكر
عيوبهم ، كأنه يقول : ما جرى عليهم الذي جرى من القتل و النهب
و الأسر إلا بذنوبهم التي اقترفوها فيما تقدم من الفساد و شرب الخمر
و غيرها . و من أين علم ابن أبي حجلة أن لكل أهل الإسكندرية ذنوبا
و عيوباً ؟ بل لا تخلو ^٤ الإسكندرية من الصالحين المتقين السليمين بما

(١) هذا العنوان غير موجود في الأصل ، و أضفناه كما أضفنا غيره من عناوين
الفصول المختلفة أيضا بين قوسين فيما يلي من هذا الكتاب ، و ذلك لتيسر متابعة
محتوياته حيث أن الأصول و ردت رسالة في الجملة بغير تبويب .

(٢-٣) الجملة في بن [١٠٣ : ب] : فلنرجع إلى ما قاله ابن حجلة في مرثيته
لأهل .

(٣) في الأصل و بن : ذنوب و عيوب . و قد صححت بقلم آخر في بر .

(٤) في بن : لا يخلو .

ذكره في هذا البيت . قال الله تعالى في خطابه لإبليس اللعين^١ : ” إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغوين^٢ “ . فعاده^٣ الصالحون المتقون المخلصون^٤ عاقبهم الله من الذنوب لحفظه لهم . وكان يفغى لابن أبي حجلة الصمت و السكوت^٥ عن هذا البيت سترًا على المسلمين الموحدين . فالمبتلى بها أمره راجع^٦ إلى الله تعالى ، والله تعالى يعفو أو يغفر ، إن ربك واسع^٧ المغفرة . ولو قدرنا أن لهم ذنوبًا كما ذكر^٨ فلسان حالهم يقول :

إن يكن^٩ هذا الذنب سابقًا^{١٠} قد جرى منا بجهل^{١١} و غرر
أو يكن منا إساءة^{١٢} بدت قاله العرش أولى من غفر

(١) قرآن كريم : ١٥ : ٤٢ .

(٢) في الأصل : الغاووين . وهي صحيحة في بن .

(٣-٤) في الأصل و بن : الصالحين المتقين المخلصين .

(٥) من بن ، و في الأصل : السكون .

(٦) ساقطة من بن .

(٧-٨) في بن مطموسة في ترميم الورقة .

(٩) في الأصلين : سابق .

(١٠) من بن ، وهي في الأصل : و جهل .

(١١) في الأصل و بن : إساءة - بالتاء المفتوحة ، والكلمة مصدر بالتاء

المربوطة .

فكان ينبغي له الصمت عن ' ذكر هذا البيت ' :

' في الصمت إلا في الخير '

كن صامتا حتى يقال كأما زبر الحديد على لسانك^٣ سُثِرَتْ
فاذا دعيتك إلى الكلام ضرورة فانطق^٤ بما خير الأمور تيسرت
و كان ينبغي لابن أبي حجلة سد خلل أهل الإسكندرية ، لأن ه
سد خلل المسلمين أحسن من إظهار عيوبهم . قال الحريري^٥ في ملحمة
الإعراب^٦ :

و إن تجدد عيا سد الخلالا فجَلَّ من لا عيب فيه و علا
و قال غيره :

لا تكشفن من عيوب الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويك^٧
فاذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيك^٨
و قال غيره :

المرء إن كان عاقلا ورعا يمنع عن عيوبنا ورعه
كالليل السقيم يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه^٩

(١ - ١) في بن [١٠٤ : الف] : ذلك . و بهامش بر : في الصمت .

(٢ - ٢) في بن : قال بعضهم في لزوم الصمت إلا في خير .

(٣) في بن : لسانه . و هي جائزة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) واردة في بن ، و ساقطة من بر .

(٦ - ٦) الأبيات كلها ساقطة من بر و واردة في بن و قد أخذناها عن الأخيرة .

و قال غيره :

إن كانت الأعضاء خالفت الذى أمرت به فى سالف الأزمان
فسلوا الفؤاد عن الذى أودعتموا^١ فيه من التوحيد والإيمان
تجدوه قد أدّى الأمانة فيهما فهبوا له ما حلّ فى الأركان
ذكر^٢ الأستاذ أبو القاسم^٣ القشبرى فى شرح الأسماء الحسنى له
عن ابن المنكدر قال : قلت فى الطواف : اللهم اعصمنى ، وأقسمت
على الله طويلاً ، فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول لى : أنت الذى قلت :
اعصمنى ؟ قلت : نعم ، فقال : إنه [١٥٤ : ب] لا يفعل . فقلت :
لِمَ ؟ قال : يريد أن يُعصى حتى يغفر .

١٠ وقال إبراهيم بن أدهم الكبير المقدار ، صاحب المقامات والأنوار :
مُطفت ذات ليلة بالبيت الحرام ، وكانت ليلة ممطرة كثيرة الظلمة ،
وقد خلى الطواف وطابت نفسى فوقفت عند الملتزم وقلت : اللهم
اعصمنى حتى لا أعصيك ؛ فهتف نى هاتف فقال : يا إبراهيم ! أنت سألتنى
أعصمك و كل عبادى يسألنى العصمة ، فإذا عصمتهم فعلى من أفضل
١٥ ولمن أغفر ؟

(١) فى بن : اودعتمهم .

(٢) فى بن : وذكر .

(٣) فى بن : القسم .

(٤) فى بن : قال .

(٥) فى بن : يسئلى .

وذكر أبو طالب المكي في كتاب قوت القلوب له عن سهل بن عبد الله التستري أنه كان يقول: العبد لا بد له من مولاه على كل حال، وأحسن حاله أن يرجع إليه في كل شيء، إذا عصي يقول: يا رب استر علي، فإذا فرغ من معصيته قال: يا رب تب علي، فإذا تاب قال: يا رب ارزقني العصمة. فإذا عمل قال: يا رب تقبل مني. ٥

وقال الجزولي في شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه: ينبغي للإنسان أن يتأول لآخيه المسلم ولا يسيء به الظن. قال الله تعالى: "ان بعض الظن اثم" ٢. ٣ وقد قال ٢ النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث» ٤. واعلم أن الإنسان مشتق من الظهور لقوله تعالى: "فان انستم منهم رشدا" ٥. أي فان ظهر لكم ١٠ منهم، كما سمي الجن جنا لاستتاره. وكما يقال يضرب على يد اليتيم حتى يستقيم. وقيل سمي الإنسان إنسانا لإنسانيته، كما سمي الوحش وحشا لتوحشه. وقيل مشتق من النسيان لأنه ينسى؛ وهذه المعاني كلها موجودة في الإنسان - انتهى.

نعود إلى ما جاء في فضل التستر على المؤمنين. قال النبي صلى الله ١٥

(١) في بن: للاسأ. وربما كانت النون مطموسة في ترميم الورقة.

(٢) قرآن كريم: ٤٩: ١٢.

(٣-٣) في بن: وقال.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥) قرآن كريم: ٤: ٦.

عليه وسلم : « من ستر عورة أخيه ، ستر الله عورته يوم القيامة » . و قال
 عمر رضي الله عنه : « لا تظن بأخيك سوءا و أنت تجد له في الخير »
 مسلکا . و قال عليه السلام : « لا تعجل^٣ على أخيك و أنت تجد له وجهها
 تدفع^٤ به عنه . و إياكم و التعنيف و أنتم تجدون سيلا إلى التخفيف ،
 ه فان الله عز وجل قد أعذر إلى خلقه^٥ و بالغ في العذر^٦ . و قال بعض
 أهل الصلاح : لا ينبغي للمؤمن أن يسي^٧ الظن بأخيه حتى يلتمس له
 سبعين مخرجا . و قيل لبعضهم : رأيت الذي يشهد فيه بالصلاح على باب
 الخانة واقفا . فقال^٨ : لعله وقف لأمر معروف و نهى عن منكر .
 فقيل له ليس هو ممن نُصب لذلك . فقال : و لعل له غريما تحصى بها .
 ١٠ فقيل له : ليس هو ممن يداين الناس . فقال^٩ : لو كان يداينهم لما اشتد
 طلبه ، وإنما تجددت عليه المداينة فتدم عليها فجاء في طلب الغريم .

(١) في بن : القيمة .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : لا لا تجمل .

(٤) في بن : قد وقع .

(٥) في بن : خالقه .

(٦) زيد في بن : و قال أبو الحسن المغربي : ارحم خليلي عباد الله فالحبة و النظر
 إليهم بعين اللطف والشفقة . . . و ارحم صغيرهم و راع في كل خلق الله من خلقه .

(٧-٧) الجملة مطموسة في بن في الترميم .

(٨) في بن [١٠٤ : ب] : قلى .

(٩) في بن : و قال .

قيل .

وقيل [١٥٥: الف] لبعضهم فلان الذي يُشْهَد فيه بالصلاح رأته اليوم
يقبَل امرأة في الطريق ، فقال : و لعلها من ذوات محارمه . فقيل له :
٢ و هل لا ٢ أمهلها حتى يجمعهما سائر ؟ فقال له : و لعله حلف لا يجمعهما
سائر . وقيل لآخر مثله فقال : و لعلها زوجته . فقيل له : ٢ و هل لا ٢
كان في ستره ؟ فقال : ٣ و لعل السفر ٢ أجمله عن ذلك ٤ . قال بعض ٥
الاشياخ : فاذا كان الستر مستنوبا و فعله مشروعا و مندوبا معمولا به
عند العلماء ٥ خاصة ، في حق المسلمين عامة ، فانه يتأكد في أهل الفضل
المشهود لهم بالخير في الأصل . و لقد أحسن القائل في وصف أحوال
الإخوان :

فمن كان ذا عذر قبلت اعتذاره و من لا له عذر فعندي له عذر ١٠
عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر
من أسلم بلسانه و لم يفيض الإيمان إلى قلبه ! لا تعيروا المسلمين و لا تسبوا
و لا تتبعوا عوراتهم ٦ ، و من يتبع الله عورته يفضحه ٧ و لو في
(١) من بن ، و في بر : فلانا .

(٢-٢) كذا في الأصل ، و ربما كان الأصوب قراءتها : و هلا .

(٣-٣) في بن : و لعله للسفر ثم .

(٤) زيد في بن : قيل له : ليس هو بمن يداين الناس . فقال : لو كان يداينهم
لما اشتد طلبه و إنما تجددت عليه المداينة . فندم بخفي طلب الغريم ، و قيل
لبعضهم فلان الذي يشهد فيه با و الجملة مكررة و مشطوبة .

(٥) في بن : العقها .

(٦) زيد هنا في بن : فان من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته .

(٧) في بن : يفضح .

جوف بيته . . وقال أبو سعيد الخزاز : استساراك لعيوب^١ الناس ذل لك لأن الله عز وجل ستر عباده بستره الجميل ، فمن تعرض لهتك ستره أذله الله في الدنيا ومقته في الآخرة .

واعلم أن الشفقة على خلق الله تعظيم^٢ لأمر الله^٣ ، والستر عليهم^٤ يرتجى به^٥ من الله^٦ ، لأن من ستر ستر^٧ ومن قهر قهر^٨ . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يستر عبداً إلا ستره الله يوم القيامة » . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان في^٩ بنى إسرائيل رجلان متآخيان^{١٠} أحدهما مجتهد والآخر مذنب ، فكان المجتهد يقول للمذنب : اقصر ، فيقول المذنب : خلّنى وربى ! فوجده المجتهد يوماً على عظمة ، فقال : اقصر ، فقال المذنب : خلّى ورنى أبعثت على رقيبا ؟ فقال : والله لا يدخلنك^{١١} الله الجنة ! فبعث الله ملك الموت فقبض أرواحهما . فقال الله عز وجل للمذنب : ادخل الجنة برحمتي^{١٢} ، وقال للمجتهد : أكنت قادرا على ما فى يدي ؟ أستطيع أن تمنع عبدى رحمتي ؟ أدخلوه النار .

(١) فى بن . بعيوب

(٢) فى بن : تعظيما .

(٣) زيد فى بن : تعالى .

(٤) زيد فى بن : الستر .

(٥) فى هامش بر : نكته .

(٦) فى الأصلين . متواخيان .

(٧) فى بن : يدخلك .

(٨) ساقطة من بن .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه
وآخريته » ذكره البزاز في سننه .

قال الشيخ أبو العباس المرسى في قوله سبحانه : " يوم تشقق السماء
بالغمام و نزل الملائكة تنزيلاً ه الملك يومئذ الحق للرحمن " . ولم يقل :
للقهار ولا للعزیز ، فلو قال : للقهار أو العزیز ، لم يطق ذلك العذاب ٣ وانفطرت ه
قلوبهم ففرق بهم أن قال : " الملك يومئذ الحق للرحمن " . وهكذا قوله :
" يوم نحشر المتقين الى الرحمن [١٥٥ : ب] وفداً " ، ولم يقل : للقهار
ولا للعزیز ، لأن الحشر و هول المطلع شديد فلاطفهم " في رحمانيته
في ظهور سلطان قهره ٦ . وقال أبو الحسن الشاذلي : من آمن بالله آمن
من كل شيء ، و من أسلم لله قل ما يعصيه ، و إن عصاه اعتذر إليه ، و إن
اعتذر إليه قبل عذره . و قال ابن عمر ٧ : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول « إن الله يدني المؤمن فيضع كنفه عليه و ستره . فيقول : أتعرف
ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ! حتى يقرره بذنوبه و رأى نفسه أنه

(١) زيد في بن : و تعالى . قرآن كريم : ٢٥ : ٢٥ و ٢٦ .

(٢) « للرحمن » ساقطة من بن .

(٣) في بن : العباد .

(٤) قرآن كريم : ١٩ : ٨٥ .

(٥ - ٥) في بن : برحمانيته .

(٦) في بن : قدرته .

(٧) زيد هنا في بن : رضى الله تعالى عنهما .

هـ . هلك ، قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، و قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يستر عبدٌ عبداً إلا ستره الله يوم القيامة » .
قال بعضهم : كنا قعوداً^٢ ببغداد عند^١ معروف الكرخي على الدجلة إذ مر بنا قوم أحداث في زورق يضربون بالدفوف و يشربون و يلعبون ، فقالوا -^٥ لمعرف : ما تراهم يعصون الله مجاهرين ؟ فهل لا دعوت عليهم ؟ فرفع يده و قال : إلهي ! كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة . فقالوا : أيها الشيخ ! سألناك أن تدعو عليهم فدعوت لهم . قال^٦ : إذا فرحهم^٧ في الآخرة تاب عليهم .

قال : بعض العارفين : إذا كان الحق سبحانه حرس السماء بالكواكب^{١٠} و الشهب كيلا يسترق^٨ السمع منها ، فقلب المؤمن أولى بذلك لقول الله سبحانه^٩ فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تسعني^{١١} أرضي

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) في بن [١٠٥ : الف] : القيمة .

(٣) في الأصلين : قعود .

(٤) في بن : مع .

(٥) في بن [١٠٥ : الف] : قليل .

(٦) في بن : فقال .

(٧) في بن : فرحوا .

(٨) في بن : يسترقوا .

(٩ - ٩) في بن : لقوله .

(١٠) زيد في بن : و تعالى .

(١١) في الأصل : لم يسعني .

ولا سمائي، ويسعني قلب عبدى المؤمن . فانظر رحمك الله هذا الأمر ^{الأكبر} الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه المرتبة أهلاً . ولقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى: لو كشف عن^١ نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع؟ قال بعض المريدين: صليت خلف شيخى صلاة، فشهدت ما أنهر عقلى، . ذلك أنى شهدت^٢ بدن^٣ هـ الشيخ والأنوار قد ملأته، وأنبتت الأنوار من وجوده حتى لم أستطع النظر إليه . فلو كشف الحق عن مشرفات أنوار قلوب^٤ أوليائه لانتوى نور الشمس والقمر من أنوارهم، الشمس يطرئ^٥ عليها الكسوف والغروب، وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب . ولذلك قال قائلهم:

إن شمس النهار تغرب فى الليل وشمس القلوب ليس تغيب ١٠

وكان كل خليفة ولى الخلافة ببغداد يرفع إليه حُرَّاس الدروب

فى كل صبيحة يوم ما يكون عندهم من أحوال الناس الصالحة والطارحة .

فلما ولى الظاهر^٦ الخلافة أمر^٧ بتعطيل ذلك^٨، وقال: أى فائدة فى كشف

أحوال الناس وإظهار أسرارهم؟ [١٥٦ : الف] فقل له: إن ترك ذلك

٥٧٣٦٦

(١) فى بن: من .

(٢) فى بن: وجدت .

(٣) فى بن: قلبى .

(٤) يطرئ فى الأصل بمعنى يطرأ وهى كذلك فى بن .

(٥) الخليفة العباسى وحكمه ٦٢٢ - ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦ م .

(٦ - ٦) فى بن: بتعطيل ذلك كله .

يفسد الرعية ، فقال : نحن ^١ ندعو ^٢ الله لهم أن يصلحهم . وأرسل إلى القاضي عماد الدين عبد القادر الحنبلي بعشرة آلاف دينار يقضى بها ديون من في سجونه الذين لا يجدون وفاء ، وفرق في العلماء بقية المائة ألف دينار . ولأمره بعض الناس في هذه الأفعال فقال : نحن فتحنا ^٥ الدكان بعد العصر فذروني ^٣ أعمل صالحا ، فكم مقدار ما بقيت أعيش . وكان بويع بالخلافة وعمره يومئذ اثنان وخمسون عاما ^٤ فلم يَلْ ^{١٠} الخلافة من بني العباس أسنّ منه . ولم تزل سيرته محمودة حتى توفي رحمه الله تعالى ، ورخصت الأسعار في أيامه بعد غلاء كبير ^٦ ، أكلت الناس فيه الكلاب ببلاد الجزيرة والموصل ^٧ ، فزال ذلك عن الناس بخلافته . فانظر إلى حس خلق هذا الخليفة كيف كان يحسن إلى الناس ويسترهم ! يرجو بذلك الشفقة على عباد الله والرحمة لهم ، لأن من رحم العباد رحمه ^٨ رب العباد ^٨ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الراحون

(١) في بن : ان نحن .

(٢) في الأصل « ندع » مصححة بقلم آخر إلى « ندعو » وهو الصواب ، وفي بن : ندعوا .

(٣) في بن : فدعوني .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في الأصلين : يلى .

(٦) في بن : كثير .

(٧) في بن : و بالموصل .

(٨-٨) في بن : الله تعالى .

يرحمهم الرحمن ' ، . قال عامر الدوسي : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد التفت عليه فقال : يا رسول الله ! مررت بغيسة ثجر فسمعت أصوات أفراخ ، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي ، فجاءت أمهن فاستدارت علي رأسي ، فكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن ، فلففتهن في كسائي فهم هؤلاء معي . فقال : هـ ضعنهن . فوضعتهن وأبت أمهن إلا لزومهن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحمة أم الأفراخ بفراخها ؟ قالوا : نعم ! قال : والذي نفسي بيده ٣ الله أرحم بعباده ٣ من أم الأفراخ بأفراخها ، ارجع حتى تضعهن من حيث أخذتهن و أمهن معهن . فرجع بهن كما أمره . ذكره أبو داود في سننه ، فانظر إلى شفقة النبي صلى الله عليه وسلم في ١٠ قوله : ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن .

و من علامات خلق النبي صلى الله عليه وسلم إشفاقه أيضا على أهل الكبار من أمته وأمره إياهم بالتستر ، فقال : من بُلى بهذه القاذورة فليتستر - يعني المحرمات . و عتب النبي صلى الله عليه وسلم على ماعز لما حرضه على إشهار نفسه عنده باقراره بالزنا ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ١٥ عليه وسلم برجمه بعد أن قال له : أهلك جنون ؟ قال : لا . ولا خلاف

(١) زيد في بن : تبارك و تعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

(٢) في الأصلين : يرسل .

(٣-٣) في بن : لله بعباده أرحم .

(٤) في بن : ففراخها . و بقية الجملة مطموسة في ترميم الوردية .

بين العلماء في إلزام المقر ما أقرب به ما لم يمنع من ذلك مانع . ولما قيل
لنبي صلى الله عليه وسلم : إن ما عزا فر من الرحم فتبعناه إلى أن قتلناه
بالحجارة ، فقال : ^١هل لا ^١أتيتموني به ؟ وأمر أمته أن [١٥٦ : ب]
يستغفروا للحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه وسبوه ولعنوه ^٢ .
ه فقال : قولوا : اللهم اغفر له وارحمه ! وقال لهم في رجل كان ^٣ كثيرا
ما يؤتى به سكرانا بعد تحريم الخمر ، فلعنوه مرة ، فقال : لا تلعنوه فانه
يحب الله ورسوله . فأظهر لهم خبيثة قلبه لما رصوه بظاهر فعله لأن
حبة من مواجيد القلوب خير من قراريط من أحوال النفوس ، و حبة
من أحوال النفوس تنشأ عن أصل معرفة من القلوب خير من قراريط
من أعمال الأبدان ، وإما ينظر الله إلى القلوب ، و خبيثاً رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوته ليقى له عمل يعمل به يوم القيامة لم يبق ^٤
لآدمي سواه . فقال : اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

[السبع الموبقات - ^٥]

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا
١٥ السبع الموبقات ^٦ . قيل : يا رسول الله ^٧ ! وما هن ؟ قال : الشرك بالله

(١-١) اعلمه « هلا » .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) ساقطة من برو واردة في بن .

(٤) في الأصلين : لم يبق .

(٥) العنوان غير وارد بالنص وقد أخذناه عن الهامش .

(٦) في الهامش : السبع الموبقات .

(٧) في الأصلين : يرسل .

و السحر و قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق و أكل مال اليتيم و أكل الربا و التولي يوم الزحف و قذف^١ المحصنات - خرجه مسلم . و عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر قال : الشرك بالله و عقوق الوالدين و قتل النفس و قول الزور .

عن عبد الله^٢ بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هـ قال : إن من الكبائر شتم الرجل والديه . قالوا : يا رسول الله ! هل يشتم الرجل والديه . قال : نعم ، يسبّ أبا الرجل فيسب أباه و يسب أمه فيسب أمه . و سيأتي ما قيل في الكبائر والصغائر إن شاء الله تعالى . و قال^٣ النبي صلى الله عليه وسلم : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . يحكى^٤ أن أعرابيا أتى مسجد^٥ النبي صلى الله عليه وسلم فأناخ راحلته ١٠ باب المسجد و جاء بين يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم^٦ ، فقال منشدا : يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

(١) في الأصل : و قتل . صححت إلى « وقذف » و في الهامش : صواب

« وقذف » . وهي كذا في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : يرسل .

(٤) في بن : قال .

(٥) في بن : حكى .

(٦-٧) الجملة مكررة في بن .

نفسى القداء لقر أنب ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم التفت الأعرابي لقرانى الذى صلى الله عليه وسلم فقال : بأى أنت
و أمى يا رسول الله ١ خصك الله يا رسول الله ٢ وأنزل عليك كتابا
جمع لك فيه خير الأولين والآخرين ، قُلْتَ عر الله فسمعنا قولك ،
وَوَعِيَّتَ عن الله فوعينا عنك ، وكان بما أنزل عليك "و لو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما" ٣ ، وقد أتيتك تائبا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربى ! فتودى من
القر أن الله قد غفر لك .

قال المؤلف : عمر الله له و لوالديه وللاقرين إليه و لجميع المسلمين :
١٠ وقعت على آيات فيها زيادة على بيتى الأعرابى [١٥٧ : الف] فأحببت
ذكرها هنا - ٤ - وهى .

أقول و الدمع من عيني ينسجم لما رأيت جدار القبر يستلم
و الناس من حوله باك و منقطع من المهابة أو داع فملتزم
٦ فما تمالك أن ناديت من حرق ٦ في الصدر ٧ كادت بها ٨ الأجساد تضطرم

(١) فى بن : إلى قبر .

(٢) فى الأصلين : يرسل .

(٣) قرآن كريم : ٤ : ٦٤ .

(٤-٤) فى بن : رحمه الله .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) مطموس فى الترميم .

(٧-٧) فى بن : و الصدر .

(٨) فى بن : به .

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
 أنت النبي الذي ترحى شفاعته
 'الولاك ما خلقت شمس ولا قر
 مسمى المداء لقبر أنت ساكنه
 وفيه شمس التقي^٢ والدين قد غربت
 حاشا^٣ لوحهك أن يلى وقد هدبت
 لئن رأيناه قبرا إن باطنه
 طافت به من حوالى^٤ ملائكة
 لو كنت أبصرته حيا لقلت له
 لقيت ربك والإسلام صارمه
 اقممت فيه مقام المرسلين إلى
 فطاب من طيهن القاع والآنم
 عند الصراط إذا ما زلت القدم
 ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
 فيه العفاف وفيه الجود والكرم
 من بعد ما أشرقت من نوره الظلم^٥
 في الشرق والغرب من أنواره الأمم
 لوروضة من رياض الخلد^٦ تنقسم
 تغشاه في كل ما^٧ يوم وتزدحم
 لا تمش^٨ إلا على خدى لك القدم
 ماض وقد كاد^٩ جيش الكفر يصطدم^{١٠}
 أن عز^{١١} فهو على الأيادي يحتكم^{١٢}

(١-١) هذا البيت ساقط من برو ووارد في بن [١٠٦: الف]

(٢) في بن : التقا .

(٣) في بن : حاشى .

(٤) في بر : الخلد . وصحته في بن .

(٥) في الأصلين : حواليه . ولا يستقيم بها الوزن .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصل : لايمشى - كذا .

(٨) في بن : كان .

او يروى أن أعرابيا سمع ابن عباس وهو يقرأ "و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها" . فقال الأعرابي ٣ : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يعيدهم فيها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه - انتهى .

(الستر على العباد)

٥

نعود إلى ذكر فضل الله وكرمه وستره على عباده المؤمنين فله

(١) زيد هنا في بن : و اعلم أن الله تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للذين "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" (قرآن كريم : ٤٧ : ١٩) والفاسق مؤمن بدليل قوله تعالى "وإن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن نكت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي" (قرآن كريم : ٤٩ : ٩) سماه مؤمنا حال كونه باغيا وقال "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى" (قرآن كريم : ٢ : ١٧٨) سماه مؤمنا حال ما قتل الناس بغير الحق فثبت بهذا أن الله تعالى أمر محمدا أن يستغفر للفاسق فإذا طالب محمدا صلى الله عليه وسلم المغفرة للفاسق فلا بد أن يريد ألا يردده الله عن مطلوبه بل يقبل شفاعته وإذا ثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ذلك وجب أن يرضيه الله تعالى بذلك كقوله تعالى "و لسوف يعطيك ربك فترضى" (قرآن كريم : ٩٣ : ٥) ويلزم من مجموع ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقبل شفاعته محمدا صلى الله عليه وسلم في حق الفساق .

(٢) قرآن كريم : ٣ : ١٠٣ .

(٣) في بن : للأعرابي .

(٤) في بن : نكدهم .

الحمد والشكر دائماً على إنعامه^١ اعلم أن معنى^٢ الحمد في اللغة الثناء على
المحمود بحمیل صفاته و أفعاله^٣ والشكر و الثناء^٤ على^٥ إنعامه . فكل شكر
حمد و لا ینعکس . و قيل إن كل واحد منهما عام من وجه ، خاص
من وجه ، لأن الحمد لا يكون إلا باللسان ، والشكر يكون^٦ باللسان وغيره .
قال الشاعر :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
والحمد والمدح معناهما واحد وإن افرقا من جهة أن الحمد
خاص بأولى العلم ، والمدح يكون لأولى العلم وغيرهم^٧ - انتهى^٨ .
نعود إلى ذكر كرم الله و ستره على عباده . ورد في الحديث

(١) زيد هني بن : فلنذكر ما قيل في الحمد والشكر .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : وفعاله .

(٤) كذا في بن و في الأصل : عليه .

(٥) زيد في بن : قال بعض العلماء في صدر كتابه : الحمد لله بلا ابتداء الأخير
بلا انتها ، أحمد على حله بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته ، وصلى الله على محمد النبي
الكرام و الشافع المقرب ، الذي بعث آخره و اصطفى أولا ، وجعلنا من أهل
طاعته و عتقنا بشفاعته .

عن أنس بن مالك^١ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 « لو لم تذبوا لذهب الله بكم و أتى بقوم يذنبون و يستغفرون فيغفر لهم » .
 و خرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 [١٥٧ : ب] « و الذي نفسى بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم و لجاء
 ٥ ب قوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » . و قال صلى الله عليه وسلم : « ما أصرَّ
 من استغفر و لو عاد في اليوم سبعين مرة » . و قال صلى الله عليه وسلم :
 « من أذنب ذنبا فلم أن الله قد اطلع عليه كُفِّر له و إن لم يستغفر » .
 و قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه^٢ : العجب من يهلك و معه النجاة .
 قيل : و ما هو ؟ قال : الاستغفار . و قال الفضيل بن عياض : قول العبد :
 ١٠ أستغفر الله - يعنى أقلنى^٣ . و لما دخلوا إخوة يوسف عليه و هو قاعد
 على سرير ملكه و على وجهه البرقع المكلل بأنواع الجواهر - فعرفهم

(١) زيد بن : رضى الله عنه .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) تلى الجملة هنا في بن زيادة من ٦٤ سطرا [١٠٦ : ب - ١٠٧ : الف] كلماتها الأولى
 مطموسة في الترميم و البقية تتكون من عبارات فيها ما هو مفهوم و ما هو
 غير مفهوم ، و الظاهر أن ناسخ بر تجاوز عنها و أسقطها لهذا السبب و لقلة
 فائدتها في خدمة النص ، و قد اقتفينا أثره في ذلك فرفعناها من هذا الهامش .

(٤) في بن الواو ساقطة من « و لما » .

(٥) في بن : اللؤلؤ و الجواهر .

ولم يعرفوه نقر صواعه الذهب^١ و أدناه إلى أذنه لسمع طنينه ، فقال لهم : إن هذا الصواع يخبرني أنكم طرحتم أخاكم في البئر ثم أخرجتموه و بعتموه بثمن بخس . فأنكروه و قالوا : لم تفعل ، لعل الملك قد^٢ سمع غلطا . فأخرج الكتاب الذي كتبوه يوم يعه لمالك بن دعر و فيه خطوطهم ، فقال : هذا الكتاب وجدته في خزاتي و هو مكتوب^٣ بالعبرانية ، فقرأوه^٤ و فسروه لنا . قال فأخذه يهودا و نظر فيه ، ثم قال لآخيه روييل : أتعرف خطك ؟ فلما نظر إليه روييل داخلهم الجزع و بهتت أبصارهم و خرسست ألسنتهم ، فقال لهم يوسف : ما لكم صمتهم ؟ فقالوا : أيها الملك نعم^٥ هذا كتاب كتبناه^٦ لعبد بعناه كان لنا . قال : فأخبروني ما فيه . فقرأه عليه روييل . فقال يوسف : ويحكم^٧ لقد جئتم^٨ بما لا يليق بكم ، فلو كنتم كما تقولون ما ارتكبتم مع^٩ صغيركم^{١٠} ما ارتكبتم . ثم نقر الصواع^{١١} و أصغى بأذنه إليه و قال : إن الصواع

(١) زيد في بن : الذي يكل به البر في زمن الغلا فادناه .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : فقرأوه .

(٤-٤) في بن : نعم أيها الملك .

(٥) في الأصلين : من .

(٦-٦) الجملة مطموسة بالترميم في بن .

أخبرني^١ أن أحاكم الذي تزعمون موته حتى^٢ وأنه سيرجع فيخبر الناس بصنيعكم معه . ثم نقر الصواع وقال : يقول هذا إنكم أذنبتم هذا الذنب وما زلتم مصرين لم تتوبوا ولم تستغفروا الله لأصيرنكم نكالا للعالمين ، ولا ذيقنكم وبال أمركم ، على^٣ بالحدادين^٤ حتى أقطع أيديكم وأرجلكم .
 ٥ فلما سمعوا ذلك ضاق ذرعهم وأسألوا دموعهم وخضعوا . فقال لهم يهودا : ما حذرتكم منه يوم فعلتم بأخيكم ما فعلتم وقلت لكم إن الله عز وجل بالمرصاد لا يترك ظلم العباد ، فكيف يكون حال ذلك للشيخ الضعيف يعقوب إذا وصله فقد أولاده جميعا وقد أصابه ما أصابه لفقد واحد ، فتوبوا إلى الله واعترفوا بين يديه وأشهدوا هذا الملك الجليل قدره على أنفسكم بالتوبة ، فلعل الله تعالى أن يجعل لكم في قلبه شفقة ورحمة ، فإن الله أرحم الراحمين . قال : فبكوا جميعا وقالوا : اعترفنا بذنوبنا وتبنا مما كسبت أيدينا ، ولئن من^٥ الله [١٥٨ : الف] علينا برجوع^٦ أخينا يوسف^٧ إلينا لتكونن ترابا لقدميه ، ولنقبلن رأسه ويديه . فلما سمع يوسف مقالتهم وتوبتهم ورأى حالهم قاضت عيناه بالدموع
 ١٥ وقال : إلى كم أقلق^٨ قلوب إخوتي ؟ إنما كانت حرصى على توبتهم

(١) في بن [١٠٧ : ب] : يخبرني .

(٢) في الأصليون : حيا . وهي مصححة في بر بقلم آخر .

(٣) في بن : بالجرادين .

(٤-٤) في بن : يوسف أخينا .

(٥) في : اقلقك .

و زوال الإصرار من قلوبهم ، فأمر أن يخلى سيلهم و ينصرفوا^١
 لايهم .^٢ فلنذكر الآن أدعية المذنبين المتضرعين لرب العالمين^٣ ،
 و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ارحم من هتك الستور ، و عاتق
 الفجور ، و لم يراقبك^٤ يا غفور . و^٥ قال بعضهم^٦ في المعنى :
 و كم زللت و لمه أذكرك في زللي و أنت يا سيدى فى الغيب تذكرنى
 و أكشف الستر جهلا عند معصيتى و أنت يا سيدى بالغيب تسترنى
^٦ قال النبى صلى الله عليه و سلم : « لا يرين أحدكم من أخيه عورة
 فيسترها إلا دخل الجنة » . و قال صلى الله عليه و سلم : « أمتى هذه أمة
 مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة » . و قال عقبة بن عامر : سمعت
 رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : « من وجد مسلما على عورة فستره^٧
 فكأنما أحيى مؤودة من قبرها ، و من ستر مسلما ستره الله^٨ » .

فائدة [فى الذنوب - ٢]

تشتمل على أنس لقلوب المؤمنين المذنبين ، و هى أن زليخا لما^٩

(١) فى بن : ينصرفون

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن و يكتمل بها السياق .

(٣) فى بن : براعيك .

(٤-٤) فى بن : و كان بعضهم يقول .

(٥) فى بن : فلم

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) ما بين الحازين فى العنوان غير وارد بالأصل و أضفناه .

(٨) ساقطة من بن .

علمت أن النسوة يلبنها في حبها ليوسف عليه السلام احتالت لعذرها ،
فابتلى بها إياهم لما كانت منها حتى صيرن^١ لسان الملامة لسان العذر
و السلامة . فكذاك الله عز وجل لما لامت الملائكة نبي آدم بالمعاصي
وترك الأمر و ارتكاب النهي^٢ ، و ركب فيهما الشهوات و إنهاء زمام
ه الآفات ، فرجعوا عن لسان الملامة إلى لسان الاستغفار . قال الله عز وجل^٣
في صفتهم^٤ : « يسبحون بحمد ربهم و يؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا » .
و قال النبي صلى الله عليه و سلم فيما يروى عن الله عز وجل^٥ : « يا عبادي !
إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم » .
^٦ عن أبي هريرة^٧ عن النبي صلى الله عليه و سلم فيما يحكى عن ربه
١٠ عز و جل أنه قال : أذنب عبد^٨ ذنبا فقال : أي رب اغفر لي ذنبي .
فقال الله تعالى : « أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب^٩ و يأخذ

(١) في الأصلين : صرن .

(٢) في بن : المنهى .

(٣ - ٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : وصفهم .

(٥) قرآن كريم : ٤٠ : ٧ و يلاحظ أن « و يؤمنون به » ساقطة من الآية
في الأصلين .

(٦) في الهامش : فوائد في الذنوب . وهي بقلم غير قلم المخطوط .

(٧ - ٧) في بن : روى عن أبي هريرة رضى الله عنه .

(٨) في بن : عبدى .

(٩) في بن : الذنوب .

بالذنب^١ . ثم أذنب فقال مثل ذلك ، ثم أذنب فقال مثل ذلك ، ثم أذنب فقال مثل ذلك . فقال الله تعالى : « اعمل ما شئت فقد غفرت لك » - أخرجه البخارى و مسلم .

قال الشيخ أبو العباس المرسى هذا الحديث عظيم الموقع في الدين ، كثير النور و البركات ، فتح باب الرجاء بسبيل الخيرات ، شرح الله تعالى بنوره الصدور ، و يشر بوجوده الأمور ، و سكن به قلوب الخائفين ، [١٥٨ : ب] و جبر به كسر المذنبين ، و سهّل به الأسباب ، و فتح به بواسع فضله و عظيم مغفرته كل باب ، فله الحمد على ما وفق و هدى ، و منح و أعطى .

اعلم أن هذا العبد صار قلبه لا يألف الذنب و لا يقر عليه ، بل كل ١٠ ما قوى قلبه بنار المعصية^٢ و عاود التوبة و لم ينحقد أصلا في قلبه عقدة^٣ إصرار ، و هذا حال من أحوال التوبة شريف ، و سلوك لأهل الآذواق لطيف ، و هو حال حسن للتائبين ، و منزل معلوم للسالكين . فلما علم الله تعالى أن هذا عبد ليس له على ذنب قرار بل كل ما لم يذنب عاود^٤ التوبة و الاستغفار ، قيل له : اعمل ما شئت^٥ إذا ، فانك إن قضى^٥ عليك ١٥

(١) في بن : الذنوب .

(٢-٢) مطموسة في بن في الترميم .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن [١٠٨ : الف] : عاد .

(٥-٥) في بن : فاني لن أقضى .

بذنب تبت إلينا ، و عاودت أبواب كرمنا ، و نحن أيضا أجرينا عوائد^١
 كرمنا أن من تاب إلينا قبلناه ، و إن عاود^٢ في كل يوم مائة مرة جبرناه ،
 فأنت كلما وقعت في الذنوب و العصيان ، و راجعت التوبة فتحنا لك
 باب العفو و الغفران ، يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل و النهار ، و أنا أغفر
 ٥ الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، فاعمل ما شئت ! فانك بتوفيقنا يُفتح
 لك باب المتاب ، و أنا بسابق كرمي و عظيم إحساني أغفر لمن تاب و أتاب .
 و قال أنس بن مالك^٣ : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم
 يقول « قال الله تعالى : يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني و رجوتني إلا غفرت
 لك على ما كان منك ، و لا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء
 ١٠ ثم استعصرتني . غفرت لك يا ابن آدم ! لو أتيتني بتراب الأرض خطايا
 ثم لقيتني . لا تشرك بي شيئا لأتيتك بسترها مغفرة .^٤ قال الشيخ
 محي الدين النووي^٥ معناه ما يقارب ملامها .

قال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قاعدا
 متفكرا في ذنوب أمته و خطاياهم فأشقى لذلك . فبينما هو كذلك إذا

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : عاد .

(٣) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٤) ساقطة من برو واردة في بن .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) ساقطة من برو واردة في بن .

بطائر منظوم بالدرو والياقوت من أحسن الطير خلقا قد وقع بين يديه ،
 فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب من حسنه و صورته ، ثم
 أن الطائر طار حتى أتى البحر و كشف الله عن بصره حتى رآه ، فأتى
 جزيرة من الرمل فصار يأخذ بمنقاره من الرمل ويرمى في البحر زمانا ،
 ثم طار حتى وقف بين يديه و قال : السلام عليك يا رسول الله ! قال : ه
 و عليك السلام أيها الطائر ! فقال : ألا تسألني : من أين جئت ؟ ولِمَ فعلت
 ما فعلت ؟ قال : رأيته قد ٢ وصلت البحر و رأيته تأخذ الرمل بمنقارك
 و ترميه في البحر . قال : نعم ، أردت أن أرد جرى ماء البحر و أطمس
 أمواجه بما أخذته من الرمل ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 فقال : ما [أضحكك - ٣] ؟ أضحك الله سنك ! قال : عجبت من حسن عقلك وكيف ١٠
 تقدر [١٥٩ : الف] أن ترد ماء البحر بما تأخذه بمنقارك من الرمل . فقال :
 إن الله عز و جل ضربني لك مثلا حين علم ما خطر بالك ، و الذي بعثك
 بالحق ! ما ذوب أمتك في سعة عفوه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره و يجعله
 في البحر - ذكره صاحب كتاب الغرائب و إظهار العجائب .

و قال المضيل بن عياض : يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة ١٥
 « بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت توبتهم ، و حذر الصديقين إن وضعت

(١) في بن : أتى .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد من بن ، و قد سقط من بر .

عليهم عدلى عذبتهم . قال ^١ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : من ذكر خطيئة ألم ^٢ بها فوجل منها قلبه مُحييت عنه فى أم الكتاب . قال الله تعالى : " وإنى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى ^٣ " . قال الشيخ أحمد بن الجُلا : لو أن رجلا عصى الله ^٤ "عز وجل" بين يدى بمعية ثم استتر عني بهذا العمود - و كان مستندا إلى عمود - لم يسعنى فيما بينى وبين الله ^٥ أن أعتقد فيه مارأيت عليه لأنه يمكن أن يكون تاب حين استتر عني . و التوبة رجوع إلى الله ^٦ بعد الفرار منه . و يروى أن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة ، فأظهره إلى يوم القيامة ^٧ ، فقال : لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ^٨ ، فقال الله سبحانه و تعالى : " و عزنى

(١) فى بن : و قال .

(٢) فى بن : اثم .

(٣) قرآن كريم ٢٠ : ٨٢ .

(٤) زيد فى بن : تعالى .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : القيمة .

(٧) و ردت العبارة من هنا إلى « فلا يزال » فى بن مع بعض الزيادة على الوجه التالى : و قال : « فبعزتك لا غوينهم إجمعين ، استثنى المخلصين عن إغوائه و إضلاله فوسوسة إبليس وصلت إلى المخاصين و إبراهيم و إسحاق و يعقوب كانوا من المخلصين . قال الله تعالى « إنا اخلصنهم بخالصة ذكرى الدار » [قرآن كريم ٣٨ : ٤٦- وفى الأصل بياض] . و قال فى حق يوسف إنه من عبادنا المخلصين . فالذين =

و جلالى لا.....'عنه التوبة ما لم يغفر . و قال ابن الجون^٢: إن الرجل ليحدث الذنب فلا يزال نادما حتى يموت فيدخل الجنة ، فيقول إبليس: يا ليتنى لم أوقعه فيه! و قال^٣ سفيان بن عيينة: لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله قد استجاب دعاء شر الخلق و هو إبليس، قال: رب فانظرنى الى يوم يعيشون، قال: فانك من المنظرين، و قال سفيان^٥ ابن عيينة أيضا: يستحب للرجل^٣ أن يقول فى دعائه: اللهم استرني بسترك الجميل . و معنى الستر الجميل أنه يستر على عبده فى الدنيا و يستر عليه فى الآخرة من قبل أن يوبخه عليه . و قيل الصبر* الجميل الذى لا جزع فيه = لم يتبعوا إبليس هم الأنبياء عليهم السلام [هنا كلمات مطموسة بالترميم فى آخر ١٠٨: الف تم يستأنف الكلام بعدئذ فى ١٠٨: ب] فدل هذا على أن الأنبياء ما أدنوا البتة وأجمعت الأمة على أنهم معصومون من الكفر والبدعة . قال ابن الجوزى: يحدث الذنب لا يزال - الخ .

(١) بياض بالأصل (بر) و لعل العبارة كما فى بن (انظر الحاشية السابقة) .

(٢) و امل صحته كما فى بن « ابن الجوزى » (انظر حاشية سابقة) .

(٣-٣) وردت العبارة فى بن كما يلى: و قال سفيان بن عيينة (!) لا يمنع

أحدكم الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله قد استجاب من شر خلقه و هو إبليس .

قال رب فانظرنى ان يوم يعيشون . قال فانك من المنظرين . و قال سفيان

ابن عيينة (!) أيضا للرجل أن يقول - الخ .

(٤) فى الهامش بالأصل (بر): الستر الجميل .

(٥) فى بن: الستر .

ولا شكوى لأحد من المخلوقين ١ . وقال الله تعالى : " إن الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ٢ " . معناه إذا تاب عليه قبل الموت فلم تضره
الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لا يضره ٣ الكفر بعد الإيمان . وقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ، والتائب
من الذنب كمن لا ذنب له » . وقال عليه السلام : « الشاب التائب حبيب الله ،
والشيخ التائب عتيق الله ، ويكون من الذين يدل الله سيئاتهم حسنات » .

(١) زيد في بن : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يرين أحدكم من أخيه عورة
فيسترها إلا دخل الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم : هذه أمة مرحومة لا عذاب
عليها في الآخرة . وقال ابن الجوزي : يا أرباب القلوب القاس
. روح الله يا أهل الخوف من عواقب الذنوب ، طيبوا قلوبكم إنه من عمل
منكم شرا له ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ، حلوا عقدة ،
الإصرار بظل خيط القول (كذا) قلوبكم على أصل الطهارة ، وإنما تشبهت به
أنجاس المعاصي فأصابها رشاش فاعسلوها بيسير من مياه العيون وقد طهرت - انتهى .
قوله تعالى : انه يحب التوابين - الخ .

(٢) قرآن كريم : ٢ : ٢٢٢ .

(٣) في بن : يضر .

(٤) في الأصل (بر) كلمة « قبل » رائدة ولا وحود لها في بن وهو الصواب .

(٥) زيد في بن ، قال الأصمعي : سمعت أعرابيا وهو يطوف بالبيت يقول : اللهم
اغمر لي ما سلف من ذنوبي فإن عدت لشيء منها فعد عليّ برحمتك فانك أهل
ذلك يا إلهي .

واعلم أن التوبة فرض على جميع المؤمنين لقوله تعالى : " وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون " . [١٥٩ : ب] وقوله تعالى : " ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون " . وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس ! توبوا إلى الله ٣ فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة . " وفيه أيضا عن عبد الله بن مسعود قال ٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دونه مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهب فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال : أرحع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام فيه حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه ، فالتفت إليه فرحا ١٠ بتوبة العبد المؤمن من هذا براجلته . " وفي البخاري عن أبي هريرة ٧ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إني لأستغفر الله

(١) قرآن كريم : ٢٤ : ٣١ .

(٢) قرآن كريم : ٤٩ : ١١ .

(٣) زيد بن : جميعا .

(٤) في بن : دونه .

(٥) في الأصل (بر) : ذهب . وصوابها في بن كذا .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد بن : رضي الله تعالى عنه .

وأتوب إليه^١ في اليوم^١ أكثر من سبعين مرة^٢ . لا يقال : إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته كان بسبب^٣ ذنب ، فإن عصمته من ذلك لا شك فيها ولا ريب . وقد اختلف المحققون من العلماء الاختيار في سبب كثرة الاستغفار ، فقال بعضهم : سببه فترات وغفلات^٤ عن الذكر . الذي كان دأبه ، فكان^٥ يستغفر الله تعالى من تلك الغفلات . هذا ضعيف ، وإما كان صلى الله عليه وسلم يترقى في كل يوم فيجد^٦ . 'مضى تقصيرا' منه^٧ وليس ذلك تقصيرا^٨ منه صلى الله عليه وسلم . وقيل كان سببه^٩ ما اطلع عليه من أحوال أمته وما يكون بعده ، فكان يستغفر الله تعالى لهم . وقيل كانت دعواته وتعوذاته^{١٠} وتضرعاته . ١٠ . واستغفاره قياما^{١١} بحق وظيفة^{١٢} العبودية واعترافا بحق الربوبية لتقتدى به أمته صلى الله عليه وسلم ، فتستجاب دعوتهم وتقبل توبتهم . وقيل كان ذلك لمعنى لطيف أشار إليه بعض الفضلاء وهو استدعاء محبة الله تعالى .

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) في بر : سبب . وصوابه كذا في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤ - ٤) العبارة ساقطة من بن « ويتلوها بياض في الأصل (بر) .

(٥) في الأصل (بر) : سبب . وصحته في بن .

(٦) في بن : والتعوذ .

(٧) في بن : قائما .

(٨) في بن : وضيعة .

قال الله تعالى: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" ^١ . قال بعض المشايخ: غفلتك عن التوبة لذنب ارتكبته شر من ارتكابه ، ومن اخترمته المنية قبل التوبة فأمره إلى الله . فان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم .
 ٣ وقيل التوبة تأتي ٣ ما لم يبلغ الروح الحلقوم ، فاذا مات ^٢ غلق عليه ^٣ باب التوبة ، حيث لا ينفع نفسا ^٤ إيمانها ^٥ لم تكن امنت من قبل ^٥ أو كسبت في إيمانها ^٦ خيرا . وقال الفضيل ^٧ بن عياض: لما عاين قوم يونس العذاب قام رجل منهم فقال: اللهم! إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله . فكشف الله [١٦٠ : الف] عنهم العذاب . قال الله تعالى:
 ١٠ والاقوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ^٨ ومتعناهم إلى حين ^٩ . قال ابن عطاء الله في كتاب لطائف المسنين إن الفضيل بن عياض كان يقطع الطريق نخرج ذات يوم وإذا هو بقوم سفارة ومعهم ملح فسمع بعضهم يقول: جدوا السير لئلا يلقانا الفضيل

(١) قرآن كريم : ٢ : ٢٢٢ .

(٢) في بن : لأن الله تعالى يحب المتطهرين .

(٣-٣) في بن : ووقت التوبة يأتي .

(٤-٤) في بن : غلق .

(٥) في الأصليين : نفس .

(٦) الكاتب هنا يقتبس من القرآن الكريم : ٦ : ١٥٨ .

(٧-٧) مطموسة في بن .

(٨) قرآن كريم : ١٠ : ٩٨ .

ابن عياض يأخذ ما معنا ، فاعتم الفضيل لذلك و تفكر و قال : تخافى الخلق بهذا الخوف العظيم ! فتقدم إليهم و سلم عليهم و قال لهم و هم لا يعرفونه : تكونون^١ الليلة عندي و أنتم آمنون من الفضيل . قال : ففرحوا و استبشروا و ذهبوا معه ، فأنزلهم و خرج يطلب علقا فسمع ه قارئا يقرأ "الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق^٢" . فصاح الفضيل و خرق ثيابه و قال : بلى قد آن قد آن ! و كان هذا أصل توبته . و صار من الفضيل ما صار من العلم و الزهد و الورع و الأخذ منه ، و مناقبه مشهورة . و سأذكر^٣ شرح حاله فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

١٠ و يروى عن عبد الله بن سلام قال : لا^٤ أحدثكم بشيء إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل . إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين . و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد ذنبا فعلم أن له^٥ ربا يأخذ بالذنوب و يغفر الذنب يقول الله تعالى : يا عبدى ! اعمل ما شئت فقد غفرت لك » .

(١) في بن : تكونوا .

(٢) قرآن كريم ٥٧ : ١٦ .

(٣) في بن : و سيأتى .

(٤) في بن : إلا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) من بن ، و هى ساقطة من بر .

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصر من استغفر و لو عاد في اليوم سبعين مرة » . و في سنن أبي داود و ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق ^١ فرجا و من كل هم ^٢ مخرجا و رزقه من حيث لا يحتسب ^٣ » .

٥

(١) في بن : هم .

(٢) في بن : ضيق .

(٣) زيد في بن : [١٠٩ : الف - ب] : و قال الله تعالى : « و من يعمل سوء او يظلم نفسه ثم يستغفر الله ينج الله غفورا رحيم » و من يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه « (قرآن كريم ٤ : ١١١) و الاستغفار طلب المغفرة و طلب المغفرة ليس نفس التوبة فصرح سبحانه و تعالى في تلك الآية بأنه سواء تاب او لم يقب فاذا استغفر غفر له و لم يقل في جانب المعصية و من يكسب اثما فانه ينج الله معذبا معاقبا بل قال فانما يكسبه على نفسه ، فدللت هذه القنبيها على أن جانب الحسنه راجع عند الله تعالى (كلمات مطموسة بالتوريم) احسنتم لانفسكم و ان اساتم فلها فكأنه تعالى بالغ في إظهار أفعاله الحسنه (توريم بآخر الصفحة انطمس به آخر السطور ثم تلاه في ١٠٩ : ب ما يلي) إساءته لم يذكرها إلا مرة واحدة و كل ذلك يدل على أن جانب الحسنات راجع و قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » (قرآن كريم ٦ : ١٦٠) ثم إنه تعالى زاد على العشرة فقال : « كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة » ثم زاد عليه « والله يضاعف لمن يشاء » . و أما جانب السيئة فقال : « من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » و هذا تنبيه على أن جانب الحسنه راجع على جانب السيئة .

و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! لا تجعلني من أشقياء خلقك
 المدنيين عدك ، و لا أَخْيَبَ الراجين إليك ، و لا أَحْرَمَ الآملين
 لرحمتك . قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : الناس على ثلاثة أقسام :
 قوم غلبت حسناتهم سيئاتهم فهم في الجنة قطعا ، و قوم تساوت حسناتهم
 و سيئاتهم فلا يدخلون النار قطعا . و قوم غلبت سيئاتهم حسناتهم
 فلا يخلدون في النار قطعا . قال الشيخ أبو محمد المرجاني : يحشر الناس
 يوم القيامة على قسمين : مؤمن و كافر ، الكافر إلى النار ، و المؤمن
 ينقسم قسمين : مُصَرٍّ و غير مُصَرٍّ . فالغير مُصَرٍّ إلى الجنة ، و المصر
 ينقسم قسمين : مصر على الصغائر ، و مصر على الكبائر ؛ فالمصر على
 ١٠ [١٦٠ : ب] الصغائر إلى الجنة ، و المصر على الكبائر ينقسم على
 قسمين : فاعل بها مادم عليها إلى الجنة ، و الغير نادم عليها أمره إلى الله
 تعالى يفعل به ما يشاء و هو أرحم الراحمين .

[الكبائر والصغائر - ١]

و سأذكر^٢ أيضا ما قيل في الكبائر والصغائر^٣ إن شاء الله تعالى .
 ١٥ اعلم أن الكبائر الشرك بالله تعالى و الإلحاد و الدعة و قتل النفس بغير

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) العنوان غير وارد بالنص على ما ذكرناه في الحاشية الأولى من هذا
 الجزء و أحدهما عن الهامش .

(٣) في الهامش : مطلب في معرفة الكبائر و عددهم . وفي بن : فلذكر الآن
 ما قيل - الشيخ .

(٤-٤) ساقطة من بن .

حق و الزنا و اللواط و قذف المحصنات و المحصنين بالزنا و عقوق الوالدين
المسلمين بقول أو فعل و الفرار من الزحف رجل من رجلين في الحرب
و أكل مال اليتيم ظلماً و شهادة الزور و أكل شهر ٢ رمضان عامداً
و مقاطعة الرّحيم و اليمين الفاجرة : أخذ أموال الناس ٣ من أى جهة
كان و من سرق في ميزان أو نقص في كيل ٤ أو ميزان ٥ و تقديم الصلاة ٥
بغير أوقاتها و ضرب المسلم بغير حق ٦ و شتم أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم متعمداً ٧ و تقديم على بن أبي طالب على أبي بكر و عمر و عثمان
رضى الله عنهم و من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم متعمداً و كتمان
الشهادة من غير عذر و أخذ الرشوة و القيادة ٨ بين الرجال و النساء و السعاية
عند الظالم و السحر و منع الزكاة و ترك الأمر بالمعروف و النهي عن ١٠
المنكر مع القدرة و الوقعة في أهل العلم و إحراق الحيوان بالنار و امتناع
المرأة من زوجها بلا سبب و الكذب و الغيبة و النميمه و الكبر

(١) في بن : و أكله .

(٢) في بن : أيام .

(٣) ريد في بن : ظلماً .

(٤) في بن : مكيال .

(٥) « أو ميزان » ساقطة من بن .

(٦) في بن : الحق .

(٧) في بن : معتمداً .

(٨) من بن ، و في بن : القيادة .

و العجب و الحقد و الحسد و الغل و البغى و السرقة و الهزؤ و الربا و شرب الخمر . و قد قيل^١ ليس فى المعاصى الفرعية معصية هى أشد من معصية الربا . روى أن رجلا رأى سكرانا ينط^٢ فى ضياء القمر و يقول : آخذك يا قمر آخذك يا قمر - يكررها ، فحلف الرجل حين رآه على هذه الحالة أنه لا معصية أشد من شرب الخمر ، ثم أتى مالكا^٣ فسأله عن يمينه التى حلفها ، فقال له مالك : أرى أن تحنث فانى لم أجد فى كتاب الله عن رجل أعظم إثما من آكل الربا^٤ . قال الله تعالى ” فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله و رسوله “^٥ و لم يقل ذلك فى غيره . عن أنس ابن مالك قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر الربا و عظم شأنه و قال : ” إن الدرهم يصيبه^٦ الرجل من الربا أعظم عند الله عز و جل فى الخطيئة من ست^٧ و ثلاثين زنية يزنيها الرجل ، و أربا الربا عرّض الرجل المسلم . و أما الزنا فقال ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير أن عبد الرحمن بن الصامت أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : جاء الأسلمى إلى نبي الله صلى الله عليه و سلم فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما ،

(١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : انه .

(٣) زيد فى بن : رضى الله عنه .

(٤) فى هامش الأصل : الربا .

(٥) قرآن كريم ٢ : ٢٧٩ .

(٦) فى بن : يصيب .

(٧) من بن ، و هى فى بر : ستة .

[١٦١ : الف] قال ذلك أربع مرات ، كل ذلك يُعرض عنه النسي
صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُنِكِّتَهَا ؟
قال : نعم ، قال : حتى غاب ذلك منك في ذلك كما يغيب المروء في
المكحلة أو الرشا في البئر ؟ قال : نعم ، قال : وهل تدري ما الزنا ؟
قال : نعم ، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا ، قال : فما
تريد بهذا القول ؟ قال : أن تطهرني ؛ فأمر به فرُجم . وسمع النبي صلى الله
عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه : انظر هذا الذي
ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِمَ الكلب . فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهما ثم سار حتى مر بحيفة حمار شائلا رجله فقال :
أين فلان وفلان ؟ قالوا : نحن ذا^١ يا رسول الله^٢ ! قال : أنزلا فكلنا من
حيفة هذا الحمار ! فقالا : يا بنى الله خفر الله لك ! ومن يأكل من هذا ؟
قال : بما نلتما من عرض أخيكما آتفا شر^٣ من أكل منه ، والذي نفسي
بيده ! إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها . رواه أبو داود عن الحسن
ابن علي الحلواني . و الأسلي المتقدم ذكره هو ماعز بن مالك - انتهى .
* نعود إلى ما قاله أبو صالح عن أبي طالب المسكي في الكبائر ١٥

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : يرسل .

(٤) في بن : أشر .

(٥) من هنا إلى « قال » في بن : فلنذكر الآن ما قيل في الكبائر . وفي =

و الصغائر . قال : الكبائر النطق باللسان و الإعمال بالجوارح و هما مجتمعان في بى آدم أربعة في الرأس و ستة في اللسان و اثنان في اليدين و أربعة في البطن^١ و اثنان في الفرج و اثنان في الرجلين و واحدة في جميع الجسد . أما التي في الرأس فالشرك بالله و الأمان من مكر الله و القنوط
 ٥ من رحمة الله و الإصرار على الذنب : و أما التي في اليدين^٢ فالسرقة و قتل النفس التي حرم الله . و أما التي في اللسان فقذف المحصنات و أيمان الغموس و شهادة الزور و الغيبة و النميمة و السحر . و أما التي في البطن فشرب الخمر و أكل الحرام و أكل الربا و أكل أموال اليتامى ظلماً .
 و أما التي في الفرج فالزنا و اللواط . و أما التي في الرجلين فالفرار من الزحف إذا كانوا مثلي عدد المسلمين و المشي إلى ما لا يحل . و أما التي في جميع الجسد فعقوق الوالدين .

و الصغائر^٣ أولها النظر بالعين إلى ما يجوز النظر إليه ، و اللس باليد ، و الغيبة بالمسلمين ، و الظن بالسوء ، و الحسد ، و الكذب ، و الضحك بلا عجب^٤ ، و الأكل^٥ من غير^٥ جوع . و الكذب الذي ليس فيه

= هامش بر : مطلب الكبائر .

(١) في بن : الباطن .

(٢) قدم ناسخ بن العبارة المتعلقة باللسان على التي تتعلق باليدين .

(٣) في الهامش : الصغائر .

(٤) الأغلب أن صحة الجملة : و الضحك بلا سبب .

(٥-٥) في بن : بلا .

ضرر على المسلم ، و السماع و الغناء ، و قعود الجنب في المسجد بغير عذر ،
 و من هجر أخاه فوق ثلاثة أيام ، و السكوت عند من اغتاب مسلماً ،
 و البكاء عند المصيبة ، و لطم [١٦١ : ب] الخدود ، و الجلوس في مجلس
 الفاسقين مؤنساً لهم ، و صلاة النافلة في 'أوقات النهي عنها' ، و الشراء و البيع
 في المساجد ، و إدخال الصبيان و المجانين في المساجد ، و إضاعة المال ، ه
 و إذا صلى بقوم و هم له كارهون ، و العبث في الصلاة ، و إذا تكلم
 و الإمام يخطب يوم الجمعة ، و إذا تخطى^١ رقاب الناس في المسجد ،
 و إلقاء النجاسة على سطح المسجد و على طريق المسلمين ، و كشف العورة
 في الحمام ، و السجود لغير الله تعالى^٢ ، و إذا نام^٣ مع ولده فوق سبع
 سنين ، و قراءة القرآن جُنباً أو حائضاً . روى^٤ عن الأوزاعي في ١٠
 قول الله عز و جل : " لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها^٥ " . قال
 الصغيرة التبسم و الكبيرة القهقهة - يعنى^٦ أن القهقهة من الكبائر - انتهى .

(١ -) في بن : الاوقات المنهية .

(٢) في بن : تخطا .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : والد .

(٥) في بن : و روى .

(٦) قرآن كريم ١٨ : ٤٩ .

(٧) عبارة « يعنى ان القهقهة من الكبائر » ساقطة من بن .

(باب الزنا و الشهادة على الزانى)

نعود إلى قول ابن أبى حجلة أيضا ١ :

و حَقَّكَ هَذَا مِنْ ذُنُوبٍ تَقَدَّمَتْ

الذنوب تشتمل على الزنا وغيره ، فالزنا إذا ثبت بالإقرار و الشهادة
 ٥ أو الحمل ^١ حُدَّ الزانى و الزانية ، و إذا لم يثبت بذلك ^٢ كان على قاذفهما
 الحدّ ، و ما يطلع عليه أربع شهود فى الزنا لا يكون إلا فى غاية
 الظهور ، و هذا أقلّ ^٣ ما يحكى أن زنا يثبت بشهادة أربعة ، و إما الواقع
 ثبوته بالإقرار و الحمل ، و ذلك لأن الزنا يلحق العار العظيم بالقبائل
 ٢ فبالغ الشرع فى إخفائه ، فالأولى ^٤ الستر على فاعله .

١٠ قال العلماء : و يستحب للمسافر إذا قرب من وطنه أن يبعث أمامه
 من يخبر أهله بقدمه كيلا يقدم عليهم بغتة فهى السّنة . و اعلم أنه
 من رأى رجلا يزنى بامرأة و رأى ذكره سالكا فى فرجها كالمرود
 فى المكحلة أو كالرشا فى البئر إن شهد بذلك بمفرده ^٥ حُدَّ القذف
 لانه ربع النصاب ، و كذلك لو شهد بذلك شاهدان ^٦ و ثلاثة و امتنع
 ١٥ الرابع ^٧ حُدَّ الثلاثة ، كامتناع زياد بن أبيه من الشهادة ^٨ على المغيرة بن

(١) سافطة من بن .

(٢-٢) العبارة مطموسة بالترميم فى بن .

(٣) فى الأصلين : شاهدين . و الكلمة صححت بقلم غير قلم الكاتب فى بر .

(٤) من بن ، و فى بر : حدوا .

(٥) فى الهامش : حكاية لطيفة تتعلق بالشهادة على المغيرة بن شعبة بالزنا .

شعبة ، فخذ^١ الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بالزنا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه و سقط حد الزنا عن المغيرة . و ذلك أن عمر بن الخطاب^٢ رضي الله عنه^٣ لما ولي^٤ أبا موسى^٥ الأشعري البصرة أمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة منها لما^٦ شهد عليه أبو بكر بالزنا ، و ذلك أن أبا بكر لما قدم على عمر سمع صوته ، فقال : أبو بكر ؟^٧ قال نعم^٨ ،^٩ قال : لقد جئت بشرًا ، قال : إنما جاء به المغيرة بن شعبة ، ثم قص عليه أن المغيرة أتى أم جميل امرأة^{١٠} من بني هلال و كان لها زوج قد هلك قل ذلك يقال له [١٦٢ : الف] الحجاج بن عتبة^{١١} ، فكان المغيرة يدخل عليها ، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه ، فخرج المغيرة يوما من الأيام حتى دخل عليها و قد وضعوا له الرصاص ، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعا^{١٢} فكشفوا الستر فأروه قد واقعها ، فقدم المغيرة على عمر فدعى بالشهود فشهد أبو بكر^{١٣} و معبد بن شبيب^{١٤} الجهني و نافع بن عبيد أنهم رأوا ذكره

(١) من بن ، و في بر : فخذوا .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٤) في الأصلين : أبو موسى ، صححت إلى « أبا » بقلم غير قلم الكاتب في بر .

(٥) في بن : حين .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : عقبة .

(٨) في بن : أبو بكر .

(٩) في بن : شهيل .

في فرجها كالمرود في المكحلة ، وكان المغيرة لما قدم على عمر قد تزوج امرأة من بنى مُرة ، فقال له عمر إنك لفارغ القلب ، ثم شهد الشهود الثلاثة على المغيرة بالزنا ، ولم يكن زياد بن أبيه حاضرا ، فلما حضر لتكميل الشهادة قال له المغيرة : ٣ اتق الله في أمري ١ فانك لو كنت بين بطني و بطنها ما رأيت فرجي ٤ سالكا في فرجها ، فسأل عمر زيادا بما ذا يشهد ، فقال : رأيت القس العالى و الاضطراب و رجلاها على كتفيه كأذن حمار ، و ما أعلم ما وراء ذلك . قال عمر : الله أكبر ١ و أسقط الحد عن المغيرة لأجل التقاصر في الشهادة عن عدد الأربعة . وكان عمر قال للمغيرة بعد شهادة أبي بكر : ذهب ربعك يا مغيرة ١ فلما شهد ١٠ الثانى قال : ذهب نصفك ، فلما شهد الثالث قال : ذهب منك النصف والربع ، و توقف الأمر على شهادة زياد حتى يكمل نصاب الشهادة فيرجم المغيرة* لإحصائه . و الإحصان أن يتزوج الرجل امرأة تكاحا صحيحا و يطأها ٦ وطئا مباحا . فلما توقف زياد عن عدم ٧ رؤية فرجه في فرجها حد

(١) في الأصلين : وقد . و تستقيم العبارة بحذف واو العطف .

(٢) زيد في بن : لما .

(٣) زيد في بن : يا زياد .

(٤) في بن : ذكرى .

(٥) زيد في بن : بالحجارة حتى يموت .

(٦) في بن : و يطؤها .

(٧) زائدة في بن .

عمر الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة حد القذف ١ . فقال المغيرة لهم ٢
عند ذلك : الحمد لله الذى أخزاكم . فقال عمر : أخزى الله مكانا
رأوك فيه ٣ .

سئل بعض المفتين عن محسن خلا بأجنبية فاستمتع بها غير الفرج
والدبر فما يجب عليه ؟ فقال : هذا إذا ٢ لم يظهر أمره فليستر نفسه ٥
وليتب إلى الله توجهها وليجتهد فى العمل الصالح الذى يمحو به السيئات ،
فإن لم يفعل ذلك استحق عقوبة بليغة - والله أعلم ٦ . والإحصان أن
يتزوج امرأة نكاحا صحيحا ويطؤها وطئا صحيحا ، فإن زنى ٧ بعد ذلك
وجب عليه الحد ، و حدّه الرجم إلى أن يموت . وكذلك المرأة المحصنة
إن زنت رُجمت إلى أن تموت .

١٠

(١) فى الماشى بخط غير خط ناسخ « بر » ما يلى : ذكر النووى فى تهذيب
الأسماء والألقاب أن المغيرة كان عاقدا نكاحه سرا على المرأة المرقومة لأمر
اقتضته المصلحة فى شأنه ، وكان عمر لا يقبل نكاح السر ، فشهد من شهد بحق
على حسب ما رأى . والحال أن المغيرة كانت المرأة فى عقده ، ولم يجسر على
إظهار ذلك بين يدي أمير المؤمنين سيدنا عمر لعلمه عدم قبوله ذلك بحسب
اجتهاده ، فالصحابة جميعا رضى الله عنهم عدول لا سيما أبوبكرة و نافع .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد فى بن : انتهى .

(٤) فى بن : يمحي .

(٥-٥) فى بن : علم .

(٦) زيد فى بن : بالصواب .

(٧) من بن ، و فى بر : زنا .

و اعلم أنه لا يجب على الشارب أو الزاني إذا تاب تسليم نفسه
 للقصاص ١ . بل الأولى له الستر على نفسه لقوله صلى الله عليه وسلم :
 « أيها الناس ! قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله ، من أصاب من هذه
 القاذورة ٢ شيئاً فليستر بستر الله فإنه من [١٦٢ : ب] يبد لنا ٣ صفحته
 ٥ 'ثم' عليه كتاب الله ، - خرّجه مالك في موطنه * . قال ابن الموان في
 شاهدين نقلا عن أربعة أنهم أشهدوهم ٦ بأن فلانا زنى فلم يحد الناقلان ٦
 عنهم حتى قدم الأربعة فأنكروا أن يكونوا أشهدوهم بذلك ، فان الأربعة
 ٧ يحدون لأن محصول شهادة الناقلين تضمنت أن الأربعة ٧ قذفوا هذا
 الرجل بالزنا . قال أبو عبيد الله محمد بن عبد السلام قاضي الجماعة
 ١٠ بتونس ٨ في شرحه الذي وضعه على مختصر ابن الحاجب في الفقه : إن ٩
 يئنة الزنا شرطها أربعة ذكور مجتمعين غير متمرقين يشهدون بزنا واحد
 و رؤية واحدة أنه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة ، فطلب

(١) في بن : لقصاص .

(٢) في بن : القاذورات .

(٣) في بن : يبد .

(٤) في بن : ققم .

(٥) في بن : موطنه .

(٦-٦) مطموسة بالترميم في بن . وفي الأصل (بر) : زنا - مكان : زنى .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن [١١١ : الف] : بمدينة تونس .

(٩-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

الشرع في شهود الزنا ما لم يطلب في غيره من الحقوق والحدود .
 قيل وإنما ذلك لقصد الستر ودفعاً للعار الذي يلحق الزاني والمزني بها
 وأهلها ، واكتفى^١ في القتل بشاهدين وإن كان القتل أعظم جرماً
 من الزنا ، ودل قوله تعالى "والتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا
 عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت^٢" على طلب^٣ ٥
 العدد الخاص في الشهادة . و المنسوخ من هذه الآية هو الحبس في
 البيوت ، وذلك قوله تعالى^٤ في آية القذف "والذين يرمون المحصنات
 ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة"^٥ ، وقوله "لو لا جاءوا
 عليه بأربعة شهداء فإن لم ياتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون"^٦ .
 وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة^٧ قال سعد بن عباد : يا رسول الله !
 لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسه حتى آتي بأربعة شهداء ! قال رسول الله

(١) كذا في بن : وهي في بر : واكتفا .

(٢) قرآن كريم : ٤ : ١٥ .

(٣) في بن : غلب .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) قرآن كريم : ٢٤ : ٤ .

(٦) قرآن كريم : ٢٤ : ١٣ .

(٧) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه .

(٨) في الأصلين : يرسل .

صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا^١ ما يقول سيدكم^٢ إنه لغيور وأنا أخير^٣ منه والله أخير مني » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إني لغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليغار^٤ ومن غيرته حرّم القواحيش ما ظهر منها وما بطن » .

٥ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي ! كى غيورا ، فإن الله يحب الغيور » . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن^٦ المؤمن يغار ، فنسب الغيرة إلى الإيمان بقوله « إن المؤمن يغار » والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل الرجل على زوجته الرجال ولا تخرج هي^٦ إلى الأسواق . قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بنته فاطمة : أى شيء خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى رجلا ولا رجل^٧ يراها . فضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه^٨ وقال : « ذرية بعضها من بعض^٩ » واستحسن قولها - انتهى .

(١) زيد في بن : يا أصحاب لى .

(٢) زيد في هامش بن : أراد بالسيد سعد بن عبادة وهو رئيس قومه .

(٣) زيد بين سطور بن : أى لم أتركه حتى يكون مساء ولم أمهله .

(٤) في الأصلين : اسره .

(٥-٥) في بن : وقال صلى الله عليه وسلم .

(٦) زائدة في بن .

(٧) في الأصل : رجلا . والكلمة صححت بقلم آخر ، وهى زائدة في بن .

(٨) قرآن كريم : ٣ : ٣٤ .

[١٦٣ : الف] نعود - ولا خلاف في طلب الأربعة في شهادة الزنا، ويجوز للعدل الذي تقبل شهادته أن ينظر إلى عورتى الرجل والمرأة في الزنا وإلى الصفة لستم الشهادة بشرط أن يكون معه ثلاثة غيره وكلهم عدول، لأن من لا تقبل شهادته فلا فائدة في نظره ' فيبقى نظره على وجه التحريم ولا ينظر العدول إلا إلى مغيب الحشفة' . يكفوا عن النظر عما عداه لأنه القدر الذى تدعو الضرورة إليه .

قال أبو محمد بن أنى زيد القيروانى في كتاب الرسالة في الفقه: ومغيب الحشفة في الفرج يوجب الغسل ويوجب الحد ويوجب الصداق ويحصن الزوجين ويحل المطلقة ثلاثا للذى طلقها ويفسد الحج ويفسد الصوم - فذكر سبعة، وذكر غيره من العلماء ستة عشر وجهاً: يوجب الحد ويوجب الصداق ١٠ ويوجب العدة ويحصن الزوجين ويحل المطلقة ثلاثا للذى طلقها ويفسد الحج ويفسد الصوم ويوجب الغسل ويزيل العنة ويزيل الإيلاء ويفيت البيع الفاسد في الأمة ويوجب القيمة على الأب في جارية ولده ويسقط الخيار على السيد في أمة مكاته ويفيت الاعتصار ويوجب القيمة (١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) في بن: الحشفة . وفيما بعد: الحشفة وفي هامش بر: الأحكام التي تجب بغيوبة الحشفة .

(٣) زيد في بن: عبد الله .

(٤) ساقطة من بن، وزيد بها: فقال ومغيب الحشفة على سبعة عشر وجهاً يوجب الغسل ويوجب الحد - انخ .

(٥) في بن: الاعتصار

في الجارية المحققة و يفيت الرد بالعيب .^١ و قيل إن مغيب الحشفة في الفرج
يوجب تسعة و تسعين^٢ حكما ، و لولا الإطالة لذكرتها هنا ، من أرادها
فليطالع شرح الرسالة للزناى^٣ - انتهى .

نعود - و لا تقبل شهادة الأولاد الأربعة^٤ على أبيهم المحصن بانه
ه زنى^٥ و كان له مال ، لأنه إذا رجم^٦ ورثوه فيتهموه^٧ أن يقصدوا إلى
استعجال ماله^٨ . فادا لم يكن له مال أمنت هذه التهمة . و قيل^٩ لا تقبل
شهادتهم على أبيهم الفقير لأنهم^{١٠} يدفعون بذلك الفقة التي^{١١} تجب عليهم
بفقده ، فكذلك يتهمون على دفع المضرة^{١٢} عن أمهم لما تقاسيه من
ألم ضررتها لها .

١٠ . و اختلف العلماء في شهادة الزوج لزوجته و الزوجة لزوجها ، فقال
مالك و أبو حنيفة : لا تقبل شهادة كل واحد منهما لصاحبه ، و قال الشافعى ،

(١) العبارة من هنا إلى « نعود » ساقطة من بن .

(٢) في الأصل : و تسعون .

(٣) كذا في الأصلين ، ولعله : الزناى - راجع الإكمال ٤ / ٢٣٥ .

(٤) في هامش بر : شهادة الأولاد على أبيهم بالزنا .

(٥) من بن ، و في الأصل : زنا .

(٦) في بن : زنى .

(٧) في بن : فيتهموا .

(٨-٨) في بن : الاستعجال لماله .

(٩) في بن : و قد .

(١٠-١٠) مطموسة بالترميم في آخر الصفحة .

(١١) في بن [١١١ : ب] : الضرر .

بل تقبل ، وقال ابن أبي ليلى والنخعي : تقبل شهادة الزوج لزوجته ولا تقبل شهادتها له . فاعتبر مالك . أبو حنيفة التهمة التي تلحق كل واحد منهما بشهادة الآخر التي أقرتها المودة كما قال الله سبحانه : " ومن ابتغى ان يخلق لكم من انفسكم أزواجا [لتسكنوا اليها - ١] وجعل بينكم مودة " . عن النعمان ٢ بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى [١٦٣ : ب] منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . هذا في حق المؤمنين الأقارب والأجانب ، فكيف بالزوجة لزوجها ٣ والزوج لزوجته ٣ لما هما عليه من المودة والرحمة والمحبة ، لكن رأى الشافعي أنها مودة عارضة نشأت عن عقد معاوضة . ورأى ابن أبي ليلى والنخعي ١٠ « أن الزوج لا كبير منفعة له بمال زوجته فالتهمة ٦ التي تلحقه بسبب شهادته لها ضعيفة وعدالتها تنفيها . وأما الزوجة فحقها في مال زوجها ثابت لوجوب النفقة عليها منه ، فالتهمة التي تلحقها قوية - انتهى .

نعود ٧ إلى ذكر شهود الزنا وكيف يقع لأربعة عدول رؤية الذكر

(١) من بن . قرآن كريم . ٣٠ : ٢١ .

(٢) في بن : النعمن .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) ساقطة من بن ، واردة في بن - ويكمل بها السياق .

(٦) في الأصلين : بالتهمه . وهو خطأ لفظي واضح ، صحته بالقاء بدل الباء .

(٧) في الهامش : ليس للإمام أن يحكم بعلمه في الزنا .

في الفرج كالمرود في المكحلة في مكان واحد ووقت واحد وصفة واحدة ،
 وهذا مما يبعد وقوعه بل لا يكاد يقع أبدا . ومن العادة إخفاء هذا
 الفعل حتى من النهار والديك والصبي في المهد . ثم إن الإمام ليس له
 أن يحكم بعلمه في الزنا ، فإن حكم بعلمه فيه وجب عليه حد القذف وبطل
 حكمه ، كما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمشي بالمدينة
 ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس :
 رأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد
 ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنما أنت إمام . فقال علي بن أبي طالب : ليس
 ذلك لك ، إذا نقيم عليك الحد ،^٣ إن الله تعالى^٣ لم يأمن على هذا الأمر
 ١٠ أقل من أربعة شهداء . ثم قال لهم مرة أخرى ، فقالوا مثل مقالتهم
 الأولى ، وهذا يشير إلى أن عمر كان مترددا في الوالي هل له أن يقضي
 بعلمه في حدود الله . فلذلك راجعهم في معرض^٤ * الفتوى لا في معرض^٥
 الإخبار خيفة من أن يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره وما رآه
 على أنه ليس له ذلك ، وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر
 ١٥ الفواحش ، فإن أخفها^٦ الزنا وقد نيط بأربعة من العدول الشاهدين

(١) في بن : فان من .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : عليها .

(٣-٣) في بن : لأن المقتول .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : معرض - بالصاد .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : أحسها .

ذلك منه في ذلك كالمرود في المكحلة ، وهذا لا يتفق قط ' وإن عليه
القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه . فانظر إلى الحكمة في حَسَمِ
باب الفاحشة بإيجاب الرمي الذي هو من أعظم القربات . قال الله تعالى :
”والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثَمْنين
جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون “ . ٥

حكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد سأل أبا ٣ يوسف القاضي
أحد أصحاب أبي حنيفة : ما تقول في إمام شاهد رجلا يزني بأمرأة هل
يحدّه ؟ قال : لا . فقال الرشيد : من أين قلت هذا ؟ قال : لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال [١٦٤ : الف] : « ادروا الحدود بالشبهات »
وهذه شبهة يسقط الحد معها . فقال له : و أي شبهة مع المعاينة ؟ قال : ١٠
ليس يوجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحدود لا تكون
إلا ' بالعلم ، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه . فانظر يا هذا إلى كشف '
ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه .
فارجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ، ففي الحديث « إن الله
تعالى إذا ستر على عبده عورته في الدنيا فهو أكرم أن يكشفها ١٥
مرة أخرى » .

(١) من بن ، وفي بر : قط لا يتفق .

(٢) قرآن كريم : ٢٤ : ٤ .

(٣) كذا في بن ، وهي في بر : أبو .

(٤) ساقطة من بن [١١٢ : الف] .

(٥) ريد في بن : شاء .

واعلم أن الشفقة على خلق الله^١ تعظيم^٢ لأمر الله ، و من
ستر عباد الله ستره الله ، و من تصدى لهتك سترهم يخاف عليه أن
يهتك ستره و^٣ لو يقول الزور^٤ ، كما هتكت ستور^٥ شهود الزور الذين
رموا العفيف المحصن بالفجور ، فخدوا بزورهم ، و سلم المشهود عليه من
فجورهم و شرورهم^٦ . و ذلك أنه كان في زمن دانيال النبي عليه السلام^٧
ملك عنده حكيم عزيز^٨ فحسده من^٩ حوله^{١٠} ، و جاءوا^{١١} إلى امرأة
مشهورة بالجمال في المدينة ، و كانت قد حبلت من الزنا ، فحملوها على^{١٢}
أن الحبل^{١٣} من الحكيم ، و رتبوا أربعة من مشاهير الدلد يشهدون بالزنا
و- كلهم من حسدة الحكيم ، فلما رُفع الأمر إلى الملك عظم عليه و شق^{١٤} ،
١٠ و تحير في الأمر و طلب الحق ، و استعان بمن هو في الدولة ، فلم يكشف

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢) في بن : تعظيما .

(٣-٤) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : صلى الله عليه وسلم . و بهامش بر : حكاية زور بالزنا وقعت في
زمن دانيال النبي عليه السلام و براءة المتهم منها .

(٦) زيد في بن : عليه .

(٧) في بن : بهوله .

(٨) في بن : وجأ .

(٩) زيد في بن : أن تقول .

(١٠) في بن : الحمل .

القصة ١ أحد منهم ، فحبس الحكيم و توقف في الأمر مدة و اشتهر الأمر في المدينة . و كان دانيال عليه السلام ابن اثني عشرة^٢ سنة فقال لآييه^٣ : إن حكمت في القضية لا كشيمن الأمر . فذكر أبوه ذلك للملك ، فأحضره و حكمه في القضية ، فأمر^٤ دانيال باحضار الحكيم والمرأة و الشهود و قال للحكيم : أنت فعلت ما يقولون ؟ قال : لا ، فأمر^٥ أن يفرق بين الشهود و يجعل كل واحد منهم في بيت . ثم أحضر أحدهم فقال له دانيال : كيف كان الأمر ؟ فقال : إنه زنى^٦ بالمرأة . فقال : أين كان ؟ وكيف كان ؟ و ما لون الفراش الذي كانا عليه ؟ و كيف اجتمعتم أنتم على مشاهدة هذا القبيح ؟ فقال^٧ ما شاء الله . ثم رده و جاء بآخر و سأله^٨ عما سأل الأول ، فاختلف كلاهما في المكان و الزمان و الكيفية . ١٠ ثم أتى الثالث فقال له دانيال : الله أكبر ! قد أقر صاحبك بالحق و عفى عنهما . فان قلت كما قالوا و ثبت كما تابا فقد فزت . فشهد بالزنا مع اختلاف عظيم ، فردد^٩ إلى مكانه ، و أمر دانيال الملك^٩ أن يظهر الغضب

- (١) في بن : القضية .
- (٢) في الأصلين : اثني عشر .
- (٣) ساقطة من بن .
- (٤) في بن : و أمر .
- (٥) من بن ، و في الأصل : زنا .
- (٦) زيد في بن : و متى كان .
- (٧) « فقال » مكررة في « بر » .
- (٨) في بن : فسأله .
- (٩) كذا في بن ، وهي في بر : للملك .

و يجرّد السيف . ثم أتى بالرابع و قال : الله أكبر ! إن أصحابك [١٦٤ : ب]
 اثنان منهم أصراً على الإنكار ، و الملك عزم على أن يعاقبهما ، و الثالث
 أقرّ بالحق فعفى عنه ، و أنت مخير بين الحق و الفلاح و بين الباطل
 و العذاب . تخاف الرجل و اعترف بالحق و ذكر كيفية الاجتماع و سبب
 ٤. الاقتراف ١ ، فرّد إلى مكانه . و جىء بالثالث ٢ ، و حكى له كيفية ٣ اجتماعهم
 و سبب اقترافهم ، و كل ما قاله الرابع حُكى له فلم أنه اعترف عليهم
 فوافقه في الاعتراف ، ثم أتى بهما و حكى لهما ما قال صاحباهما . فأقرّ
 الكل ، فحدث المرأة و اليهود و سلم الحكيم . فانظر يا هذا إلى قذف
 أعراض الناس و ذكرهم لعيوب لم تكن ٦ ، كيف حلّ بهم ما حلّ
 ١. من الشفاعة لذكرهم الفجور ، و شهادتهم الزور . قال ابن أبي زيد :
 يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور - انتهى ٧ .
 ٨. فلنذكر الآن خراج جريج . روى ٨ مسلم عن أبي هريرة ٩ عن النبي صلى الله

(١) في بن : الاقتراق .

(٢) في بن : ثالث .

(٣) في الأصلين : كيف .

(٤) في بن : اقتراقهم .

(٥) في الأصلين : قدفه و جائز أيضاً أن تكون « وقذفهم » و في بن :
 الأعراض - فقط .

(٦-٧) في بن : الناس لما لم يكن لها أصل .

(٧) كذا في بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٨-٨) ساقط من بر و وارد في بن . و بهامش بر : قصة جريج .

(٩) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه .

عليه وسلم قال: كان جريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة، فكان فيها
 فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي!
 فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت:
 يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته فانصرفت،
 فلما كان من الغد أتته فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي! فأقبل
 على صلاته فقالت: اللهم! لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات'.
 فتذاكر بنو إسرائيل جريحا وعبادته. وكانت امرأة بغية يتمثل بحسنها
 فقالت: إن شئتم لافتننه لكم. قال: فتمرضت له فلم يلتفت إليها.
 فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكتته من نفسها، فوقع عليها،
 فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزروه وهدموا ١٠
 صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنت بهذه البغية
 فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجأوا به، فقال: دعوني حتى أصلي.
 فصلى ٢ فلما انصرف أتى الصبي وطعن في بطنه وقال: يا غلام! من
 أبوك؟ قال: فلان الراعي. فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به
 وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعبدوها من طين ١٥
 كما كانت. ففعلوا. انتهى ٣.

(١) من بن [١١٣: الف]، وفي بر: الموسيات.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) ساقطة من بر واردة في بن.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ينبغي لأهل العصمة ' المصنوع إليهم ' في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب بالمعصية ' و يكون الشكر هو الغالب عليهم و الحاجز عنهم ، فكيف بالعائب الذي عابه به و قد يذمه بذنوب قد ارتكب^٢ مثله ، فإن لم يكن ركب^٣ ذلك ٥ الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه و فيما هو أعظم منه ، و أيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبر و عصاه في الصغر لجرأته على عيب الناس [١٦٥ : الف] أكبر .

قال مالك بن أنس : كان بالمدينة أقوام لهم عيوب ، فسكتوا عن عيوب الناس ، فسكت الناس عن عيوبهم ، و كان بها أقوام لم يكن لهم عيوب ، فتكلموا بعيوب الناس ، فاختلف الناس لهم عيوباً - انتهى .

(١-١) في بن : أنهم .

(٢) كذا في الأصلين ، ولعله : و المعصية .

(٣) كذا في بن ، و هو في بر : ركب .

(٤) في بن : يجب .

(٥) زيد ما يلي في بن : قال بعضهم :

عصيت الهوى طفلاً صغيراً فعند ما اتتني الليالي بالمشيب و الكبير

أطعت الهوى عكس القضية ابتنى (١) خلقت كبيراً ثم عدت الى الصغر

فقال له ولده هنيئاً له إن لم يكن كاسه أطاع الهوى في الحالين و ما ازدحر .
و لم يكن في ان ناع نفسه ليعتقها من حر نار و من سقر .

(عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة)

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في المصراع الثانى من البيت المتقدم ذكره و هو :

« و قرع كؤوس الخرفى الثغر بالثغر »

- كان ينبغى له إبدال ١ قرع برشف لأن القرع بالسن يخاف معه كسر ٥
الزجاج و ثلم السن ، و الرشف قد يكون يرتشمه الشارب بمصّه له من
أوله إلى آخره من غير كسر و لا ثلم . قال الشاعر :
- و قرعته فكسرتة فأسال ما فيه على ذراعى و قيصى
و اعلم أن الكأس هو الذى ليس له عروة ٢ ، و الكوب الذى هو
بعروة و جمعه أكواب . و الثغر الأول هو ثغر الإسكندرية ٣ المجاور ١٠
للبحر الملح و جمعه ثغور ٣ . و الثغر الثانى الفم المحتوى على الريق ٤ .
و التّظلم - بفتح الظاء المعجمة - ماء الأسنان و صفاؤها . و اللعى سمة
الشفتين ٥ هو اللعى و الحوة . و الظمأ يابس فى الشفتين ٥ ، و العرب تستحب
ذلك . قال ذو الرمة :

لمياء فى ٥ شفيتها حوة كعس ٥ وفى اللثا و فى أنيابها شنب ١٥

(١) فى بن : أن يبدل .

(٢) زيد فى بن : و جمعه كؤوس .

(٣-٢) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : الطريق .

(٥) ساقطة من بن .

و الشنب طيب الفم . قال الشاعر :

بأبي أنت وفيك إلا شنب^١ كأنما دُرّ عليه الزرنب^٢

أم زنجيل^٣ بارد مطيب

^٢والزرنب ههنا نوات طيب الرائحة^٣ . ومن أسماء الخمر الزنجيل .

٥ . والخمر لها أسماء كثيرة ، قيل إن لها مائة اسم^٤ أحدها الزنجيل^٥ . وسيأتي

ذكر بعض أسمائها فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فمن^٦

شرب الخمر حُدَّ حَدُّ الشرب ، لأنها حرام لما في الصحيح أن عمر بن

الخطاب رضى الله عنه^٧ خطب فحمد الله^٨ وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ،

ألا ! وإن الخمر نزل تحريمها من خمسة أشياء من الخنطة والشعير و التمر

١٠ . والزبيب و العسل . والخمر ما خامر العقل . ونهى النبي صلى الله عليه وسلم

عن كل مسكر وقال : « كل مسكر حرام » ، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات

وهو يدمنها^٩ لم يتب منها لم يشربها في الآخرة . وقال : « كل شراب

أسكر فهو حرام » . قال غير واحد من المتأخرين : لا يزكى الوصى مال

(١-١) الشطر الثاني من البيت ساقط من بر ، و نقلناه هنا عن بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : أزنجيل .

(٣-٣) وردت هذه الجملة في بن بعد « الزنجيل » من العبارة التي تليها .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : فلذكر بعض ذلك هنا اعلم أنه .

(٦) زيد في بن : أنه .

(٧) زيد في بن : تعالى .

(٨) في بن [١١٣ : الف] : مدمنها .

الصبي الصغير حتى يُرفع إلى السلطان كما قال مالك : إذا وُجد في تركة ميت^١ نمر^٢ فلا يريقها الوصي إلا بعد مطالعة السلطان لثلا يكون مذهبه جواز التحليل فيضمنه إن أراقها بغير إذنه ، فان قيل : هل استحالة الخمر إلى أن يصير خلا طاهرة أم لا ؟ قيل : لا يظهر شيء [١٦٥ : ب] من النجاسات بالاستحالة إلا شيئان : الخمر^٣ ، و جلد الميتة^٤ ، فانها إذا انقلبت^٥ بنفسها خلا طهرت ، و إن خللت لم تطهر^٦ ، و جلد الميتة سوى جلد الكلب و الخنزير إذا دُبِغ يطهر و يحل بيعه في أحد القولين من مذهب الشافعي رحمه الله^٧ . و يحزى غسل سائر النجاسات كالخمر و البول و المسذى^٨ و الودى^٩ و الدم و القيح و القيء و النيذ و الكلب و الخنزير و ما تولد منهما المكاثرة بالماء إلى أن يذهب . ١٠ . و ما لا يزول أثره بالغسل كالدم إذا غسل و بقي أثره لم يضره ذلك - انتهى

- (١) في بن : الميت .
- (٢) كذا في بن ، و هي في بر : نمرأ .
- (٣-٣) سافطة من الأصل (بر) ، و أخذناها عن بن و يكتمل بها السياق .
- (٤) في هامش بر بقلم غير قلم الناسخ : مذهب مالك الطهارة على كل حال لا فرق بين تخللها و تحليلها .
- (٥) زيد في بن : تعالى .
- (٦) من بن ، و في الأصل : و المذى .
- (٧) في بن : الودى .

نعود - وقد يكون مذهب القاضي سقوط الزكاة عن الصغير، فإن
 أبا حنيفة خالف في المسألتين . وقال بعضهم: إنما يلزم الرفع في البلاد
 التي فيها القاضي الحنفى، وأما البلاد التي لا يكون فيها ولاية ٢ الحنفى
 كأرض المغرب فلا معنى للرفع، فإن أبا حنيفة إنما يخالف في ٢ بعض
 المحاجير وفي بعض الأموال وهو العين لا ما عدا ذلك - انتهى .
 وسئل ٣ بعض المفتين في فارة تقع في البئر ويطلع في الدلو من
 شعرها شيء، فهل الماء طاهر وإن قل؟ من قوله عليه السلام: "خلق
 الماء طهوراً" فقال: أما إذا كان الماء كثيراً فوق القلتين ولم يتغير بالنجاسة
 فإنه طاهر عند جمهور الأمة كمالك والشافعى وأحمد وغيرهم . فإنه
 ١٠ قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له: أتتوضأ
 من بئر بضاعة - وهي بئر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن؟
 فقال: «الماء طهور لا ينجسه شيء» لكن إن تمخط من شعرها في
 البئر ففيه قولان: أصحهما أن شعرها طاهر لا ينجس الماء، وهذا
 مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة في إحدى الروايتين، وهذا أصح

(١) في بر: أبى، وهى صحيحة في بن .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) الواو ساقطة عن الكلمة في بن .

(٤) في الأصلين: المفتين .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) ريد في بن: في المشهور وكذلك شعر كل ميتة وشعر الكلب ونحوه طاهر

عند أبى حنيفة ومالك وأحمد في أحد الروايتين - الخ .

قولى العلماء . و أما إذا كان الماء قليلا دون القلتين و لم يتغير فقيه قولان هما روايتان عن أحمد : أحدهما بحس وهو مذهب الشافعى ، و الآخر أنه طاهر و هو المشهور من مذهب مالك و أهل المدينة . فان نزع الماء حى بلغ قلتين طهر ؛ و إن لم يبلغ قلتين فقيه القولان و لم يتبين انه بحس بل الأشبه أنه طاهر ما لم يتغير سواء كان قليلا أو كثيرا كذهب ه أهل المدينة ، ، هو مذهب طائفة من أصحاب أحمد و غيرهم ، و قد رجحه طائفة من أصحاب الشافعى . و إذا كان الماء طاهرا فما أخذ منه فى الدلو فهو طاهر و إن كان فيه من شعر الميتة .

سئل ٢ بعض فقهاء الشافعية عن مسقيتين فى كل واحدة منهما من الماء قلتان^٢ ، فبال فى الواحدة صبي ، و ولغ كلب فى الأخرى ١٠ . فهل يجوز الوضوء منهما أم لا ؟ قال : أما الذى ولغ [١٦٦ : الف] منها الكلب فلا يجوز منها الوضوء ، لأنها بإبلاغه فيها^٣ نقصت عن القلتين . و أما الأخرى فيجوز الوضوء منها لأن القلتين لم تنقص . و إذا بلغ الماء قلتين لم تؤثر فيه النجاسة - ° و الله أعلم ° .

(١) فى بن : السة .

(٢) فى بن : و سئل .

(٣) فى الأصلين : قلتين . و الكلمة مصححة فى بر بقلم آخر .

(٤) ساقطة من بن .

(هـ-هـ) ساقطة من بن .

(بطرس لوسنيان و الثغور الإسلامية)

وقد تشعب بنا القول و تسلسل إلى أن خرجنا^١ عن مرثية ابن

أبي حجلة فلتعد^٢ إلى ذكر ما قاله فيها^٣ :

و حَقَّكَ لَوْ لَا أَنَّ لِلثَّغْرِ حَافِظًا مِنْ اللَّهِ كَانَ الثَّغْرُ فِي حَوْزَةِ الْكُفْرِ
 ٥ حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْتِهِ وَ لَرَمَهُ ثَغْرُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنْ حَوْزِ أَهْلِ الْكُفْرِ لَهُ ،
 وَ أَبْقَاهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي حَوْزِ الْمُسْلِمِينَ ، وَ أَخْرَجَ مِنْهُ سَرِيحًا رَبِيرًا^٤
 بَطْرُسُ الْكَافِرِ^٥ اللَّعِينُ الضَّالُّ^٦ الْمَارِقُ ، اللَّصُّ السَّارِقُ . فَلَيْلَهُ الْحَمْدُ وَ الشُّكْرُ ،
 ١٠ وَ لِلَّهِ الْمُنَّةُ^٧ وَ الْفَضْلُ . وَ جَرَتْ عَادَةُ اللَّصُوصِ أَنَّهُمْ إِذَا سَرَقُوا سَرَقَةً
 يَهْرَبُونَ بِهَا^٨ سَرْعَةً كَيْلَا يَقْبُضَ عَلَيْهِمْ^٩ ، فَيَنْكُلُ^{١٠} بِهِمْ ، وَ تَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ
 ١٥ وَ أَرْجُلَهُمْ^{١١} مِنْ خِلَافِ^{١٢} . وَ الْقَبْرِسِيُّ الْمَلْعُونُ جَمَعَ مِنْ لُصُوصِ النَّصْرَانِيَّةِ

(١) ريد في بن : عما كنا فيه من مرثية - الخ .

(٢) في بن : فاترجع .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : أيدي .

(٥) في بن : زبير . انظر حاشية سابقة عن زبير بطرس .

(٦-٦) في بن سقطت هاتان الكلمتان .

(٧-٧) في بن [١١٣ : ب] : والمنة .

(٨-٨) في بن : هربوا .

(٩) في بن : وينكل .

(١٠-١٠) ساقطة من بن .

وأتى بهم إلى الإسكندرية ، سرقوا أثاثها على حين غفلة من حماتها .
 فلو أقام الملعون بها حلّ به من جيوش الديار المصرية كل بلية ١ . لكن
 الأمر صار ٢ إلى غير أهله بولاية الأمير جنعرا و قلة جنده و جهله بتدبير
 الأمور و عدم معرفته بمواقع الخروب . فحصل التفريط بولاية ٣ ضعفاء
 الرجال كبار الأعمال . فلم اللص من أين يدخل يسرق ، فدخلها سرقها ٥
 و هرب عنها خوفا من كبسه جيش مصر عليه يهلكه لو أدركه بها .
 فلو كان ملكا قويا شهيا جريئا أقام بها و ناضل عنها كفعل الملوك حين
 ظفروهم بالمدن ، ولكنه خسيس ضعيف القوى ، سرق و هرب ، خوفا من
 العطب . و قد قيل إن ملوك النصرانية لامتة على هروبه من الإسكندرية
 و قالوا له : إن الذي فعلته فعل اللصوص لا فعل الملوك ، كنت لما ملكتها ١٠
 أقت بها و ناضلت عنها كما فعلت الجنوية بطرابلس الغرب ، ولكن
 دخلتها لصا و خرجت منها ٢ لصا ، و ذلك لعدم قدورتك على مقابلة
 سلطان ٦ مصر ، قَبِلْتُ ٧ لصوصتك عند سائر ملوك العصر و سائر أجناس

(١) في بن : مصيبة و بلية .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : بوليته .

(٤) زيد في بن : بها . و أسقطت بعد « ادركه » .

(٥) زيد في بن : لقله جيشه و ضعف بطشه .

(٦) في بن : جيش .

(٧) في بن : قُتِبَتْ .

الرومانية ، فَأَسْقَطَتْ من ديوان الملوك عند القسيسين والرهبانية . فقال :
وكيف أَسْقَطْتُ وقد نصرتُ الملة المسيحية وملكيت مدينة أنطاكياء
ببر التركية من أهل الملة المحمدية ورجالي ٢ الآن بها مقيمة ، وأحوالى
بظفرى بها مستقيمة . فقالوا له : إنك ما قدرت عليها ٣ إلا لقلّة رجالها ،
٥ وضعف حالها ، فما كان يكون لك همه عليّة ، إلا لو أقت بالإسكندرية ،
فكنت تكون بين الملوك أظهر^٤ ، لمدينة كانت^٥ للملوك حير ، ثم [١٦٦ : ب]
دثرت فأنشأها الإسكندر^٦ ، فهي أكبر غصة الملوك^٧ ، لو أقت بها
كنت كالواسطة بعقود الملوك^٨ ، فلما سمع القبرسى مقاتلهم ، عزّ عليه
ملامتهم ، وكشف^٩ رأسه ، وخلع من رجله مداسه ١١ ، وحلف بالمسيح

(١) في بن : انطاليا .

(٢) زيد في بن : الى .

(٣) في بن : على انطاليا .

(٤) زيد في بن : ورددتها الى حالها الأصليه من ان ملكتها الملة المحمديه .

(٥) في بن : الملك الأظهر للملك .

(٦) زيد في بن : أولا .

(٧) زيد في بن : وصارت من بعده للملك قيصر و الآن .

(٨) في بن : ملوك بنى الأصفر .

(٩ - ٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : كشف . سقوط وار العطف .

(١١) في بن : نعله .

ابن مريم ، و الإنجيل المكوّم ، و بكل صليب و راهب ، ١ و قسيس ليس هو عن كنيسة أصلا بغائب ١ ، لا غطي ٢ رأسه ولا لبس ٣ مداسه حتى يملك بلدا ببرّ المسلمين ، و لو أقام بالسنين ، و يغزو الغزو العنيف ، إلى أن يزور بقائم سيفه كنيسة ٥ قمامة التي هي بالقدس الشريف ٥ . فجمع الشقي المشؤم ٥ ، من أقاليم الروم ، كل كافر مذموم ٦ ، و قصد طرابلس الشام ٥ في أوائل سنة ثمان و ستين و سبعمائة ، فأرسل الله ٦ عليه ريحا عاصفا ٦ كسر ٦ من مراكه بضعة عشر مركبا ، ففرق ٦ من فيها و تفرقت بقية المراكب ، ففنها سالم و عاطب . ثم لما كان في أوائل سنة تسع و ستين و سبعمائة أتى أيضا إلى طرابلس الشام ، فقتل ١٢ المسلمون من رجاله كثيرا ، فرجع الملعون إلى جزيرة قبرس غائبا ١٣ مقهورا . و سيأتي فيما يرد من ١٠

(١ - ١) في بن : و قسيس للأناجيل و المزامير كاتب .

(٢) في الأصلين : غطا .

(٣) كلمة « لا » ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) بياض في بن .

(٥ - ٥) في بن : القدس الشريف .

(٦) في بن : المذموم .

(٧) في بن مشؤوم .

(٨) زيد في بن : تعالى .

(٩) زيد في بن : صرصر .

(١٠) في بن : فكسر .

(١١) في بن : ففرق .

(١٢) في الأصلين : فقتلت .

(١٣) في بن : خايفا .

هذا الكتاب ذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى .
فلنرجع إلى مرثية ابن أبي حجلة :

و حقت إن لم تستفق لقتالهم جرى ما جرى منهم على^١ الثغرى مصر
يعنى أنه لم تيقظ و ننتبه من الغفلة التى مضت ، و تسد الثغور بالجيوش
، المانعة ، والأسلحة القاطعة ، تمنع عن ثغرى الإسكندرية ودمياط ميقى^٢ مصر ،
و إلا يخشى على مصر من اجتماع كلمة الإفريج و إتيانهم للثغرين المذكورين^٣
بجمعهم ، و ما يعلم أى الأمر يكون منهم ، لأن الحرب سجال ، يوماً لك
و يوماً عليك ، فالله تعالى ينصر المسلمين على القوم الكافرين . و اعلم أن حفظ
الثغور يكون بالرجال الأبطال ، لا بالأسوار الطوال ، كما قال الشاعر :
١٠ عليك بسور من رجال فانى رأيت حصونا من حديد تهدمت
و كما قال الآخر :

حسبت^٤ سياج الدار يحمى عداتها و ليس سياج الدار إلا رجالها^٥

[فى الرباط و المراقبة]

قال عمر بن الخطاب رضى الله^٦ عنه : سمعت رسول الله صلى الله

(١) ساقطة فى بن .

(٢) فى الأصلين : ميئنا . و صححت فى بر بقلم آخر .

(٣) مكررة فى بن .

(٤) فى بن : الفرنج .

(٥ - ٥) مطموس فى بن بالترميم .

(٦) فى بن : الرجال .

(٧) ريد فى بن [١١٤ : الف] : تعالى .

عليه وسلم يقول « إذا فتح الله مصر فاتخذوا فيه ^١ جيشا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . فقال : لِمَ يا رسول الله ؟ قال : « لأنهم في رباط إلى يوم القيامة ^٢ » .

وعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حرس ليلة في سبيل الله لم ير النار بعينه إلا تحلة ^٣ القسم ، ^٥ فان الله تبارك وتعالى قال : « وان منكم إلا واردها ^١ » [١٦٧ : الف] وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رباط ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ^٢ ليلة يقوم ليلها لا يفتر ويصوم نهارها لا يفطر » . وقال عليه السلام : « من رباط فواق ناقة ^٤ حرمه الله على النار » . وفواق ناقة ^٤ هي ^٩ قدر ما تُحلب ، والرباط شعبة من الجهاد . وبقدر خوف ^{١٠} أهل الثغر وتحزيم من عدوهم يكون كثرة ثوابهم . وقال عمر :

(١) في بن : منها .

(٢) في الأصلين : يرسل .

(٣) في بن : القيمة .

(٤) كذا في بن ، وفي بر : حلة - صححت بقلم آخر إلى : تحلة .

(٥-٥) في بن : قال الله تعالى .

(٦) قرآن كريم ١٩ : ٧٠ .

(٧) في بن : التي .

(٨-٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : هو .

(١٠) ساقطة من بن .

فُرض الجهاد لسفك^١ دماء المشركين ، و الرباط لحقن دماء المسلمين ،
و حقن دماء المسلمين أفضل من سفك دماء المشركين . و ينبغي لكل
قوم أن يربطوا في ناحيتهم ، ويمسكوا سواحلهم ، إلا أن يكون مكانا
يخاف منه . و سئل مالك رحمه الله^٢ عن سكان الثغور و السواحل
ه بالآهل و الولد قال : ليسوا بمربطين ، وإنما الرباط من خرج من منزله
معتقدا للرباط في موضع الخوف - ذكره ابن يونس . و قال عليه السلام :
« إن الله^٣ جعل رزقي في ظل رحى^٤ ، و لم يبعثني تاجرا و لا زارعا .
و قال عمر رضي الله^٥ عنه : من زرع فاحمه من الديوان ، فان هذه الأمة
جُعِلَتْ أرزاقها في أسنة رماحها ما لم يزرعوا ، فاذا زرعوا كانوا من
١٠ الناس . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ذكر المزارعين و الشفقة^٦
عليهم^٧ و ذكر^٨ القمح و الشعير و فضلها^٩ إن شاء الله تعالى^{١٠} .

(١) في هامش بر بقلم آخر : اللام للعاقبة و الصيرورة إذ العلة في فرضه هو
إعلاء كلمة الله .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣) زيد في بن : عز و جل .

(٤) في بن : دحى .

(٥) زيد في بن : تعالى .

(٦) في بن : في الشفقة .

(٧) زيد في بن : و الرقى بهم .

(٨) زيد في بن : ما قيل .

(٩) في بن : من الفضل و المدح .

(١٠) و يلاحظ أنه لم يرد في هذا الموضوع ذكر في أصول الكتاب .

وقد جاء في الرباط بالإسكندرية^١ فضل كثير،^٢ وسأذكر لمعا من ذلك إن شاء الله تعالى^٣. عن أنى هريرة رضى الله عنه^٤ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المقيم بالإسكندرية ثلاثة أيام مرابطا من غير رياء بمنزلة من عبّد الله عز وجل سبعين سنة» ما بين الروم والعرب،^٥ عن^٦ سعيد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإسكندرية وعسقلان عروستان من عرائس الجنة، والإسكندرية أفضلهما، وإنها لتأتى يوم القيامة» تزفّ بأهلها^٧ إلى بيت المقدس،^٨ فمن رابط بالإسكندرية أربعين يوما كتب الله^٩ له عتقا من النار وأمن من العذاب، وإن خيار أهلها أفضل من أشرف غيرها، وأشرافها خير^{١٠} وأفضل^{١١} من أشرف غيرها، وهى مدينة ١٠ ذى القرنين، يبعث الله تعالى منها سبعين ألف شهيد وجوهم أضوأ من القمر ليلة البدر، يعطى كل واحد منهم نورا على الصراط،

(١) فى هامش بر: فضائل اسكندرية وأهلها والرباط فيها.

(٢-٣) فى بن: فلنذكر الآن لمعا من ذلك.

(٣) زيد فى بن: تعالى.

(٤) فى بن: عاما.

(٥) فى بن: وعن.

(٦) فى بن: القيمة.

(٧) فى بن: أهلها - بسقوط الباء.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) فى بن: أفضل.

و يشفع في سبعين ألفا من أهل بيته و أقاربه و جيرانه و أصحابه و أحبابه ،
 فطوبى لمن يسكنها ^١ و يربط بها و يقصد فيها عبادة الله عز و جل و يأكل
 رزقا حلالا و يصلي صلاة خالصة ^٢ و هي في الكتب يعرفها أهل العلم
 تسمى الخضراء ، و اسمها في الزبور [١٦٧ : ب] ^٣ البيضاء ، و اسمها في
 ٥ التوراة ^٤ المذهبة ، يبعث الله منها سبعين ألف شهيد و جوههم على صورة
 القمر ليلة البدر ، يعطى كل واحد منهم نورا على الصراط ، و يشفع
 كل واحد منهم لسبعين ألفا ^٥ ، فطوبى ^٦ لمن رباط فيها ^٧ !

عن سليمان * الأعمش قال : حدثنا مولى عمر بن عبد العزيز ، قيل ^٨ له
 يا أمير المؤمنين ! ألا أحدثك بحديث ؟ قال : بلى ، قال : حدثني أبي عن
 ١٠ جدى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال « مدينتان من مدائن الجنة
 و هم مدائن العدو و أنهما سيفتحان على أمتى : أحدهما من مدائن الروم
 يقال لها الإسكندرية ، و الأخرى من مدائن الديلم يقال لها قزوين ،
 فمن رباط ^٩ في إحداهما ^{١٠} ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، -

(١) في بن : يسلكها .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : الف .

(٤) في بن : و طوبى .

(٥) في بن : و عن سليمان .

(٦) في بن : قال .

(٧) في بن : رباط .

(٨) في بن : أحدهما .

قال : فاستوى عمر جالسا و كان مضطجعا ^١ فقال له : الله ! لقد حدثك بهذا الحديث أبوك عن جدك ^٢ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال الأنصارى : والله لقد حدثني أبي عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^٣ كما حدثتك يا أمير المؤمنين ! ثم قال : اللهم اجعل قبرى بالإسكندرية أو بقزوين ! فوالله لو لا شغل أنا فيه لاتخذت دارا ^٥ أو منزلا باحداهما .

عن خالد بن حميد قال : كان الضحاك بن مزاحم و عطاء السلمي ^٣ يقولان : الرباط بالإسكندرية و المبيت بها كان أحب إلينا من عتق رقبة من ولد إسماعيل ^٤ . قال : فكان عطاء يقول : إن بي من الشوق إلى الإسكندرية شوقا ما أستطيع دفعه و وصفه .

١٠

عن كعب الأحبار أنه ^٥ قال : فى كتاب الله عز وجل المنزل الذى أنزل الله ^٦ على موسى بن عمران أن بالإسكندرية شهداء يستشهدون بيطحائها ! هم خيار من مضى و هم الذين يباهى الله عز وجل بهم ^٧ شهداء بدر . فيا لها من وقعة وقعة الإسكندرية ! عن سعيد بن جبير قال : إن الله

(١-١) فى بن : فقال الله . و باقى الجملة مطموس بالترميم لآخر الصفحة .

(٢-٢) ساقطة من بن [١١٤ : ب] .

(٣) فى بن : السلمي .

(٤) فى بن : اسمعيل .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) فى بن : ائزل .

تعالى يباهى بأهل هذه الثلاث أرضين ، أحدهما^١ قيسارية و أهل عسقلان
و أهل الإسكندرية ، كما يباهى هذه الثلاثة^٢ أرضين بالملائكة يوم الحج
الأكبر^٣ بأهل عرفة^٤ . عن صالح بر على قال للربيع^٥ بن خيثم :
ما منعك أن تقاتل معي ؟ قال : ما كنت لأقاتلك و لا أقاتلك معك^٥ ،
هـ فدُلّني على جهاد أو رباط . فقال : عليك بالإسكندرية أو قزوين ، فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول^٦ : « إن الله سيفتحهما^٦ على
أمتي ، وإنهما بابان من أبواب الجنة ، فمن رباط فيهما أو في إحداهما^٧
ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . عن عبد الله بن عباس
^٨رضي الله عنهما^٨ قال : لأن أبيت ليلة بالإسكندرية على فراش و طَيَّ وطعام
١٠ طيب لا تدخل^٩ في [١٦٨ : الف] رجلى شوكة و لا ألقى عدوا حتى انصرف
من الغداة سالماً أحبّ إليّ من عبادة سبعين سنة صيامها و قيامها في كل

(١) ساقطة من بن ، و في بر : أحدهما .

(٢) الجملة ساقطة من بن .

(٣-٣) في بن : و بأهل عرفة .

(٤) في بن : الربيع .

(٥) في بن : حيك (١١) .

(٦-٦) في بن : انهما سيفتحان .

(٧) ساقطة من بن .

(٨ - ٨) ساقطة من بن .

(٩) في الأصل (بر) : يدخل ؛ وصحتها في بن .

- عشر منها ليلة القدر بمقاديرها . عن نافع عن ابن عمر قال له رجل من أصحابه: أى المواضع أحب إليك ترابط فيها؟ فقال: الإسكندرية ، وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أحب الرباط إلى الله عز وجل رباط الإسكندرية لأنها تزف على الخلائق يوم القيامة^١ في صورة مدينة نورها يتلألأ مكلفة بالدرو والياقوت؛ وذلك لفضل هـ شهدائها . عن عبد السلام بن عمر بن خالد عن أبيه قال: حدثنا أشياخنا عن أهل العلم وذكروه عن كعب الأحبار أنه قال^٢: فتحت الإسكندرية، قال: ليس ذلك يومها إذا جاءتها مائة سفينة على أثرها مائة سفينة ولم تزل تأتي ٣ مائة بعد مائة حتى تتم سبعمائة سفينة يكملوا ألعا^٣ وأربعمائة سفينة يزلوا بساحل اسكندرية؛ فذلك الواقعة العظمى والطامة الكبرى والى ١٠ تشيب لها الأطفال الصغار ويسقط لها النساء الحوامل فطوبى ثم طوبى لمن أدركها! قال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده ليقتلن فيها من الخلق حتى يبلغ الدم عراقيب الخيل! فعد ذلك الشهادة العظمى .
- عن سفيان الثوري يذكر أن كعب الأحبار قال: ما على الأرض عاد^٤ أكرم على الله تعالى من عباد يستشهدون^٥ بالإسكندرية، فطوبى ١٥

(١) في بن: القيمة .

(٢) كذا في الأصلين، ولعله: قيل .

(٣) وبالجملة بعض ارتباطك لفظي وإن كان المقصود واضحا وهي كذلك في

كل من برو بن .

(٤) في بر: الف . والكلمة مكررة في بن .

(٥) في الأصلين: عبادا .

(٦) في بن: يشهدون .

لمن رابط بها واستشهد فيها ١ وطوبى لمن صلى فيها صلاة ١ الخمس التماس
فضلها ١ فطوبى لهم ثم طوبى لهم ١ عن أبي هريرة ٢ قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ٣ يا أبا هريرة ١ طوبى لقوم يموتون على ساحل البحر
يخرجون من قبورهم حتى يردون العرش ٣ فيقول الله عز وجل : لا حساب
عليكم اليوم ، انطلقوا مغفورا ٤ لكم وعانقوا الأبكار ، .

عن طاوس ٥ اليماني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥ الرابط في
سبيل الله ٥ عز وجل ٦ على ساحل البحر له في كل يوم ٧ دعوة مستجابة ، . عن
محمد بن عباس أنه قال قال ٨ كعب الأحبار إني لأجد في كتاب الله عز وجل
المنزل على موسى بن عمران عليه السلام : من رابط بالإسكندرية ضحوة .
١٠ جعل الله له تاجا من ذهب فيه لؤلؤة تضيء ما بين المشرق والمغرب ،
باطنه المسك والكافور ، والذي نفس كعب بيده هذا مكتوب في

(١) كذا ، و الظاهر : الصلوات .

(٢) زيد في بن : رضى الله عنه .

(٣) في بن : الفردوس .

(٤) في بن مغفور .

(٥) في بن : طاووس - والجملة السابقة مكررة هنا واستأنف الناسخ الكلام

في بن [١١٥ : الف] .

(٦ - ٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : له .

(٨) من بن ، وفي بر « قال » الثانية ساقطة .

التوراة^١ عن ٢ ابن عمر ٣ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كَبَّرَ على ' شاطئ' بحر الروم تكبيرة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى والدار [١٦٨ : ب] الآخرة جعل الله في ميزانه يوم القيامة* صخرة أثقل من السماوات السبع و الأرضين السبع و ما بينهن و ما تحتهن . عن أبي هريرة^٤ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رابط اثني عشر يوما ٥ في سبيل الله آمن يوم القيامة* من الفزع الأكبر ، و من رابط أربعة و عشرين يوما أعطاه الله تعالى أجر الشهيد المشحط^٦ في دمه ، و من رابط ثمانية و أربعين يوما جعل الله روحه في حواصل الطيور الخضر^٧ تسرح في الجنة حيث شاءت و تأوى إلى قناديل تحت العرش . . عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تقلد سيفاً ليلة الجمعة ١٠ مرابطاً في سبيل الله عز و جل لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى ، ثم مات بعد سنتين كتبه الله مرابطاً إلى يوم القيامة . عن كعب بن محمد قال :

(١) في بن : التورية .

(٢) في بن : و عن .

(٣) زيد في بن : رضى الله عنهما .

(٤) ساقطة من بن ، و من الممكن قراءة الكلمة التالية : بشاطئ .

(٥) في بن : القيمة .

(٦) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه .

(٧) في بن : المتشحط .

(٨) الكلمة واردة في بن و ساقطة من بر .

. إرم ذات العماد الإسكندرية ، - انتهى ' .

(إشاعة الحملة على الإسكندرية سنة ٧٦٨)

نعود - ولما كان في أواخر سنة ثمان و ستين و سبعمائة أشاعت
 ٥ الناس بالإسكندرية أن القبرسى جمع جمعا كبيرا من النصارى قاصدا
 الإسكندرية ، فارتقبه ٣ المسلمون و تهيأت له الترك المجردة بها ، و أبرروا
 أسلحتهم التى بها يقابلونه ، وهى من السيوف الهندية و الرماح الخطية
 و الدرق اللطية ٤ و الدبابيس اللتية و الأبطال المسنونة ٥ و التراس المدهونة ٦
 و القسى الموتورة ٧ و الأعلام المنشورة ٨ مع ما هيؤه ٩ له من النفط
 ١٠ و المدافع و أكر الرصاص التى ترمى عليه بالمقامع ١١ ، مع المجانيق الغضبانة ،
 و الحجارة الصوانة ، و الخيول المضمرة ، و الفرسان المنمرة ، و العساكر

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى هامش بن : سنة ٧٦٨ ، و دجمة « بالإسكندرية » ساقطة من بن .

(٣) فى بر : فارتقبته ، و فى بن : فارتقبت له .

(٤) كذا فى بر ، و هى فى بن : المطلية .

(٥) فى بن : المردية .

(٦-٦) ساقطة فى بن .

(٧) فى بن : المحنية .

(٨) فى بن : المشهورة .

(٩) فى بن : هيوا .

(١٠) فى بن : بالمقالع .

المسعوده ، التي ^١تلتهب على لقائه كلهب النار^١ الموقودة . وقد صار على تلك العساكر الإسلامية المجردة بالإسكندرية ^٢البهجة و السرور ، والضياء والنور ، ما يتعوضونه ^٣عن ظلمة القبور ، ويجدون ^٤ثمرته في يوم الحشر والنشور ، ^٥أظهروا ذلك ليروموا^٥ قتال القرسى^٥ إن حضر ، يذيقونه بها العذاب الأكبر . وقد قلت في عساكر المسلمين و جيوش ^٥الموحدين آياتا وهي :

قد تجلّى على^٦ العساكر نور^٦ و ضياء و بهجة و سرور
عسكر قد حوى لكل سلاح ماله في السلاح أصلا نظير
إن رأيت السلاح^٧ خلت المنايا كامنات و حثها محرور
أو رأيت القسى شاهدت سهما غاديات مثل السحاب تمور ^{١٠}
لم تزل في انحائها راسخات ^٨فاذا عولجت^٨ فورد^٨ نمير
قوسها دائم على كل حال مستمر مهيأ موتور

(١-١) في بن : صارت للقاءه كالنار . وفي بر « تلهب » بدل « تلتهب » .

(٢-٢) في بن : بهجة و سرورا و ضيا و نورا ما يتعوضونه .

(٣) في بن : ويجنون .

(٤-٤) في بن : اطهروها يروموا .

(٥) مكررة في بن .

(٦-٦) في بن : عساكر الاسلام .

(٧) في بن : السيوف .

(٨-٨) ساقطة من بن .

[١٦٩: الف] بسهام مسقية إن تحلت عن قسيها ترى الشرار يطير
 معها من لوالب الجرخ ما لو قابلتها الأسوار ذلك السور
 كم بها من مصفح من حديد زردياتها لها تقدير
 ثم يضاتها الصقيلة في الشمس عيون الفرنج منا تغور^٢
 ٥ درقها اللط^٢ و الطوارق صا رت كرياض زهرها مشور
 ودبايسها مع الطبر الحد لها في جماجم تكسير
 وبها من سناجق شبه سرو و عاليات أعلامهن حرير
 وخيول ما مثلها من خيول و رجال ضراغم ونسور
 و مجانيق قد رمت بحجار كجبال إلى الفرنج تسير^٣
 ١٠ فترى الكافرين أمسوا حيارى و جناح لهم غدا مكسور^٤
 "يا إله الورى دعوتك جهرا ان قلبي مما جرى مكسور"
 اشف قلبي بغزوة في النصارى وانتصر للإسلام أنت^٥ النصير
 فالقبرسى إن عاد مرة أخرى إلى الإسكندرية رأى في نفسه كل

(١) في بر : مهى ، و في بن : كواكب .

(٢-٢) مطموسة بالترميم في بن .

(٣) في بن [١١٥ : ب] : العا .

(٤-٤) الأبيات ساقطة من بن .

(٥-٥) ورد البيت في بن و هو ساقط من بر .

(٦) في بن : فانت .

مصيبة و بلية قاله تعالى يخذله و يهلكه ، و يجعل إلى النار الجحيم مسلكه . فان عاد بجنوده نكس المسلمون^٢ الصليبا^٣ و بنوده^٤ . و قد قلت أياتا متفائلا؛ بها كما قيل الفأل^٥ موكل^٦ بالمنطق و هي :

إلھنا للمسلمين بالظفر من أعادى الله عُبَّاد الصور
فهم الإفرنج لما أن طفوا و بغوا صاروا على الأرض عبر
بسيوف المسلمين فاشتقى^٧ كل قلب منهم^٨ بمن كفر
جرَّعوا كأس المنون إذ غدوا^٩ جيشهم مقللا قد انكسر
ذبحوا ذبجا فصاروا مثل ما يذبح بالسكين ثيران البقر
و غدا بعضهم في الأسر قد سُلِّسَتْ أعناقهم فلا مفر^٩
ما نجا منهم غلام بالذى قد جرى حتى يرد بالخبر
اذكر الآن الذى جمَّعهم و بهم للتغر إن جا و حضر
فهو كلب اجر ب من قبرس فى علوج طعم نيران سقر

(١-١) فى بن : طريق .

(٢) فى بن : نكست المسلمون ، و هي فى بر : نكست المسلمين .

(٣-٣) فى بن : صليبان أعلامه و بنوده .

(٤) فى الأصلين : متفاولا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : موكل .

(٧) فى بر : فاشتقا ، و فى بن : واشتنى .

(٨) فى بن : غدا .

(٩) فى بن : صفر .

محو ثغر المسلمين فاغتندوا طرحا في الأرض من ضرب الطبر
فالتويرى قال ذا تفاؤلا قبل أن يأتى وللقال أثر
أسأل الله بجاه المصطفى سيد العالم من نسل مضر
[١٦٩: ب] أن يحقق كل ما قلته في الذى للسليين قد عقر
٥ اخرج ٢ اللهم أرض قبرس و اقل اللهم جمع من كفر
وانصر الإسلام نصرا دائما أنت أولى من به الدين انتصر
ثم بعد ذلك ٣ ورد الخبر إلى الإسكندرية بأن الملعون قصد طرابلس
الشام ، و فعل بها ما سيأتى ذكره مفصلا إن شاء الله تعالى .

[مقتل بطرس لو سنيان سنة ٧٧٢]

١٠ ولما كان في شوال سنة اثنتين^٢ و سبعين و سبعمائة أتى الخبر إلى
الإسكندرية بأن البرنز أخو رير بطرس "صاحب قبرس" قتله ، فقالت
أهل الجزيرة : لقد استرحنا من الفتن و آخذ^٦ لأمواتنا بالقهر و تقيبه

(١-١) في بن : ما قد .

(٢) ورد قبل هذا البيت : ولما كان في شوال . و الجملة مشطوبة و قد جاءت
فيما بعد .

(٣) في هامش بر : في شوال سنة ٧٧٢ .

(٤) في الأصلين : اثنين .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : ولاخذه .

للفرنسيين و فتكهم^١ في حريم النصارى بما لا ترضاه الاساقفة و لا^٢
القسيسون^٣ . فهلك^٤ و قضى و مضت روحه إلى نار لظى . و بما قيل
في أمثاله :

يا مالكا خذ من أتاك و غلّه . و اقصص أنامله و شق المنحرا
و اعلم بأنك ما ظفرت بمثله . فيمن مضى أو من آتى متأخرا^٥
ما كان إلا طينة ملعونة بالرجس قد جُبلت و منها صورا
و قيل إن الملعون لما ظفر بالإسكندرية أرسل لابن عمه بجنوه
خمسائة^٦ من أسراها و أسرى غيرها ، و كان الذى بجنوه يهاديه
أيضا و يساعده على مقاصده ، و إن القبرسى بخل على أمرائه القبارسة^٧ ،
و كل شيء حصل له من الإسكندرية هادى^٨ بأكثره الملوك و أحرم^٩
أمراءه^{١٠} منه و قرب الفرنسيين ، ثم إنه قال للقبارسة : أريد السفر بكم
إلى الشام أغازى أهلها . فصعب ذلك عليهم ، لعدم احسانه إليهم ، و كانت
مقاتلته تلك^{١١} نجبرا بهم . فاتفقوا مع أخيه البرنز عليه . و ذلك بعد

(١) في بن ، و فتكه .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : القسيسين .

(٤) زيد في بن : الملعون .

(٥) في بن : قوة كثيرة .

(٦) زيد في بن : لعدم عطاياهم .

(٧) كذا في بن ، و هى في ير : هادا .

(٨) في الأصلين : أمراؤه .

(٩) زيد في بن : لهم .

وقعة^١ طرابلس و بلد اياس ، و قالوا له : انظر ما يفعل با أخوك من
عدم إحسانه لنا و تعرضه^٢ بالحرب^٣ مع نهبه لأموالك و أموالنا ،
فان سمعت منا ما نقول لك من القول الذى فيه الصلاح كان لنا و لك
الحظ الاوفر^٤ . قال : و ما هو ؟ قالوا : قد أكثر أخوك الفتن كما علمت ،
و نهب أموالك و أموالنا^٥ بما هو يفعل ، و قصدنا الإراحة^٥ منه ،
و^٦ نتعصب لك^٦ و نملكك رقابنا لتخمد الفتن ، و نصطلىح مع صاحب
مصر لتصير بضائعنا تباع بالإسكندرية ،^٧ لتربح فيها^٧ الفوائد القوية ،
كما كنا أولا و نجبر فيها أيضا بضائعنا الكاسدة ، التى صارت بفعل
أخيك فاسدة ، فما تقول فى ذلك ؟ قال : أخاف إن طاواعتكم تغدرونى^٨
١ و تسلبونى و لا ترحونى . فحلفوا له على الإيجيل الجليل^٩ أنهم ينصرونه

(١) فى بن : وقعت .

(٢) فى بن : بالحرب .

(٣) زيد فى بن : و السعد الأكبر - و يتلوها كلمات مطموسة بالترميم .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : الراحة .

(٦-٦) فى بن : و نقوم معك .

(٧-٧) فى بن [١١٦ : الف :] لتحصل لنا .

(٨) فى بن : تغدروا بى .

(٩) ساقطة من بن .

ولا [١٧٠ : الف] يخذلوه ولا يسلموه ١ . فقال لهم : إذا كان ذلك فهيؤا لي جماعة أستعين بهم على قتله ٢ . فهيؤهم له ٣ ، فكتب كتبا وختمها ، و أتى بهم في الليل إلى دار ٤ أخيه الملك ربير فاستأذن عليه ، فأذن له فدخل ٥ فقال له : إن ابن عمك أرسل لك رسلا معهم كتب ٦ وهم بالبواب فدعى ٧ بهم . فلما وقفوا بين يديه هجموا سرعة عليه قطعوه ٨ قطعا بخناجرهم ، وضموه في فراشه ، ووضعوه في خرستان ٩ و غلقوه ١٠ عليه . فلما أصبح الصباح شاع الخبر بقتل الملك و جلوس أخيه ١١ البرنز على كرسى الملك ، ١٢ بعد أن نودي ١١ في البلد أن السلطان البرنز يقول لكم : يبعوا واشتروا و خذوا وأعطوا . فعلت الناس أن ربير الظالم الغاشم قتل ، ففرحوا لقتله لكثرة أذاه لرعيته وجوره ونهيه ١٠

(١) زيد في بن : لأعدائه .

(٢) في بن : فاذا .

(٣-٣) في بن : فهيؤا له ذلك .

(٤) في بن : قصر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في الأصلين : كتباً .

(٧) في الأصلين : فادعى .

(٨) في بن : خزانة .

(٩) في بن : و غلقوا .

(١٠) الكلمة ساقطة من بن .

(١١-١١) في بن : ونودي .

لأموالهم ، و إفساده^١ لأحوالهم . فاستمر البرنز سلطانا ، فسمع ابن عمه الذى بجنوه بقتل البرنز لأخيه ريير ، فشق ذلك^٢ عليه ، فعمّر خمسة وعشرين غرابا ليأخذ بثأره منه . فلما بلغ البرنز ذلك أعرض جيشه و نفق في أربعة آلاف فارس و راجل ، و مدّته الذين كانوا السبب في قتل الريير^٣ بالأموال و هم منتظرون قدومه^٤ "إليهم و وروده" عليهم بسبب الحروب^٥ و الطعن و الضرب^٦ ، و أهل الجزيرة بأجمعهم خائفون مرعوبون ، قد دفنوا أموالهم ، و تأهبوا للقتال ، و الحرب و النزال - و الله أعلم بما سيكون بينهم من الحروب^٧ .

(الأشرف شعبان و حراسة الإسكندرية و دمياط)

١٠ فلما بلغ السلطان الملك الأشرف شعبان^٨ ذلك أرسل الأمراء من القاهرة إلى ثغرى الإسكندرية و دمياط لحراستها خشية أن تكون حيلة و مكيدة على بلاد^٩ المسلمين . فأتى إلى الإسكندرية من الأمراء

(١) في بن : و لا فساد .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : ريير .

(٤) في بن : حروبه و قدومه عليهم .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : القتال .

(٧-٧) في بن : و خاف أهل الجزيرة بأجمعهم ، و دفنوا أموالهم و اثاثهم ، و تأهبوا للحرب و النزال . و في بر : خائفين مرعوبين .

(٨) الأشرف ناصر الدين شعبان و حكمه ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م .

(٩) في بن : سواحل .

أُسْنُبُغا بن البوبكرى و قطلبغا المنصورى و الأمير المعروف بسيدى
 ابن عمه^١ السلطان الملك الأشرف شعبان، و آت^٢ أيضا لها^٣ أروس البشتكى
 و الأمير ابن تفرْدُمر و الأمير شرف الدين بن الأزكشى و الأمير أخو
 أتبغا جلب و الأمير مبارك الطازى بأجنادهم و عماليكهم، فكان دخولهم
 الإسكندرية^٤ مستهل ذى القعدة سنة اثنتين^٥ و سبعين و سبعمائة غير من ٥
 هو بها مقيم مثل ملك الأمراء صلاح الدين خليل بن عرّام^٦ و تمرّاز
 أمير حاجب و بكتمر العلوى^٧ أمير حاجب أيضا بما معهم من الأجناد
 و الممالك إلى غير ذلك من قياد الصناعة و رماة^٨ القاعات المتطوعة و العربان
 المركزة ظاهر^٩ الإسكندرية و يباطنها أيضا الألوف المؤلفة من أهلها و الغرباء^{١٠}
 التى صارت مقيمة بها و مهياة^{١١} للحرب^{١٢} [١٧٠ : ب] فيها، و كلهم ١٠
 طالبون^{١٣} الجهاد فى سبيل الله، و ما النصر إلا من عند الله . فلم يأت

(١) فى بن : عم .

(٢-٣) فى بن : إليها أيضا .

(٣) فى هامش بر : مستهل ذى القعدة دخولهم سنة ٧٧٢ هـ .

(٤) فى الأصلين : اثنتين .

(٥) فى بن : العرام .

(٦) فى بن : العلائى .

(٧) فى الأصلين : و رماة . بالتاء المفتوحة .

(٨) فى بن : بظاهر .

(٩) فى بن : و العربان .

(١٠) فى الأصلين : مهية .

(١١) كلمة « للحرب » مكررة بالصفحة التالية .

(١٢) فى الأصل : طالبين . والكلمة صححت بقلم غير قلم النسخ .

أحد من النصارى للاسكندرية ولا دمياط، حين بلغهم كثرة الرباط .
ولما كان في سنة خمس و سبعين و سبعمائة^١ تحركت الجنوية^٢ على قبرس،
أخذوها^٣ من القبارصة بعد أن قتلوا من أهلها خلقا^٤ كثيرا، و ملكوها
منهم، و أخرجوا البرنز منها منقيا إلى بعض^٥ الجزائر .

• (عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة)

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته :

و حقلك عندي للفرنج مكائد فليت ولي الأمر يدري بما^٦ أدري
فن لي بأسطول به أهل سبته^٧ بغربانهم مثل النور إذا تسرى
يعنى يولى الأمر إذ ذاك الأمير الاتابكي يلغا الخاسكى . قصد بقوله
١٠ ذاك تعريفه مكائد حرب البحر، و تلك المكائد تعرفها أهل سبته و من
جاورهم من المسلمين . و الفرنج التى بجزيرة الأندلس^٨ يخشونهم لحدقهم^٩
و معرفتهم بقتالهم و غربانهم المرصدة لذلك . و قصده أيضا تحريض
الأمير يلغا على تكثيره بالإسكندرية^{١٠} قياد المغاربة لأنهم فرسان البحر

(١) فى هامش بر : سنة ٧٧٥ .

(٢ - ٣) فى بن : اخذت الجزيرة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : غيرها من .

(٥) فى بن : ما .

(٦ - ٦) فى بن [١١٦ : ب] : شريهم ما رقيم (!!) .

(٧) فى بن : بشفر الإسكندرية .

لا عتيادهم لذلك . وقيل إن عدة أبواب^١ سبته أحد^٢ و ثلاثين بابا ،
واحد^٣ للبر و^٤ البقية لدار^٥ صناعتها للبحر ، و داخل كل باب منها غراب
راكب على حماره الخشب المعتدل^٥ . فاذا جرت حركة مع الفرنج أو أتتهم
بأفروطة^٦ ، أخرجت القياد تلك الغربان بجرهم حمرا ، فترى تلك الغربان
البحر دفعة واحدة ، و شحنت^٧ برماتها و قيادها و أسلحتها و أزوادها ، و قد
صاروا على الكفار ، كاشتعال النار . فاذا كان بالإسكندرية^٨ مثلهم ينفق
عليهم كل شهر نفقتهم الكافية لهم ، حفظت بحفظ الله^٩ دارها ، و اتقى^{١٠}
عنها عارها و شنارها^{١١} .

(مدينة سبته و خليجها)

و مدينة سبته^{١٢} محاذية لجزيرة الأندلس ، بينهما تعدية الخليج المعروف ١٠

- (١) زيد في بن : مدينة .
- (٢) في الأصلين : احدى .
- (٣) في بن : واحدا .
- (٤ - ٤) في بن : و الباقي من دار .
- (٥) في الأصلين : المعتدلة .
- (٦) في بن : افروطة - بسقوط باء البحر .
- (٧) في بن : قد شحنت .
- (٨) في بن : بصناعة الاسكندرية .
- (٩) زيد في بن : تعالى .
- (١٠) كذا في بن ، و هي في بر : و انتفا .
- (١١) كلمة « و شنارها » ساقطة من بن ، و زيد بعدها : لكن كان ذلك الكتاب
مسطورا و كان أمر الله قدرا مقدورا .
- (١٢) في الطامش^١ و مدينة سبته .

بزقاق سبتة ، وبه القنطرة التي بناها بعد حفره له الإسكندر ، فعلا القنطرة الماء لقوة دفعه من البحر المحيط ، فصارت القنطرة تُرى من أسفل الخليج لصفاء الماء . وذلك أن الإسكندر فتح هذا الخليج كما قيل يُغرق به بلاد الكفار ، فمر الماء على بلادهم وأرضهم ، فغرق منها الأراضي المنخفضة ، وصارت الأراضي المرتفعة جزرا بجزيرة قبرس و جزيرة رودس^١ و جزيرة سردانية^٢ و جزيرة صقلية و جزيرة رواد و جزيرة اغروه و غيرها من الجزائر^٣ العديدة . وسيأتي ذكر هذه الجزر وما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

وقيل إنما حفر الإسكندر هذا الخليج من البحر المحيط سوى ١٠ لسفر القراقر يبضائعها إلى سائر الثغور [١٧١: الف] لعسر نقلها من بلاد الروم إليها في البر ، لأن القرقورة الواحدة تحمل من البضائع^٤ ما تحمله المئين من الإبل^٥ ، وسير القراقر بالريح العاصف^٦ لأنها تسير به^٧ في الأمد اليسير^٨ ما لا تسير به الإبل في الأمد الطويل^٩ . وقيل إن الإسكندر لما قصد حفر هذا الخليج المعروف بزقاق سبتة لم تعمل المعاول في

(١) في بن : و اراضيهم .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الجزر .

(٤-٥) في بن : ما لا تحمله الإبل أكثره (كذا) .

(٥-٥) نقلا عن بن ، والجملة ساقطة من بر ويكتمل بها الكلام .

(٦-٦) نقلا عن بن ، والجملة ساقطة من بر ويكتمل بها الكلام .

أرضه لتحجيره^١ و صلابته ، فسأل الحكماء في^٢ ذلك فقالوا له : تأمر بجمع
الخطب الكثير فتضعه^٣ على أرضه و تطلق فيه النار ، فاذا صار جحرا
أطفئ^٤ ذلك الجحر بالخل فيسهل حفره . ففعل ذلك فارتخى . حفره
و تهيأ حفره . ثم بنى قنطرة يمشى عليها من بر سبتة إلى بر الأندلس . فلما
جرى الماء في ذلك^٥ الخليج ركب الماء^٦ القنطرة لقوة جريانه و كثرته ،
فعلا عليها فغرق^٧ المنخفض من الأرض ، و صار المرتفع منها جزرا
فيها عيون فيها^٨ مياهها العذبة الجارية بها ، تجري على حالها .

(البحر الأعظم و كروية الأرض)

قال صاحب كتاب عجائب اللدان : زعم كثير من الفلاسفة و أهل
العلم بالهندسة^٩ أن البحر الأعظم يحيط بالأرض من جميع جهاتها ١٠

(١) في بن : لتحجيره .

(٢) في بن : عن .

(٣) في بن : وتضعه .

(٤) كذا في بن ، و هي في بر : طفى .

(٥) في بر : فارتخا - و في بن : فارتخا - بسقوط الرء .

(٦) زيد في بن : من البحر المحيط .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : فعرض .

(٩-٩) في بن : علم الهندسة .

لأسرار ذكروها، و ذلك أن الشكل الذي ينسب إلى العنصر المائي السيلال
الجوهر^١ و هو شكل ذو ثمان قواعد مثلثات متساوية الاضلاع قائمة
الزوايا و يسمى كعبا و هو شكل الارض على رأى أفلاطون و كثير من
القدماء و ذلك صحيح فجرم الماء و مقداره أعظم من جرم الأرض
ه و أكثر كمية على ما تبينوه . و قد نقل عن بعض المؤرخين أن أحد
ملوك الأرض أراد أن يعلم صحة ذلك فأنشأ سفنا ضخمة حصينة و شحنها
بالرجال و الأزواد و الماء العذب و المال و أرسلها نحو المشرق و المغرب
و الشمال و الجنوب ، فأصابوا جميع أجزاء الأرض ، يتصل بعضها ببعض ،
و وجدوها كلها تتشعب من البحر المحيط .

١٠ و أعلم أن الأرض كرية الشكل^٢ ، و الحكمة في ذلك أنها لو كانت
مسطوحة كلها لا غور بها و لا نشز يحزقها لم يكن نبات و كانت مياه
البحر سائلة على وجهها فلم يكن للزراع موضع و لم يكن لها غدران^٣ يفضى
مياه السيول إليها و لا كانت لها عيون تنبع بالماء أبدا لأن مياه العيون
لو كانت فيها تخرج دائما لفنيت و لصار الماء أبدا غالبا على الأرض فكان
١٥ يهلك الحيوان و لا يكون زرع و لا نبات ، فجعل عز و جل منها أنجادا
و منها أغوارا و منها أنشازا و منها مستوية . أما أنشازها فمنها الجبال

(١) في بن : الجوهرى .

(٢) في هامش بر : الأرض كرية الشكل و حكمة ذلك .

(٣) في بن [١١٧ : الف] : غدرات .

الشائعة و منافعها الظاهرة ^١ في قوة تحدر السيول منها فتتهى ^٢ إلى الأرض البعيدة بقوة جريانها [١٧١ : ب] و لتقبل الثلوج فتحفظها إلى أن تنقطع مياه الأمطار و تذيبها الشمس ^٣ فيقوم ما يتحلب منها مقام الأمطار ، و لتكون الآكام و الجبال جواهر للياه لتجرى ^٤ من تحتها و من شعوبها و أوديتها فتكون منها العيون الغزيرة ليعتصم بها الحيوان و تسخدها ^٥ مأوى و سكنى ، و لتكون مقاطع و معازل و حواجز بين الأرضين من غلبة مياه الأمطار عليها - فسبحان المدبر الحكيم !

[الجواهر الأربعة والأغذية]

و اعلم أن الأرض من أربعة جواهر* : من الرمل و الطين و السبخ و الأملاح ، و جوفها أطباق يتحزق فيه الهواء و يحول فيها ، ١٠ لأن الماء جسم سيال حول الأرض ، و الهواء جسم لطيف سريع الحركة في الجهات ، فتمكن فيها الهواء كان عذبا شروباً ، و ما امتنع الهواء من التمكن فيه و غلبت عليه أملاح الأرض و سبخها ^١ صار ملحا أجاجاً .

(١) في بن : ظاهرة .

(٢) في الأصل : فينتهى .

(٣) في بن : الشمس .

(٤) في بن : ولتجرى .

(٥) في الهامش : الأرض من أربعة جواهر .

(٦) في بن : وسبخا .

فالجزر ارتفعت عن الأرض ، و مياه العيون في الأرضين كالعروق في
البدن تتفجر فيها . و الهواء^١ عنصر لأبداننا و أرواحنا و محيط بنا فهو
شديد التأثير فينا ، فيجب تعديله في حره و برده ، و يحترس من استنشاق^٢
ما يخالطه من شوائب رديئة^٣ كال دخان و الغبار و آسن الماء و تنن الجيف
و أبخرة المباقل الرديئة^٤ و الأشجار الخبيثة و شر تغيرات الهواء و الوباء^٥ ،
و هو تعفن جوهر^٦ الهواء ، فتعفن الأرواح التي في القلب ، ثم الأخلط
بتوسطها ، و تدبيره أن يستفرغ البدن إن أحس بامتلاء بحسب ذلك
الامتلاء ، ثم يعدل المزاج بماء الرمان الممزوج بالسكر أو شراب السكنجبين
الساذج أو الحامض أو الرمانين ، و يهجر الجماع ، و يفرش مسكنه بالأس
١٠ و يرش بالخل ، و يوقد فيها خشب الطرفاء ، و ييخر بالصندل^٧ و الكافور
و العود و اللبان و الورد و الميعة ، و يقتصر على الأغذية اللطيفة المعتدلة
المزاج كالفراريج زيرباجه أو بماء الرمان المز أو بماء الليمون
أو الحماض أو الحصرم ، و يهجر الفواكه خلا السفرجل ، و يطرح في
المشروب الطين الأرمني ، أو يمزج بيسيرخل ، و يقلل الشرب ما أمكن ،

(١) في الهامش : مطلب يتعلق بأيام الوباء والطاعون و يطلب من الاستعمال .

(٢) في بن : الاستنشاق .

(٣) في الأصلين : ردية .

(٤) في الأصلين : الردية .

(٥) في هامش بر : الوباء .

(٦) في بن : جواهر .

(٧) في هامش بر : مطلب ما يستعمل في زمن الوباء والطاعون على رأي الحكماء .

ويتناول في بعض الأوقات هذا الدواء وصفته : صر سقطرى جزءان ، وزعفران جزء ، مرّ صافي جزء ، يؤخذ من جملة نصف مثقال بماء ورد .
وينبغي 'الاقتصار على الأغذية المعتدلة أو ما قاربها مثل خبز الحنطة المحكم الصنعة و لحوم الحوّل من الضأن و الدجاج و الاوز ' و الحجل و الدراج و فراخ الحمام النواهض و صفرة البيض نيمرشت و الزبد الطرى ٥ و السمن الحلو و الفواكه في أوقاتها ، و لا يتعرض للأغذية التي هي ٢ [بن ١١٧ : ١] بالأدوية أشبه إلا لضرورة و ذلك مثل الخردل و الشراب و القديد و السباق ، [بن ١١٧ : ب] و يحذر ما استعد للعفونة كالصبر و الصحناء و ما يحرق الدم عكره كالتمر إلا في بلاده و الشواء المغموم

(١) في هامش الأصل (بر) : أشياء تحفظ من المأكّل .

(٢) في بن : و الأرض .

(٣) تقع هنا بلفظة كبيرة في بر وهي واردة في بن من ١١٧ : الف إلى ١٢٤ : الف . وربما كان إسقاطها معنيا من ناسخ بر نظرا لما يتخللها من الصعوبات و ما يعتورها أحيانا من الخلل في اللفظ و المعنى . و لكننا آثرنا إدماجها في النص المنشور على علاقتها لكثرة ما بها من معلومات متفرقة لا تخلو من الفائدة . و يلوح من الأخطاء اللغوية و غيرها أن ناسخ بن لم يكن من العلم بمكانة صرموقة ، و قد حاولنا بقدر الاستطاعة أن نجعل نصه مفهوما مستساغا بدون مس ما فيه من أخلاط . و من المؤسف أن هذا القسم من النص غير وارد في مخطوطات أخرى كان من الممكن أن تساعد في تحقيق ما جاء به من الملاحظات عن طريق المقارنة .

(٤) كذا في الأصل ، و الكلمة غير منقوطة ، و أغلب الظن أنها « الصحناء » و يقصد بها « السردين » على ما جاء في معجم Hans wehr و قاموس سر كيس .

و الألف على الألفاظ^١ فيقدم البقول المسلوقة على البيض والبيض على اللحم من الطير والطير على لحم ذوات الأربع، ولا يدخل طعاما على طعام، ولا يأكل بغير شهوة، ولا يدافع الشهوة الصادقة، ولا يتحرك بعد الغذاء إلا يسيرا قدر ما يحذوه لا ما ينفذه فجأ [كذا]،^٥ وتكثر الألوان محير للطبيعة، واللذائذ أحد لولا الإكثار منها^٢، وملازمته النفد يسقط القوة ويكسل، والحامض يخفف ويسرع الهرم ويضر العصب، والحلو يرضى المعدة ويحمى الأبدان، والنفد والرسم المالح أو الحريف بالصد، وملازمة الحمية ينهك القوة بل هي في الصحة كالتخليط في المرض، وينبغي أن تنوع الأطعمة بحسب الفصول فيؤكل ١٠ في الربيع الاسفيداجات^٣ والمعرقات والفائرية والفقاعية ونحوهما، ويؤخذ في الصيف اللينة والمضيرة والملوخية والبامية والتفاحية والمشمشية والسفرجلية والسماقية والحصرمية والتوتية والحماضية والليمونية، وتقدم الفاكهة الملونة على الطعام كالغلب والتين والبرقوق والكمثرى والسفرجل إلا لمن به زلق معدة، وأما البطيخ فلا يؤخذ ١٥ مع غذاء آخر فيفسده، ويؤكل الجوادب الدسمة وشوربا القمح والاوز

(١) في الأصل بدون تقط «الألفاظ».

(٢) في الأصل : منه .

(٣) في حالة ورود ألفاظ غريبة مثل «الاسفيداجات» و «الفائرية» وغيرها مما لا نعرفه ولا ذكر له في المعاجم السائرة آثرنا نسخ اللفظ كما جاء في النص بالحرف الواحد آمليين أن يتمكن العلماء والدارسون من فك رموزها أو تصحيحها فيما بعد .

بحليب البقرة والزبد بالسكر، ويؤكل في الشتاء الهرائس والرشتا الخنير والأرز
 المفلقل والقلقاس والجرز واللفت والقلايا المبزرة والمطيب بالمزى
 المغربي والشواء والكبب ولحوم الطير والوحش حارة بالفعل، ويتناول
 اليسير من اللحوم المعتدلة، ويتنقل بالزبيب والفسق واللوز والبندق
 ويحوها . وأما المياه فأفضلها مياه الأنهار العذبة الشديدة الجرية على
 الأرض الجرد مستقبلة الشرق أو الشمال، وإنما ينبغي أن يشرب
 عند العطش الصادق قدر الرى من غير زيادة عليه من الخالص البارد،
 فإن الفاتر قليل الرى مغنى شرخ المعدة، ولا يشرب عقيب الطعام بل
 يتربص بعده المحرور نصف ساعة ساعتين وما دام الطعام
 في المعدة فلا يشرب غير الماء، وأما في حله فردى جدا إلا من اعتاده،
 ويكره الشرب في الحمام وعقبه وعقيب الجماع والحركة ومن عطش
 بعد نومه لثلا يكشف قدميه ويعرضهما للنسيم البارد، ويرخص في
 الشرب على الصوم المحرور والمحروم فقط، والماء الصادق البارد يقوى
 المعدة ويجمعها على الطعام ويجزى القليل منه في تسكين العطش اليسير
 ويمنع من تعفن الدم وأن تصعده البخارات إلى الرأس، ويحفظ بالجملة
 الصحة غير أنه لا يصح لمن به ^١ نزلة يحتاج ^٢ إلى نضج ولا لمن به زكام
 يكثر ولا لمن به ورم يحتاج إلى أن ينضج، والماء الحار
 الهضم الطعام في أعالي المعدة ويبطئ تسكين العطش ويؤدى

(١) هنا جملة مطموسة في الأصل .

(٢-٢) مطموسة جزئيا في النص ولكن يمكن قراءتها على هذا النحو .

(٣) مطموسة بالأصل .

إلى الاستسقاوة وهو ردىء فى حفظ الصحة ، و الماء المالح يسهل البطن
و يعقله من بعد و يولد الحكمة و الجرب و يفسد الدم و المزاج ، و المياه
الردية تذبل الأجسام . و النوم راحة الأعضاء و القوى كلها و يعين
على الهضم ، و نوم الليل يكون بأى ساعات و نوم النهار يخرق الفم
ه و يفسد اللون و يولد الدهن ، [بن ١١٨ : الف] و السهر يسيء الهضم
و يحلل الأرواح و يضعف القوة لا سيما لمن اعتاده .

[جزر بحر الروم]

فلنذكر الآن بعض جزر البحر الرومى : جزيرة قبرس و هى تسمى
بلغة الروم شيبرا^١ و البحر يحيط بها مائتا ميل و الميل أربعة آلاف ذراع
١٠ و الذراع أربعة و عشرون أصبعا و الأصبع ست شعيرات مضموم بعضها
إلى بعض ، و الفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال . و جزيرة قبرس من الإقليم
الرابع من جملة الأقاليم السبعة . و سلطانها يقال له باللغة الرومية
٣ ارادا شيبرا^٢ تفسير ارادا سلطان و شيبرا^٣ الجزيرة ، و قبرس مدينة
الجزيرة المذكورة ، و قيل إن قبرس تسمى الماغوصة^٤ و عليها سور

(١) فى الأصل : بانى .

(٢) بالفرنسية Chypre .

(٣-٣) الغالب أن المقصود هنا Rey de Chypre .

(٤) فى الأصل : شيرا .

(٥) هى Famagusta إحدى موانى جزيرة قبرس على الساحل الجنوبي
الشرقى المواجه للساحل المصرى .

محيط بها ويمتد سلسلة تحفظ مراكبها . وقيل إن جزيرة قبرس مسيرتها سبعة أيام ، وجزيرة قبرس من ١٠٠٠٠ منها رأس الباف ، ورأس المنجل ورأس الأبيض اللسون ٣ والانيك ، والملاحنة واكمينية . وجزيرة قبرس بها جبال شاهقة ٦٠٠٠ وأعين ماء جارية . وجزيرة قبرس مدينة يقال لها الأفقية داخل سورها بساتين ، وصاحب قبرس نازل بها في قلعة ، و بالجزيرة أيضا قلعة يقال لها الشريفة وهي بمن للفرنج . و بالجزيرة أيضا دير يقال له اللسون ٣ في جبل وعرة ، وقيل إن جزيرة قبرس اثنا عشر ألف ضيعة كبار وصغار ، وبمدنها وقراها من الكنائس والديورة والقلال والصوامع كثير ، وبها المعادن والبساتين المشتملة على الفواكه المختلفة الطعوم والرياحين العطرة ١٠ كالخزام والقيصوم والبهار والمنثور والورد والياسمين والشوسان والنرس والنجس والريحان والاقحوا وزهور شقائق النعمان الكثير . و جزيرة قبرس غربي بلاد الشام في البحر مغلصة وحدها ولها ذنب مستطيل نحو الساحل مما يلي دمشق وغربها أعرضها ، وبمدنها الأسواق

(١) ياض بالأصل .

(٢) على مقربة من مدينة Paphos الواقعة على الساحل الغربي للجزيرة .

(٣) ميناء Limassol أو Lemesos وعرفت قديما باسم Neapolis .

(٤) ولعلها مدينة Aliko المعروفة باسم Larnaka على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة .

(٥) ولعلها Kyrenia مدينة على الساحل الشالي للجزيرة .

(٦) ياض الأصل .

(٧) عاصمة الجزيرة Nicosia وتعرف أيضا في اليونانية باسم Lefkosia .

و الحفانات و الحوانيت و الحانات و الدور العالية و الحمامات تدخلها العلوج و الدامات ' .

[الحمام: منافعها ومضارها]

وقد تقدم في هذا الكتاب الوعد بذكر الحمام ' : منافعها ومضارها .
فلنذكر الآن ما تيسر ذكره منها . إعلم أن خير الحمامات ما قدم بناؤه
واتسع هواؤه وعذب ماؤه ، فالييت الأول مبرّد مرطب ، والثاني
مستحّج مجفّف ، ونعم البيت الحمام ينعم البدن ويذكر الآخرة ، وبئس
البيت الحمام يقل الحياء ويبدى العورة . قال ابن أبي زيد ولا يقرا في
الحمامات الا بالاثاث اليسيرة ، وقال القاضي عبد الوهاب لأن الحمام
لا يدخل الا للضرورة ، وقد قيل انها من بيوت الشياطين و القراءة قرينة
(كذا) و فعل خير من افضل الطاعات فيجب أن تكون القراءة في أشرف
المواضع ، وما قاله ابن أبي زيد هو حير ، ولا يدخل الحمام إلا بمنزلة
لأنه يعترض عليه ستر عورته عن (النا) س ٢ ، ومتى دخل ذلك محتارا
كان فاسقا لم تقل شهادته ، وأما دخول الحمام مستترا مع من لا يستتر
فلا يجوز ولا يحل فان ستر العورة فرض ، والنساء في هذا بمنزلة
الرجال ، ولا تدخله المرأة إلا عن علة ، وان المرأة ليست كالرجل لأن
جميع بدنها عورة لا يجوز لها إظهاره لا للرجال ولا للنساء . قال سحنون :
لا تدخل المرأة الحمام حتى تستر جميع بدنها . و اعلم أن الحمام لها منافع

(١) واضح أن الكلمة مأخوذة عن اللفظة الفرنجية (Dames) .

(٢) مطموسة جزئيا .

و مضار، أما منافعها فتوسع المسام و تستفز العضلات و تحلل الرياح
بت [بن ١١٨ : ب] سهولته عن هيبته و تنظف الوسخ و العرق و تذهب
الحكة و الجرب و الإعياء و التعب و ترطب البدن و تنضج النزلات
وتخرج من الداء ما لا يبلغه الدواء، و من منافعها أيضا تليين اللحم
و أعداد البدن للاغتذاء و بسط الأعضاء المشحطة و نش الرياح و انضاج
الزكام و تسهيل البول العسر و جبر الطبيعة المتطية . و قيل إن كل داء له
دواء إلا الحمأة لا دواء لها . قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحمأة أعيت من يداويها

و الحق قلة التنبه لطريق الحق، و الجنون غم ٢ عارض يعم العقل، و الوقاحة
هو أن يرتكب الباطل و يراه في صورة الحق و يدب عنه فيورثه ذلك
قسارة القلب كما قال تعالى: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
أو أشد قسوة ٣". و الرقيع الذي يلصق بقلبه كل محال كان، و الأرعن
الذي يأتي بما يخرج عن الصواب - انتهى .

نعود، قال بعض الأطباء: بولة في الحمام من قائم على قدميه أنقع
من شرب دواء . و قال الشاعر في معناه :

حامكم هذه نزاعة للهوى البول فيها قائما أنقع من الدوا

(١) الجملة مطبوسة بالترميم و لا يظهر منها غير الحرفين الأخيرين .

(٢) التمين في الأصل غير منقوطة .

(٣) قرآن كريم : ٢ : ٧٤ .

وقال بعض الأطباء: عليك بدخول الحمام في كل يوم فانه يخرج من الاطباق ما لا تصل إليه الادوية . ونهى عن الصلاة في الحمام حيث لا فوقن منه بطهارة و ذلك للنهي الوارد منه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الحمام لأنها تحل غسل النجاسات و لأنها مأوى الشياطين لما تكشف فيها من العورات او لأنه ليس من الابنية المختصة بالصلاة ، وإنما الغرض به إزالة النجاسات والافساخ فكرهت الصلاة فيه . وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: الأرض كلها مسجد إلا الحمام و المقبرة ، فان أمن النجاسة جازت الصلاة فيه . ويكره مع يقن الطهارة الخبر والتعليل فانه مأوى الشياطين ، وتكره الصلاة في المزبلة ومقابر المشركين وكنائسهم ، ١٠ فأما المزبلة فخشية النجاسة ، وأما المقبرة فان كانت للمشركين كرهت الصلاة فيها لتعذيبهم فيها و نزول السخط عليهم في قبورهم فكره المقام فيها أصلا فضلا عن الصلاة ، و أما مقابر المسلمين فان كانت لا تنبش جازت الصلاة ، وإن تحقق النبش لم تجز الصلاة لأن ذلك التراب محتلط بعظام الميت و صديده الا أن تجعل بينه وبينها حائل من حصير ونحوه فالصلاة اذن جائزة ، و أما الصلاة في الكنائس فمكروهة لعل منها النجاسة ١٥ لتعذيبهم بشرب الخمر (و أكل الخنزير) 'ير فلا يؤمن ذلك في كنائسهم ، ومنها التماثيل و التصاوير ، فأما في حال الضرورة فالجواز - انتهى .

[ذكر الاغذية]

نعود إلى ذكر ما قيل في الأكل وغيره ، إياك أن تأكل طعاما

(١) مطموسة جزئيا .

و في معدتك طعام ، و اياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغه فتعجز
معدتك عن هضمه ، و عليك في كل أسبوع بقيئة . قال ابن سينا : و في
كل أسبوع عليك بقيئة ففيها أمان من شرور البلاغم ، وإذا تغذى أحدكم
فليتم على أثر غذاه ، و إذا تعش فليمش أربعين خطوة ، و كل ما اكل
كثيرا تفسد معدته و يلحقه الريح و يصفر وجهه ، و كل من جامع ٥
كثيرا ضعف كلامه و نشفت معدته و أظلم بصره ، و من تعود العشاء
..... 'ستر حب ' و الدار فلفل و الدار صيني و الزنجبيل . و بما
يفسد العقل ٢ البصل و الباقلا و الزيتون و الباذنجان و الجماع الكثير
و الوحدة و الفكر و الشكر و الضحك الكثير و بقل الطين (كذا)
و الأكل على البطنية (كذا) و الشرب على الخوا . و من ذلك جسمه ١٠
بقشور الرمان في الحمام أمن الحكمة و الجرب . و أما مضار الحمام
فانها ترخي الجسد وتضعف و أعظم مضارها صب ماء الحار على ٣.....
(الض) حيفة ؟ و قد تستعمل الحمام على قرب عهد بالشبع فتسمن البدن
إلا أنها تحدث سدا ، [بن ١١٩ : الف] و أجود ما استعملت الحمام
على قرب عهد بالشبع بعد الهضم فانه يرطب البدن و يحسن اللون . ١٥
و من مضار الحمام تسهيل صب الفضول الى الأعضاء الضعيفة و هو
من أعظم مضاره ، و إرخاء الجسد و اضعاف الحرارة الغريزية
و الأعضاء العصبية بتحليل الروح النفساني عنها و إرخاء جميعا (كذا)

(١) بقية الكلمة مطموس . و بهامشه : مطلب فيما يفسد العقل .

(٢) في الهامش : مطلب فيما يفسد العقل .

(٣) مطموسة بالترميم و لعلها « الأعضاء » .

(٤) جائر قراءة الكلمة « ومددا » و فيها نهموض على كل حال .

وإسقاط شهوة الطعام وإضعاف المياه والنوم ، و السواك في الحمام مضر ، و السواك في غيره يذهب الحفرة و يحلوا البصر و يشد اللثة و يطيب الفم و ينتقى البلغم و يفرح الملائكة و يرضى الرب و يوافق السنة و يزيد في حسنات الصلاة و يصحّ الجسم و يزيد في الحفظ و ينبت الشعر ه و يصنى اللون . و ينبغي أن يستاك بالآراك و أن يكون السواك متوسطا بين اللين و الخشونة و يستاك عرضا فان الشيطان يستاك طولا إلا في اللسان فالسواك فيه طولا . و ينبغي أن يبدأ من الجانب الايمن من الفم و يجعل الخنصر من يمينك أسفل السواك و البنصر و الوسطى و السبابة فوقه ، و لا يقبض القبضة على السواك فان ذلك يوفر البواسير . ١٠ و ابلع من ريقك شيئا ~~فليطعمتاك~~ فانه ينفع من الجذام و البرص و من كل داء و لا تبلع بعد ذلك شيئا فان ذلك يورث العمى ، و لا ينفع السواك إذا وضعته عرضا و أنضيته نضيا ، فانه يروى عن سعيد بن جبير أنه قال : من وضع سواكه الأرض فجح من ذلك فلا يلومن إلا نفسه - انتهى .

[عود إلى الحمام]

١٥

نعود الى ما قيل في الحمام . اعلم أنه ليس في أحوال الدنيا ما يدل على الآخرة بل على الله تعالى و على قدر الإنسان مثل الحمام . يقول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما دخل الحمام بالشام : نِعَمَ البيت بيت الحمام يُنعم البدن و يُزيل الدرن و يُذكر الآخرة . و من هذا آثاره ٢٠ في العيد لا يكون له استعماله فانه نعم الصاحب و به سمي لأن الحمام

من الحميم و الحميم صاحب الشفوق . قال الله تعالى ” فما لنا من شافق
ولا صديق حميم “^١ أى مشفق ، و سعى حميما لحرارته ، و استعمل فيه
الماء لما فيه من الرطوبة ، فالحمام حار رطب طبع الحياة و به ينعم
البدن ، و بالماء يزول الدرن ، و يطيب عيش الانسان . قال الشاعر :

إن عيش الحمام أطيب عيش غير أن المقام فيه قليل
جنة تكره الإقامة فيها و جحيم يلذ فيها المقيـل

59366

و لبعضهم فيها :

أن حمامنا الذى نحن فيها بنيت من عقائد الافكار
٢ عاليات قباها طالعات يحومها بالنهار
فمجبنا منها و نحن جلوس فوق نار من تحتنا الماء جارى

٢

و لبعضهم فيها :

ارى الحمام موعظة و ذكرى لكل فتى أريب ٣ ذى ذكاء ٢
تذكرنا عذاب ذوى المعاصى و أحيانا نعيم الاتقياء
شقا هجر يشوب نعيم وصل و برد الماء فى حر الهواء
إذا ارضه التهبت بنار تبادر سمكه هطلا بماء ١٥
كصدر الصب جاش بما يلاق فلج الطرف منه بالبكاء

(١) قرآن كريم ٢٦ : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) آخر البيت السابق و أول هذا البيت مطموس .

(٣-٣) فى الأصل : ذو ذكار . و هو خطأ لفظى واضح من السياق و القافية .

و لبعضهم في الجلوس في الحمام :

و يجلس اخوان اذا ما تجمعوا تشابهه وغده و رئيسه
يفرج كربي أن تراه بكربه و يؤنسى إن قل فيه أنيسه
ومهما أعت الجوط في تبادرت الى به أقاربه و شموسه
٥ و جاء بعضهم حماما حارا فقال :

و حمام دخلناها لأمر حكمت سقرا و فيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولون أخرجونا فان عدنا فانا ظالمونا
و هجا بعضهم بلانا كثيفا فقال :

أشكو الى الله بلانا بليت به مست أنامله ظهري فأدماي
١٥ فلا يدلك تدليكا بمعرفة و لا يسرح تسريحا باحسان

و بما قيل على لسان حال المشط : [بن ١١٩ : ب]

أنا للشعر صيقل و بي الرأس يحمل
عرف الناس قيمتي فعلى الرأس أحمل

و قيل إن صب الماء البارد على الرجلين بعد الخروج من الحمام يستخرج
١٥ الداء من الجسد . و قيل إن فعل ذلك مضر ، و الله تعالى أعلم . و ما
وقع للإمام مالك رحمه الله تعالى من تفضيل الماء البارد على المسخن
لكونه يشد الأعضاء و ينشط النفس انما هو في البلاد الحارة و إقليم
الحجاز و كذلك الشمس انما يكرهه بعضهم لما يخشى من البرص و البهق
لا من جهة الشرع . و تجرد الرجل للحمام من لباسه و بقاءه عريانا

(١) في الأصل : أقار .

لا شيء في بدنه من جميع ما يملكه و يذكر الآخرة و الموت و قيام
الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيئا . فدخل الحمام أدل على
الآخرة من الموت ، فان الميت لا ينقلب من قبره حتى يكتسى ، و داخل
الحمام لا يدخل حتى يتعرا و التجريد أدل . ثم من دعاء النبي صلى الله
عليه و سلم : اللهم تقى من الخطايا كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس . ٥
قال بعضهم في تنزيه الشيب عن الفواحش :

نزه مشيك عن عيب تدنسه ان البياض قليل الحبل للدنس
ترجو النجاة و لم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس
و قال أبو العتاهية :

و كن مستعدا لرب الزمان فان الذي هو آت قريب ١٠
و قبلك داوى المريض الطيب فعاش المريض و مات الطيب
يخاف على نفسه من يموت فكيف ترى حال من لا يموت
و تنقية البدن من الدون و الوسخ من أخص صفات الحمام و لأجله
عمل و اعتبار الحمام بأحوال الآخرة فحاله يوجب عظيم الفائدة و ما
يعقلها الا العلماء بالله تعالى . و حكم الغسل يحفظ القوى عما ينال الجسوم ١٥
من الضرر لسد المسام و انعكاس الأبخرة لها المؤثرة فيها و ان الطهارة
و النظافة للشارع ، و نهى عن الصلاة في الحمام لما فيها من شدة الحرارة
التي ربما زادت على حر الهاجرة ، و أما الحمامي و حارس الحمام فقال ابن
رشد فيها تفضيل و ذلك إذا استأجر مكثري الحمام الحارس لحفظ
السياب للداخلين بأجرة في ذمته فلا اختلاف في عدم ضمان الحمامي ٢٠

لأنه مكترى الحمام لآحراس الثياب إلا أن يفرط الحماى وأما أن كان الحارس يحرس الثياب بجمل يأخذه من كل أحد من الداخلين فقال مالك لا صحا ١ مى . قال سخوف فيمن أودع وديعة فصرها فى كه مع نفقته ثم دخل الحمام فضاعت ثيابه بما فيها أنه ضامن ه لرب الوديعة ما أودعه . قال بعض الشيوخ: إنما ضمنه لدخوله بها الحمام - انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى ذكر الجزر . جزيرة رودس هى مقابلة الإسكندرية وهى أول بلاد إفرنجة وفيها خلق من الروم وكان فيما تقدم قبل السبعائة وبعد ١ الثلاثمائة تطرف مراكبهم بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير هى وتأسر وتسمى . واسم جزيرة رودس بلغة الفرنج روضو ١٠٠٠٠٠ عمل افرنجة جبل معروف بجبل النار وفيه بركان يرمى بنار كبيرتى مثل الذى على (مدينة ١) صقلية وسيأتى ذكره فى أخبار صقلية إن شاء الله تعالى . وبين جبل النار ومدينة بايل ٣ (١) اثنى عشر ميلا وفيها مرسى لطيفة ومنها إلى دير يعرف بدير المستطير ٢ (١) ومنه إلى مدينة تسمى المقلوب وليس بها إلا باب واحد ، ومنها إلى جزيرة الطواويس ومنها إلى جزيرة شكل فيها مزارع الروم و مراعى لمواشيهم ومنها إلى وادى

(١) مطموس فى الأصل .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ولكنها قائمة فى السياق .

(٣) كذا فى الأصل ، ولم نستطع العثور عليها بكتب الجغرافية والأطالس .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعل الكلمة « المنسطير » اشتقاقا من Monastere .

قنوة و منه الى مدينة عظيمة على قرطيل يدور بها البحر لها باب واحد
و منها إلى [بن ١٢٠ : الف] جبل يقال له جرجينه وكانت تحته مدينة هلكت
و بقي أثرها و بحذاء هذا الجبل جزيرتان يقال لأحدهما يونسه و الأخرى
مونسه لها مين مراسى تحمل الاسطول بأسره و بين هذين الجزيرتين
و بين جبلين جزيرة جرجينه ، و منها إلى جزيرة اشطوره إلى ملجا ٥
اللواحات ١ و هي مرسى مكن^١ في الصيف و منها بحر^٢ رومة .

[وصف مدينة رومة]

و رومة مدينة كبيرة دور سورها اربعة و عشرون ميلا و هو كله
مبنى بالآجر الفرهى و بين كل برج من أبراجها التى بسورها رمية حجر،
و النهر يشق وسط المدينة و فيها قناطر مبنية فى طرف منها كنيسة ١٠
تسمى سنتبوله^٢ و هى عظيمة البناء بينها و بين المدينة ميل و نصف ميل
و هى من الجانب الشرقى من النهر ، و فى الجانب الغربى من الوادى كنيسة
كبيرة أيضا يقال لها سنتباتره^٣ ، و سنت اسم الكنيسة و باتره اسم صاحبها

(١) أسماء الجزائر و الأماكن و المدن فى هذه العبارة يحيطها الغموض و تحتاج
الى بحوث طائلة لتحقيقها لعدم ورودها كذلك فى غالب الكتب المعروفة ، و قد
اكتفينا بذكرها كما هى فى النص الأصيل حتى تكون تحت تصرف العلماء
و الجغرافيين فى بحوث أخرى مستقلة . على كل حال المذكور منها فى جغرافية
الإدريسي (طبعة هونزباخ) اشطوره (ج ٢ ص ١١٩) .

(٢) كذا فى الأصل ، و أغلب الظن فى قراءتها : « مكين » .

(٣) فى الأصل : بهر . و هو خطأ لفظى واضح .

(٤) أى كنيسة القديس بولس Saint Paul .

(٥) أى كنيسة القديس بطرس Saint Peter .

الذى عمرها ، و بوله اسم صاحب الكنيسة الشرقية ، وبآثره هو الذى بنيت
 الكنيسة الغربية على اسمه و هو من أكبر حوارى عيسى عليه السلام ،
 و هى فى طرف سماط طوله ثلاثة أميال و فى عرضه يمشى اثنا عشر
 فارسا فى عنان واحد و هو سماط مسقف الأعلى بالخشب الحسن القوى
 الطويل نظير الموائد التى تأتى من جبل النار بل أخفى منها ، و فى الجانبين
 من هذا السمات حوائت فيها الباعة متصل إلى آخره ، ثم تدخل منه إلى
 سمات الكنيسة و هو سمات مكشوف طوله أربعائة ذراع و عشرون
 ذراعا فاذا مشى الماشى إلى الكنيسة قابلته ادراج الكنيسة و هى اثنا عشر
 عشرة درجة مفروشة بالرخام بعرض السمات فاذا وقفت على آخرها
 ١٠ درجة استقبلت سطحها مفروشا بالرخام فى عرض السمات و فى عرض
 سطحها أربعون ذراعا تقابله أبواب الكنيسة و هى أربعة أبواب مقسومة
 فى عرض الكنيسة مسقفة بمحملونات بالأخشاب المدهونة المفروشة ألواح
 الرصاص المانعة عنها الأمطار ، و أرض الكنيسة مفروشة بالرخام و فيها
 أعمدة كثيرة عظيمة ، و عن يمين الداخل من آخر باب من أبواب الديور
 ١٥ حوض رخام عظيم يعمد فيه الأطفال الذين يغطسونهم فى ماء المعمودية ،
 و مياقى فيما يرد من هذا الكتاب صفة المعمود (ية ٣) إن شاء الله تعالى .
 و فى ذلك الحوض الرخام ماء جار ، أبدا وربما فاض فغسل الكنيسة

(١) فى الأصل : اتنى .

(٢) فى الأصل : اتنى .

(٣) مطموسة فى الأصل . (٤) فى الأصل : جارى .

لأنها عارية من الفرش ، وإنما فرشها رخام وعليه جلوس الروم ، و يكون طول هذه الكنيسة ستمائة ذراع في مثلها ، و في آخرها كرسي من ذهب مرصع بالجواهر يجلس عليه أعيان الفرنج ، و تحت الكرسي باب مصفح فيفتح هذا الباب فيدخل منه إلى أبواب أربعة واحد بعد واحد إلى أن يفضى إلى سرداب مضى فيه دوامس و فيه الحواري الذي يسمى بآره^٥ مدفون ، و الحواري الثاني بولس مدفون في الكنيسة الأخرى الشرقية ، و بجذاء بآره حوض رخام كبير فيه الفرش الرفيعة الثمن التي تـ ٢٠٠٠٠ . الكنيسة بأيام عيدهم خارج عنها عمود رخام مثل المسلة التي بكنيسة الروم على أربعة قراطيل من نحاس معلقة على الأرض مقدار ما يجوز الانسان من تحتها على يديه ورجليه و هي مربعة من كل وجه ١٠ و وجوها اثنا ٣ عشر ذراعا في كل وجه منها للمسلة ثلاثة أذرع و كل ما صعدت المسلة في الهواء ، دقت و انسلت و لا يطيق أحد الصعود [بن ١٢٠ : ب] إليها لملاستها ، و على رأسها عمود نحاس منزل في رأسها و على هذا العمود النحاس مثل بطيخة مدوّرة مذهبة في دورها قدر قامتين و في علوها قدر قامة لها بريق لكثرة ذهبها ، و إذا قصدوا إلى ١٥ الكنيسة . ظهرت لهم تلك البطيخة الذهب من مسيرة اثني ٤ عشر ميلا . و هذه الكنيسة الغربية و الكنيسة الشرقية تفرشان^٦ في أعياد^٧ النصارى

(١) أي القديس بطرس Saint Peter .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في الأصل : اثني .

(٤) في الأصل : اثنا .

(٥) في الأصل : تفرشا . (٦) في الأصل : الاعياد ، و لا يستقيم بها السياق .

بفرش الحرير الديباج الملون يمشى عليه الرجال و النسوان في تلك الأعياد .

[مدينة قرقشونة]

و بالاندلس مدينة تسمى قرقشونة^١ بها كنيسة معظمة عند
٥ النصارى تسمى سنتمريه^٢ فيها سبع سوارى من فضة و أحدها سارية
و لها يوم في العام ترده النصارى من كل الآفاق الرجال و النساء .

[قصة خرقة^٣ بنت النعمان]

وكذلك كانت خرقة بنت النعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة
من أرض العراق تزور كنيستها و كانت إذا خرجت لزيارتها خرج
١٠ معها مائة جارية يفرشنها الديباج تمشى عليها إليها و يسترنها بمطارف الخز
و غيره من الحرير . و قال ابن الجوزى : كانت خرقة إذا خرجت إلى
بيعتها يخرج معها ألف وصيفة و وصيف و ينزلها في طريقها ألف قطيفة
ديباج تمشى عليها فلم تزل كذلك في عز أيها إلى أن انقضت مملكته
باتقاض الممالك بعثة رسول الله صلى الله عليه و سلم . و سيأتى فيما يرد
١٥ من هذا الكتاب ذكر الممالك المنتقضة بيعته صلى الله عليه و سلم ، فصارت
خرقة المذكورة بعد العز الكبير إلى العيش الحقيق ، و صارت بعد المشى
على شقاق الحرير ، ماشية على الثرى بنعل من حلد البعير ، قد ترهبت

(١) مكانها اليوم في جنوب غرب فرنسا و هي Carcassonne .

(٢) أى كنيسة القديسة مريم Santa Maria .

(٣) و هي معروفة باسم خرقة في كتب الأدب . (انظر حاشية رقم ٤ ص ١١٥) .

(٤) الكلمة مكررة بالأصل .

و لبست المسوح السود وتوشحت بصلبان الخشب بعد توشحها بصلبان
الجوهر فى المراسل والعقود .

[الحرير و أسماءه و أنواعه]

و اذ قد ذكر الحرير فلنذكر ما قيل فيه و فى أسمائه و أنواعه
فمن الحرير الخز و الابريسم و الديباج و السقلاطون و العتاني و المصمط^٥ ،
فالخز يستدل على جودته بقوة سداه و يلبسه على صفاقة نسجه و ثقل
وزنه و ارادة الضعيف السدا و الخفيف الوزن الرخو النسيج الكمد
اللون الرديء الحرير . و قد اختلف فى لباس الخز فاجيز و كره و وجه
الكراهة أن النى صلى الله عليه و سلم قال : يكون فى أمتى قوم يستحلون
لباس الخز و الحرير . و وجه الكراهة الخز لنفسه لأن فيه^{١٠}
الحرير و وجه الجواز أن عائشة رضى الله تعالى عنها كست عبد الله
ابن الزبير و هو ابن اختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى
عنهم . و الخز ما سداه حرير و قيامه كتان ، و أما العلم فى الثوب
فلا بأس به لأنه يسير لا حكم له و اختلف فى مقداره قيل قدر الاصبع
و الاصبعين و قيل الأربعة أصابع ، و الابريسم أجوده النقى الحسن^{١٥}
اللون السالم من الاحلاف و الاوساخ الملتبسة لبعض خيوطه فان تكن
(١) فى الأصل : و المغمط . و هو خطأ قلمى لكلمة « المصمط » أى « المصمت »
و هو ذو اللون الواحد .
(٢) مطموسة بالأصل .

خيوطه^١ شكلا واحدا^١ ليس فيها بعض غليظ و بعض دقيق و لا مُعَدَّده
و تعرف جودته^٢ سل وزنه^٣ رأيت^٤ اللحم إذا رزتها
ثقيلة فهو أفضل^٥ . و الديباج أجناس فمنه ما يحتاج إليه (لنا) س^٦
للتعليق و الفرش و أفضله ما حسن صبغه و انتظمت نقوشه و دق
حريره^٧ و صفق نسجه^٨ و أشراق لونه و ثقل وزنه و سلم من النار في
خيدرتة : و يعمل من اكحل الديباج كسوة للكعبة المشرفة بدار الطراز
بالقاهرة في كل سنة ، و السفلاطون و العتاني و المصمط أفضلها و أحسنها
ما عمل [بن ١٢١ : الف] بالجف و لم يعمل بالمشط و كان في جودة
الحرير و الاصباغ ، و أغراض الناس تختلف في الطرز و الرقوم و هم
١٠ مجتمعون على ما كان أدق مسلكا و أصفق نسجا و أنقى يابضا و أحسن
صبغا و أحمر ذهبا ، و الحرير الشعر منه الملهى^٩ و الطبسى و الخوارزمى
و الخطاى و النسا و الجبلى و الحموى و الصينى و الداخلى و الكنجى
و السكى و الكحافى ، و ينسج من الحرير بالإسكندرية أقشة مختلفة
نحمل إلى العراق و إلى غيره من البلاد - انتهى .

[تكملة قصة خرقه بنت النعمان]

١٥

نعود الى ذكر بقية خبر خرقه بنت النعمان بن المنذر ، وذلك أنه

(١-١) في الأصل : شكل واحد .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣-٣) كذا في الأصل ، و الجملة غامضة .

(٤) مطموسة جزئيا في الأصل .

(٥) كذا في الأصل ، و يجوز قراءة الكلمة « اللحي » و كلاهما غامض .

لما انتقضت الممالك الآتي ذكرها بيعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 انتقضت مملكة الحيرة بعد موت النعمان بن المنذر ابن ماء السماء ، فأتت
 خرقه إلى سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعد فتحه لمداخن كسرى و عليها المسوح و مقطعات السود و قد ترهبت ،
 فاستأذنت على سعد فأذن لها فدخلت متضائلة مكسورة في نفسها ،
 فقال لها سعد : أنت خرقه بنت النعمان ، قالت : نعم ! و كرر عليها القول
 فقالت : و ما يعجبك من امرى يا سعد ! ان لم يكن أهل بيت تخبره إلا
 و الدهر يعقبهم غيره حتى يأتي امر الله فيصيروا لمن بعدهم عبرة يا سعد !
 كنا ملوك هذا المصر يحبى إلينا خراجهم و تطيعنا أهله أيام المدة والدولة
 فلما حل القدر فأدبر الا و صاح بنا صاح الدهر ففرق شملنا و صدع ١٠
 عصانا و سلبنا ١ ملكنا فلو رتعا في إيماننا لارعدت فرائصك فرقا منا
 و كذلك الدهر ٢٠٠٠٠ قوما يحبوه إلا اعقبهم عبرة ، ثم أنشأت تقول :
 'فينا نسوس الناس و الأمر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
 فأف لدينا لا يسدوم نعيمها تقلب تارات بنا و تصرف

(١) في الأصل : ما للسيا .

(٢) في الأصل : و سلبنا .

(٣) في هذه الفجوة كلمة ينقصها بعض النقط « امات » و يصعب استقامة المعنى بها و الغالب أن في العبارة سقوطا في الأصل .

(٤) أخذنا البيتين هنا من ترجمة خرقاء بنت النعمان في « كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » لمؤلفته السيدة زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله ٠٠٠٠ بن يوسف فواز العامل السوري (طبعة بولاق م ١٣١٢ هـ / ص ١٨٣) .
 و بالبيتين في الأصل خبل لفظي واضح لا يستقيم معه الوزن أو المعنى .

ولكن اذا نابت العاقل نائبة لها حيلة فلا يعجز ، فان لم يكن لها حيلة
فلا تجزع . قال الشاعر :

أما أجزع مما اتقى فاذا حل فمالي والجزع

و كانت خرقه بنت النعمان قد صارت بحوزة كبيرة نحيفة البدن .
٥ و كان المغيرة بن شعبة بمجلس سعد جالسا فقال : يا خرقه انى أريد
أتزوجك . فقالت : لا والله لا أفعل ذلك . قال : ولم ؟ قالت : أنت
أمير كبير ولست أضحك ١ بدنى وأنت ما ' تقصد بتزويجى
إلا الفخر لتقف فى أندية العرب أهل الشرف والحسب وتقول : تزوجت
بنت النعمان بن المنذر ! فقال لها سعد : صدقت والله يا خرقه فيما
١٠ ذكرت . ثم أن سعدا أكرمها وأجزل لها العطاء وصرفها ، فلما أرادت
الانصراف قالت : يا سعد لا ازال عزك ٣ ولا جعل لك الى اليوم ١
حاجة ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا وجعلك سببا لردّها عليه . و قال
أبو هاشم بن طغر فى كتابه سلوان المطاع إن خرقه بنت أبى قابوس
النعمان بن المنذر استأذنت بالقادسية على سعد بن أبى وقاص فاذن لها
١٥ ١ حواريا عليها ٥ المسوح ١ ومقطعات الثياب ١ السود

(١) مطموسة بالأصل .

(٢) فى الأصل : بما .

(٣) فى الأصل : عنك - و تصحيحها بالهامش .

(٤) فى الأصل : ليم .

(٥) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٦ - ٦) فى الأصل : مقطعا السلب - وهو خطأ قلمى واضح .

فرأى

(٢٩)

١١٦

فرأى منظرا شنيعا ولم تميز له خرقة من جواربها لمشاركتها إياهن^١ في الزى وكن رواهبا فسلمت عليه فقال: أبتكن الخرقة . فقالت: ها أنا ذه . فقال: أنت الخرقة . قالت: نعم! فما تكرارك استفهامي أيها الأمير؟ إن الدنيا دار قلعة وزوال فما تروم على حال، ينتقل أهلها انتقالا، وتعقبهم حالا فحالا، وإنا كنا ملوك هذا المصر يجيئ^٢ إلينا^٣ خراجهم، وتطيعنا أهل مدنا المدة وزمان الدولة، فلما أدبر الأمر صاح ٣٠٠٠٠ فصدع عصانا [بن ١٢١: ب] وشئت ملائنا، وكذلك الدهر يا سعد انه ليس من قوم^٤ فهم بعبدة، ولا أسعهم بفرحة؛ الا أعقبهم بترحة . ثم أنشدت الأبيات المتقدم ذكرها . وبينما الخرقة تخاطب سعدا اذ دخل معدى كرب الزيدى على سعد فنظر^٥ الى خرقة فقال لها: أنت خرقة التي كانت تفرش لك الأرض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشى . قالت: نعم! قال: فما الذى دهاك^٦ وأذهب محمودات شملك^٧ وغير يتايىع نعمك، وقطع سطوات نعمك؟ فقالت: يا عمرو ان للدهر عشرات تلحق^٨ السيد من الملوك بالعبد

(١) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٢) في الأصل: يجيئ .

(٣) الجملة مطموسة بالترميم .

(٤) الجملة في هذه الفجوة بالأصل غير واضحة في سياقها وبها نقص في النقط الحروف يزيد من غموضها .

(٥) في الأصل: دهاك .

(٦) في الأصل: شملك .

(٧) في الأصل: يلحق .

المملوك و تخفض^١ ذا الرفعة و تذلل ذا المنعة ، هذا ما كنا نتظره فلما حل لم تسكره . ثم ان سعدا سألها عما قصده له فاستوصلته فأجزل صلتها و قضى حوائجها . ولما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه ؟ فأنشدت :

صان لي همتي و أكرم وجهي انما يكرم الكريم الكريم
 ه و سيأتي صفة ديرها الذي عمره لها أبوها النعمان في حال حياته عند ذكر ديارات النصارى إن شاء الله تعالى . فانظر يا هذا إلى بنت ملك كانت في القصور في النعمة و الحبور ، فصارت في دير فقيرة بصلبان ، و صار^٢ أبوها في قبر بين القبور ، فالعاقل من اقتنع بالقوت و صار منزله كبيت العنكبوت ، بزواية البيت فسيق الحريص اليها و هو الذباب^٣ فصار قوتا لها . انظر إلى عساكر الاموات مجتمعين في عرصات الاجداث قبورهم و الله كخيام مضروبة ، و قباب منصوبة ، تحتها ملوك و أمراء ، و أغنياء و فقراء ، و الكل ينتظرون خروج العسكر فاذا ضرب بوق الرحيل ، و دقت كوسات التحويل ، و نفخ في الصور لإسرافيل ، فحينئذ يخرجون إلى العرض و النشور ، فأهل السعادة الى النعيم المقيم ، و أهل الشقاوة في سدير الجحيم ، أعاذنا الله من النار ، و أسكننا بمنه و كرمه دار القرار ، انه رحمان رحيم غفور و كريم .

[ذكر بعض مدن الفرنج]

نعود الى ما كنا فيه آنفا من ذكر مدن^٤ الفرنج فنها مدينة فسقاروا

(١) في الأصل : و يخفض (٢) في الأصل : صار .

(٣) في الأصل : الزباب .

(٤) لم نحاول تحقيق عامة أسماء مدن الفرنج كما وردت هنا لاعتقادنا أن هذا =

و مدينة ركونه و مدينة صقالص و مدينة قيصره و مدينة صقطلوا و مدينة
قطروفي^١ و مدينة مُنيل و مدينة سباطرسله و مدينة برندثير و مدينة كوادين
و مدينة دصيص و مدينة قوله و مدينة انصلة و مدينة بنزروت وهي ١٠٠٠
قديمة و حذاء سورها نهر جارى يصاد فيه السمك و فيه غريبة و ذلك أن
في البرية بحيرة حلوة و هذا النهر مالح فتفرغ البحيرة الحلوة في هذا النهر
الملح ستة أشهر فلا يخلو^٢ و يفرغ هذا النهر الملح في البحيرة الحلوة ستة
أشهر فلا تملح ، و فيه أيضا غريبة أخرى أنه يصاد في هذا النهر السمك
فيخرج في كل شهر من السنة نوع من السمك لا يخالطه غيره ، و يصيدون
أهل هذه المدينة السمك بالخلاب^٣ و ذلك أنهم يأخذون الأنثى من
السمك التي هي نوعه في ذلك الشهر فتجعل في فيها ستارة مثل الحلقة ١٠
و فيها خيط ١٠٠٠٠ يطلقها في النهر فيجتمع حولها الذكور من السمك

= يحتاج الى دراسات و بحوث طويلة في الجغرافية التاريخية من الزاوية العربية ،
ولكننا أثبتنا في النص ما جاء في مخطوطة بانكي بور بلا تحريف أملا منا في
أن نكون بذلك قد وضعنا هذه المادة تحت تصرف العلماء و الجغرافيين لمواصلة
درسها و تحقيقها من الناحية العلمية . و واضح من النص أن المدن المذكورة
مبعثرة ما بين دول أوربا المهادية لحوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها إيطاليا
و سلطنة الأتراك . و أغلب هذه المدن لم يرد في كتب العرب ، و مع ذلك أثبتنا
القليل الذي عثرنا على ذكره بصفة خاصة في جغرافية الإدريسي بهذه الحواشي .
(١) و رد بالإدريسي [طبعة هو نرباخ ج ٢ ص ٢٦٨] قاطرو أو قاذرو
و هي إحدى مدن دالماسيا بالقرب من رجوزه Ragusa .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) الكلمة نائصة النقط في الأصل « يخلو » .

(٤) كذا بالأصل ، و أغلب الظن أن المقصود « الخلاب » أي الخطاف .

فيقربها إلى الر فيتبعها السمك فيطرح^١ عليهم الطراحة فيصيدهم الصياد
و يترك الأنثى على حالها ليأتي إليها السمك فكلما كثر عندها طرح
شبكة فيأخذهم . قال بمشاد الدينوري : كنت بالبصرة فرأيت صيادا
يصطاد السمك على السواحل و الى جانبه ابنة له صغيرة كلها
ه اصطاد سمكة و تركها في قُفِّته ردت الصغيرة السمكة الى الماء فالتفت
الرجل فلم ير في القفة شيئا . فقال لابنته : أى شيء عملت بالسمك ؟
فقلت : يا أبت ٣ أليس سمكتك تروى [بن ١٢٢ : الف] عن رسول الله
صلى الله عليه و سلم أنه قال : لا تقع سمكة في شبكة إلا غفلة عن ذكر الله ،
فبكأ الصياد و ترك الصيد .

[جزيرة صقلية]

١٠

جزيرة صقلية مثلثة الشكل و هى كثيرة الزرع و الضرع و الفواكه
و كانت للمسلمين ملكتها مدة سنين ثم غلبهم عليها الفرنج و هى الآن
سنة سبع و سبعين و سبعمائة بأيديهم . و قيل إنها من أحسن الجزر
و أكثرها خيرا و صقلية من أحسن البلاد و أكثرها خيرا . قال الشاعر
١٥ الصقلي من قصيدة له يتشوق إليها بعد أن ملكتها الفرنج و أخرجت
المسلمين منها :

ذكرت صقلية و الأسى يحدد للقلب تذكراها
فان كنت أخرجت من جنة فاني أحدث أنهارها
و لولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعى أنهارها

(١) مطموسة جزئيا بالأصل (٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في الأصل : يا أبة .

و لبعضهم تشوق إلى وطنه :

يانسمة حملت عبر المنسدل و شذا القرنفل في سحق الصندل
و جزيرة صقلية مميت باسم صيقلوا أخ^١ انطال و انطال هو الذى
بنى مدينة انطالية بر التركية و كانت للتراكين المسلمين فتعدى عليها
ريبر بطرس صاحب قبرس فملكها منهم في سنة اثنتين و ستين و سبعمائة ، ٥
و لما ظفرو^٢ بها طمع بعدها في الإسكندرية و صح له طمعه و ظفروها في
العشر الاخير من المحرم سنة سبع و سبعين و سبعمائة . و اسم انطالية بلغة
الفرنج سقليا و هى الآن في سنة تسع و سبعين و سبعمائة في أيدي
المسلمين ردت إليهم لامور يطول شرحها . و بصقلية معدن الكبريت
و بها البركان العظيم الذى لا يعلم في العالم اشنع منه منظرا و لا أغرب ١٠
خبرا و هو شما (ل) هذه الجزيرة و إذا هبت الريح الجنوبية يسمع لها
دوى هائل كالرعد ، و كان فرفوريس^٣ الفيلسوف قد شئخص مدينة صور إلى
صقلية لينظر البركان و يعاين فعل الطبيعة هنالك و يخبر عنه بقول واضح
فات و بها قبره ، و لم تزل صقلية على قديم الزمان كثيرة الفتن و الحروب .

١٥ [قسطنطين بن هرقل]

و فى السنة التى بويع فيها على بن أبى طالب بالخلافة و هى سنة
خمس و ثلاثين^٤ من الهجرة صار قسطنطين بن هرقل^٥ فى الفى مركب

(١) فى الأصل : أخا .

(٢) ريد فى الأصل : الملطرز . و لا معنى لها فى النص فأسقطناها منه .

(٣) لعل مرادف الاسم Porphyrios .

(٤) خلافة على بن أبى طالب ٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م .

(٥) حكم هرقل ٦١٠ - ٦٤١ م و حكم قسطنطين الثانى ٦٤١ - ٦٦٨ م .

يريد بلاد الشام يخلصها من أيدي المسلمين الذين أخذوها من يد أبيه
 هرقل، فأرسل الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فرقهم ونجا بنفسه
 قسطنطين على لوح ألقاه بساحل صقلية فصنعت له أهل صقلية حماما
 فأدخلوه فقتلوه فيه . و قيل مشيت الروم إلى قسطنطين بن هرقل في
 سنة خمس و ثلاثين من الهجرة فقالوا يترك الاسـ ٢٠٠٠٠ في أيدي
 العرب وهى مدينتنا الكبرى ، فقال : ما أصنع بكم ما تقدرتون تمالكوا
 ساعة إذا لقيتم العرب . قالوا : فآخرج على انا نموت فتبايعوا على ذلك
 فخرج في ألف مركب يريد الإسكندرية فساروا في أيام عالية من الريح
 فبعث الله تعالى عليهم ريحا عاصفة فغرقتهم إلا قسطنطين فانه نجا بمركبه
 ١٠ فآلحقته الريح بصقلية فسأله أهلها عن أمره فأخبرهم فقالوا : شمت النصرانية
 و أفنيت رجالها لو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم . فقال : خرجنا
 مبايعين على الموت فأصابنا هذا فصنعوا له حماما و دخلوا عليه فيها فقال:
 ويلكم قد ذهب رجالكم و تقتلون ملككم ؟ قالوا : كأنه غرق معهم ثم
 هجموا عليه فقتلوه و تركوا من كان معه فى المركب . فانظر يا هذا إلى
 ١٥ فعل الله تعالى بالكافرين حين قصدوا إهلاك ٢٠٠٠٠ بزعمهم كيف ٢٠٠٠
 لهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا . قال الله تعالى ” و مكروا و مكرونا
 مكرا و هم لا يشعرون ” فانظر كيف كان عاقبة مكروهم انا دمرنهم و قومهم
 أجمعين . ٣ .

(١) فى الأصل : القاح .

(٢) مطموسة فى الأصل .

(٣) قرآن كريم ٢٧ : ٥٠ - ٥١ .

عبد العزيز بن موسى بن نصير و ابنة لذريق

فانظر أيضا كيف أهلك الله الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير لما أطاع زوجته النصرانية بقولها له : أترك أصحابك يسجدون لك كما كان أصحاب الملك لذريق يسجدون له . و كان عبد العزيز محبا لها و سامعا لأمرها لحسنها و جمالها و كثرة أموالها ، و كان قولها له ذلك حيلة منها عليه بثأر أبيها المقتول منه لعلها بأمر المسلمين لا يسجدون لغير رب العالمين ، فاذا قال لهم [بن ١٢٢ : ب] ذلك قتلوه ، و لتخلص من عصمته و تتزوج بابن ملك نصراني على دينها ، فلما فعل عبد العزيز ذلك قتل و بلغت النصرانية مرادها فيه و ذلك أن عبد العزيز المذكور كان مقدما على عساكر المسلمين حين فتحوا جزيرة الأندلس في دولة بني أمية . تزوج ١٠ عبد العزيز بنت لذريق ملك النصارى بعد قتله ٢ و كان الذي قتله طارق ابن زياد فجاءت تلك النصرانية لعبد العزيز من الدنيا بشيء كثير لا يوصف ولا يحسد ، فلما صارت عنده قالت : ما لي أرى أهل مملكتك لا يسجدون لك كما كانت أهل مملكتك يسجدون له و يعظمونه بالسجود ؟ فقال في نفسه كيف ينبغي لي أن أترك المسلمين يسجدون لي من دون الله تعالى ١٥ أم كيف يرضون ؟ هذا لا يجوز و لا يكون أبدا ، ثم انكر في نفسه و قال : مطأطأة رؤسهم إلى آهون من سجد . فأمر يباب نقب من جهة قصره مقابلا مكان جلوسه و جعله قصيرا غير مرتفع ، فكان يأذن للناس فيدخلون عليه منه منكسين رؤسهم لقصر ذلك الباب ، و زوجته النصرانية

(١) في الأصل : كانت . (٢) في الأصل : قتل .

تنظر إلى المسلمين من شايك بنظرتها المقابلة لذلك الباب القصير . فلما
 رأت الملعونة فعلهم ذلك قالت : الآن قوى ملكك وعظم أمرك حين
 طأطأت لك حنـدك رؤسها . فتخيل ذلك بياله وفرح به فقصر^١
 المسلمون عن فعله ذلك و منعه الدخول عليه من الباب المرتفع ، فبلغهم
 ٥ أنه ما نقب ذلك الباب إلا لهذا المعنى ، فانزعجت القلوب لذلك فثار عليه
 حبيب بن عبيد القهري^٢ و زياد بن النابغة التيمي و أصحابهما من قبائل
 العرب ، واجتمعوا على قتل عبد العزيز فأتوا الى مؤذنه و قالوا له : أذن
 بليل لكي يخرج عبد العزيز إلى الصلاة . فأذن المؤذن فخرج عبد العزيز
 فتقدم للصلاة^٣ فقرأ الواقعة الى قوله تعالى « رافعه » فوضع حبيب السيف
 ١٠ على رأس عبد العزيز فانصرف عبد العزيز هاربا حتى دخل بيته ، فدخل
 بستانا بداره واختفى^٤ فيه تحت شجرة و هرب حبيب و أصحابه و اتبعه
 زياد بن النابغة فدخل على اثره فوجده تحت الشجرة ، فقال له عبد العزيز :
 يا ابن النابغة استبقني ولك ما سألت . فقال : لا تذوق الحياة بعدها
 تأمرنا أن نسجد لك من الباب القصير لتسرب به^٥ زوجتك النصرانية^٦
 ١٥ التي امثلت أمرها فيما أمرتك به و أحدثت في الاسلام حدثا لم يكن .

(١) في الأصل : ففحصت .

(٢) كذا في الأصل ، وربما أمكن قراءتها « القهري » .

(٣) في الأصل : للصلاة .

(٤) في الأصل : و اختفا .

(٥) في الأصل : يا ابن .

(٦-٦) مطموسة حزئيا .

وأجهز عليه واحتز رأسه ، وبلغ ذلك حبيبا وأصحابه فرجعوا ثم خرجوا
برأس عبد العزيز و ساروا من الأندلس إلى أن قدموا على أمير المؤمنين
سليمان بن عبد الملك ' بدمشق فوضعوا الرأس بين يديه بعد أن أخبروه
خبره . و حضر موسى بن نصير أبو عبد العزيز المقتول فقال له سليمان :
تعرف هذا ؟ قال : أعلمه صوّا قوّا . فقال سليمان : هذا الذي أراد ه
أن يسجد له كما يفعل للدريق ' ملك النصارى فكان جزاؤه ماترى .
فأخذ موسى رأس ولده ومضى به فى نكابة و خزية و قال : هذا جزاء
من يتزوج بنصرانية ، لقد غزت الملعونة فيه كما غزى ٣٠٠٠٠ فى أيها
..... [عبد '] العزيز بحسرة ماله وأهله وأمره ونهيه وذلك لتعلقه
بالدنيا وزهرتها ، فمن قل تعلقه بالدنيا لم يتحسر عند فراقها - انتهى . ١٠

[مدن بحر الروم و جزره]

نعود إلى ذكر جزيرة صقلية - و لصقلية مدن كثيرة و نهران
يطردان من عين واحدة و بها جزيرتان . صغيرة و كبيرة و فى هاتين
الجزيرتين تنفذ النار أدا فترى لهب النار ليلا و دخانه نهارا . و من
المدن المشهورة بصقلية مالطه فى القبلى منها بينهما ٦٠٠٠٠ واحدا و أشجارها ١٥

(١) خلافته ٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م .

(٢) فى الأصل : لذريق .

(٣) مطموسة فى الأصل .

(٤) مطموسة حزئيا بالأصل .

(٥) فى الأصل : جزيرتين .

(٦) مطموسة بالترميم .

الصنوبر و بحزيرة صقلية مدينة قوصره . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب [ن ١٢٣ : الف] خبر نهب الفرنج لأموال المسلمين بها بالحيلة و المكيدة إن شاء الله تعالى .

و من بحر افريقية و صقلية يخرج المرجان ، و الجزائر بتلك النواحي
 ٥ كثيرة ، فأما مجدونية ' فهي قاعدة الروم إلى الأعراقيين ' و منها
 أرسططاليس فيلسوف الروم ، و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع ٣ من
 أخباره إن شاء الله تعالى . و أما مدراية ' فحدها من المشرق إلى القسطنطينية
 من ناحية الجنوب تمتد إلى ناحية الأسبان و تتصل من بلاد طشاله .
 و زعموا أن أهلها أول من عمل اللجم و ابتدعوا رياضة الخيل و البيطرة .
 ١٠ و قيل إن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام أول من ركب الخيل
 و كانت وحوشا فأوحى الله إليه آية الخيل فدعى بها « هاهاه » فأمكننت من
 نواصيها فركبها هو و ولده بعد ، فعناق الخيل ينسب إليهما فيقال الخيل
 العربية . و أفضل المراكب للانسان و أعجب للنفس و أطرب لها الخيل ،
 ١٥ فان لها فضلا و شرفا باذحا على سائر الدواب ، و ذلك لما جاء في الخبر

(١) و صحتها « مقدونية » أي Macedonia .

(٢) و صحتها « الأعراقيين » أي The Greeks .

(٣) في الأصل : لمعا .

(٤) و صحتها « تراقيه » أي Thrace .

(٥) أي Thessalia .

(٦) في الأصل : فدعا .

عن وهب بن منبه أنه قال : لما أراد الله خلق الفرس قال للريح الجنوب
أنى خالق منك خلقا أجعله عزا لأوليائي ومذلة لأعدائي وجمالا لأهل
طاعتي ، فقبض من الريح قبضة فخلق منها فرسا فقال : سميتك فرسا وحملت
الخير معقودا بناصيتك والغنائم بحوزة على ظهرك والغنى معك حيث
كنت أروعك ، يعنى بسعة الرزق على غيرك من الدواب وجعلتك سرمدًا ٥
تطير بالآجنح فأنت للطلب وأنت للهرب ، وسأجعل عليك رجالا
يسبحون فتسبحنى ٢ إذا سبحوها ويهتلون فتهللى ٣ إذا هتلوا ويكبرون
فتكبرى ٤ إذا كبروا . وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر الخيل
وشيثانها وإكرامها وما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

جزيرة اقريطش ٥ سميت باسم رحل بجوسى يقال له اقريطشنس يحمل
منها العسل النحل والجن الكثير لمصر والشام وتسمى بلغة الفرنج كندياه .
جزيره ابريته ٦ بين رودس و اقريطش يحمل منها إلى مين مصر
العسل النحل والزيت .

جزيرة سردانية ٧ يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل وكان صاحب برشلونه ١٥

(١) فى الأصل : و الغنا . (٢) فى الأصل : فتسبحى .

(٣) فى الأصل : فتهللى . (٤) فى الأصل : فتكبرى .

(٥) جزيرة Crete وقاعدتها Candia .

(٦) لم نستطع تحقيقها وتحديدتها ، وأغلب الظن أنها إحدى مجموعة الجزر المعروفة
باسم Dodecanese .

(٧) ذكر سردانية Sardinia ولم يذكر قرسقة Corsica وهما صنوان لا يفرقان
فى ذكر جزائر غرب بحر الروم .

أرسل إلى صاحب سردانية^١ هدية فيها جارية جميلة فلما أراد الاجتماع بها أخبرته أنها حامل من صاحب برشلونه فانعزل عنها إلى أن وضعت ولدا سماه جَرْدَ شَبْرَبُورِيا فلما كبر الولد عرّفته أمه بأبيه وبال ٢٠٠٠٠ الأندلس فقال: إذا لم تكن هذه البلاد بلادى وأبى صاحب برشلونه فاحملوني إليه فحملوه إليه وعرفوه أنه ولده من الجارية المهداة^٣ بجملة الهدية، فغضب صاحب برشلونه وقال: لم لا عرفني به وهو حمل^٤ في بطن أمه؟ وسردانية بها معادن الفضة الخالصة. فأتى البرشلوني في مراكبه بجيوشه إلى سردانية معه ولده الذى من الجارية المذكورة، فأتاه صاحب سردانية سلم عليه فلم يرد السلام عليه وقال: كيف يكون لى عندك ولد ١٠ ولم تعلمنى به من أول وهلة حتى ولد وكم ذكرت^٥ أمه لك ذلك من قبل فلولا أنه طلب الحضور الى عندي ما كنت أحضرته؟ فقال: كان عندي فى اجلّ مكان إلى أن عيّز معرفناه^٦ فطلب السفر إلى حضرة الملك فأرسلته له. فلما سمع البرشلوني ذلك منه كوّم له [كومين^٧] كبيرين الواحد دقائير و الآخر تراب^٨ وقال لصاحب سردانية. اختر كوما منهما. فأشار إلى الذهب فقال: خذه و اخرج عن هذه الجزيرة و إلا قاتلتك بهذا الجيش الضخم ١٥ و انتزعت جميع أموالك وجعلتك جالسا على مثل هذا الكوم التراب

(١) فى الأصل : سروانيه .

(٢) مطموسة جزئيا .

(٣) فى الأصل : المهدية .

(٤) فى الأصل : حملا .

(٥) فى الأصل : و ذكرت . و الواو زائدة .

(٦) الكلمة مكررة فى الأصل .

(٧) غير موجودة بالأصل، و أضفناها لتام الجملة و انسجام السياق .

(٨) فى الأصل : رابا .

الذى تراه لا تملك غيره . فجمع صاحب سردانية حينئذ ماله ورجاله وأهله [بن ١٢٣ : ب] وعياله وترك^١ للبرشلونى جزيرة سردانية وخرج منها لعدم طاقته به ، فحينئذ ولى البرشلونى ولده جرد شبر بوريا جزيرة سردانية ، وأقام لها جيشا ضخما من جيوشه ، فصاله معادن الفضة كما لها يحمل جرد شبر بوريا لآبيه فى كل سنة حملا ٢ منها مع حل خراجها ٥ خارجا عن كفاية جيشها . ولما توجه المسلمون فى خلافة بنى أمية إلى جزيرة سردانية أصاب الناس فيها غنائم فغلوا منها غنائم كثيرة . والغلول الخيانة فى الغنائم ، فحملوا تلك المغام وما غلوه أيضا ٢ منها فى المراكب وركبوا فيها ، فلما توسطوا البحر سمعوا مناديا ينادى ويقول : اللهم غرق بهم ا فدعوا الله و تقلدوا المصاحف فما لبثوا أن جاءتهم ريح عاصفة ١٠ وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت و غرقوا . وقيل إن أهل سردانية لما توجه إليهم المسلمون عمدوا إلى جهة فى البحر وضعوا أوانيهم الذهب والفضة فيها و عمدوا إلى كنيسة لهم فجعلوا لها سقفا من دون سقفها وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين ، فنزل رجل من المسلمين يغتسل فى ذلك الموضع الذى جعلوا فيه أوانيهم الذهب والفضة ١٥ فوقعت رجله على شيء فأخذه فاذا هو صحيفة من فضة ثم غاص أيضا فأخرج شيئا آخر . فلما علم المسلمون بذلك حبسوا الماء وأخذوا جميع تلك الآنية . ودخل رجل معه قوس بندق الى تلك الكنيسة التى رفعوا

(١) فى الأصل : وتر .

(٢) فى الأصل : جملا .

(٣) تكررت الكلمة بالأصل بعد « منها » .

بين سقفيها ما لهم ١ فنظر إلى حمام فرماه ببندقه فأخطأه فأصاب خشبة من السقف فكسرها فانهاط عليهم المال فعلم المسلمون يومئذ غلولا كثيرا فكان الرجل يأخذ الهر فيذبحه ثم يحشوه بما غل من المال ثم يخيט عليه ويرمى به إلى الطريق ليتوهم من يراه أنه قط ميت فاذا خرج أخذه ، ٥ . كان الرجل يزرع نصل سيفه فيطرحه ويملا غلافه غلولا ويطرح قبضة السيف على الغلاف ، فلما ركبوا السفن و توجهوا سمعوا مناديا ينادى : اللهم غرق بهم فتقلدوا المصاحف فغرقوا جميعا وذلك بسبب غلولهم . قال الله تعالى " و من يغلل يأت ٢ بما غل يوم القيامة ٣ " . وقال النبی صلی الله عليه وسلم : لا يقبل الله صلاة بغير طهور و لا صدقة من ١٠ غلول . و قد جاء في الآثار ان الذين يغلون يعى يخونون من الغنائم فيأتون بغلولهم ثم يلقي في بحر جهنم ثم يقال لهم غوصوا حتى تخرجوا غلولكم لينتهوا إلى قعره - لا يعلم قعره إلا الذي خلقه - فيغوصون ما شاء الله تعالى ثم يخرجون رؤسهم يتنفسون فيبتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك مع كل ملك مقمع من حديد فيهوى به إلى رأسه فذلك ١٥ عذابهم أبدا .

[قصة يوشع بن نون]

و يروى أن يوشع بن نون لما أمره الله تعالى بقتال الجبارين سار

(١) في الأصل : ما لم .

(٢) في الأصل : يأتى .

(٣) قرآن كريم : ٣ : ١٦١ .

بنى إسرائيل إلى بلاد الشام و قد غلب عليها العماليق فسار إلى السמידع
 ملك^١ بجنوده فقاتلهم يوم الجمعة قتالا شديدا حتى غربت الشمس
 فدعى^٢ الله أن يرد عليه الشمس فردها عليه و زاد في النهار يومئذ،
 فهِمَّ الجبارون واقتحموا عليهم يقتلونهم، فكانت الجماعة من بني إسرائيل
 يجتمعون على عنق الرجل يضربونها فلا يقطعونها، فأمرهم يوشع أن يقرَّبوا
 غنائمهم تلك إلى الله تعالى فلم تزل النار تأكلها، وجاء رجل إلى يوشع فصاحه
 فالتصقت يده بيده فقال سلم ما عندك فأتاه بر ٣٠٠٠٠ ثور من ذهب
 مكلا باليواقيت و الجواهر، وكان قد غلَّه فجعله في القربان و جعل الرجل
 معه فأكلتهما النار (ر) . و الغلول^٣ فهو محرم بالإجماع فقد قال
 الله تعالى: " و من يغلل^٤ يأت بما غل^٥ يوم القيامة " . قال أبو هريرة: قام
 بنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر الغلول فعظمه و عظم أمره و قال:
 أليس أحدكم يحىء يوم القيامة على رقبتة بعير له رخاء يقول: يا رسول الله
 أغشى! فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك . ثم إن مذهب مالك يؤدب
 ولا يحرق رحله ولا يمنع سهمه من الغنيمة، أما أدبه فظاهر لتعديه،
 و أطلق أهل مذهب مالك القول [بن ١٢٤ : الف] بأدبه، و شرط الشافعي ١٥

(١) بياض بالأصل .

(٢) في الأصل : فدعا .

(٣) بقية الكلمة مطموس ، و ربما كانت الكلمة : برأس .

(٤) مطموس بالأصل .

(٥) قرآن كريم ٣ : ١٦١ .

(٦ - -) في الأصل : بات بما غلل . وهو ما لا يتفق و الآية .

في أدبه أن يكون عالما بالنهي و هو ظاهر ، و إنما لا يحرق رحله فهو
 مذهب الشافعي و أبي حنيفة . و قال الأوزاعي يحرق رحله بالأسلحة
 و الثياب ولا يزرع منه فرسه ولا يحرق الشيء الذي غلّ ، و قال الحسن :
 يحرق جميع متاعه إلا أن يكون حيوانا أو مصحفاً ، و الغلول إما مطلقاً
 ٥ و إما في الغنيمة . و إذا بعث الإمام بسرية من بلد الإسلام بتقدمة لبيعها
 فغنمت قبل خروجه فقال أشهب : الغنيمة للسرية و الجيش و من حضر
 القتال ثم مات قبل القسمة فحقه في الغنيمة ثابت يأخذه ورثته - انتهى .
 نعود ، قيل إن يوشع بن نون فتح الله له مائة و ثلاثين مدينة
 من أرض الشام و الجزيرة و قتل مقاتلتهم ، و سبا ذراريهم و أموالهم .
 ١٠ قال كعب الأحبار : و ما أحلت الغنائم قبل محمد صلى الله عليه و سلم
 إلا ليوشع بن نون و أحلت أيضاً لنينا محمد صلى الله عليه و سلم ، وكانت
 الأنبياء عليهم السلام يعزلون الخمس فتجىء النار فتأكله ، و أمر النبي
 صلى الله عليه و سلم بأن تقسم الغنائم في فقراء أمته و ذلك من خصائصه
 صلى الله عليه و سلم . و كانت الصحابة رضوان الله عليهم لا يلتصقون من
 ١٥ الغنائم شيئاً حتى يقسم عليهم هو بنفسه صلى الله عليه و سلم ، بل كان كل
 من أصاب منهم شيئاً أتى به طرحه في الغنائم ، فبركة فعلهم ذلك وإخلاصهم
 و اعترافهم بنعمة الله تعالى عليهم ٣ [١٧٢ : الف] و ملازماتهم فعل الحق

(١) في الأصل : مطلقاً .

(٢) جازي قراءة الكلمة « ليتبعها » نظراً لسقوط النقط من الأصل .

(٣) هنا ينتهي القسم الساقط من بر حيث يستأنف الكلام في كلا المخطوطين
 بعد ذلك . و خاتمة الكلام في بن ١٢٤ : الف سطر ١١ .

والصدق والعدل وتواضعهم لله تعالى فتحت لهم البسلاد، وأطاعهم أهل العناد. وبنفس القول منهم والكلام اطاعتهم السباع والهوم، وكما روى أن عقبة بن نافع الأنصاري لما فتح أرض مزاته انصرف إلى جزيرة إفريقية فأتى وادي القيروان، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوم، فنادى بأعلى^٢ صوته: ٥
يا أهل الوادي ارتحلوا رحمكم الله فائنا نازلون. فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش ولا الهوم إلا خرج. وحدث الليث بن سعد أن عقبة ابن نافع لما أتى وادي القيروان وقف على رأس الوادي وقال: اظعنوا فائنا نازلون. قال ذلك ثلاث مرات فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها عما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون من حين ١٠
أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس وحتى لم يروا منها شيئا، فزلوا الوادي عند ذلك. قال الليث: فحدثني زياد بن العجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ٣ ولو التمس^٣ حية أو عقرب بألف دينار ما وجدت.

[قصص عن زيد بن أسلم وأبي بكر الصديق] ١٥

^١ قال زيد بن أسلم: خرج من المدينة رجل غازيا فاتبعته امرأة إلى

(١) في بن [١٢٤: ٩]: أطاعهم.

(٢) في الأصل: بأعلا. وهي كذلك في بن.

(٣-٣) في بن: و التمس.

(٤) الجملة ساقطة من بن ابتداء من «قال زيد» لغاية «الصبي يتحدث بذلك».

باب دارها وهي حامل، فلما ودعته أشار بيده إلى بطنها وقال: استودع الله ما في بطنك، فقضى أنها ماتت بعد سفره بأيام قلائل، فدفنت و جنينها في بطنها، فرؤى^١ على قبرها نور ساطع، فشاع ذلك في الناس، فكان يرى ذلك النور في كل ليلة حتى قدم زوجها من^٢ الغزاة، فأخبر بخبرها، فخرج إلى القبر ليلا، فانصدع قبرها، فاذا المرأة قاعدة في أكفانها والصبي في حجرها، قالت له: دونك يا فلان ما استودعت الله تعالى نخذه، ولو استودعتنا لوجدتنا. فأخذ الصبي منها حيا وانطبق القبر عليها. قال زيد بن أسلم: رأيت الصبي بعد ذلك يمشي مع الصبيان في أزقة المدينة. قال هشام ابن سعد: ولقد سمعت أن^٣ الصبي يتحدث بذلك. ^٣ ومن ذلك ما جعله الله^٤ في أمة النبي عليه السلام بعد وفاته وفي صحابته من الكرامات من إجابة الدعوات والخبر عن الغائبات، منها أن الحارث^٥ المحاسبي أحد المشايخ^٦ الصالحين المذكورين^٧ في رسالة القشيري كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فيمتنع من أكله، فان قيل

(١) في الأصل: فرى.

(٢) لعل الكلمة «مع» بدلا من «من».

(٣) استؤنف الكلام في بن من هنا [١٢٤: الف].

(٤) زيد في بن: تعالى.

(٥) ساقطة من بن.

(٦) عن بن، وفي بر: مشايخ.

(٧) عن بن، والكلمة في بر: المذكور.

فأبو بكر الصديق رضى الله عنه ^١ أولى بكل مزية من سائر الأمة، وقد وزن بالأمة فرجح . وقد روى أنه قدم له لبن فأكل منه فوجد كدرة في قلبه ، فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقال غلام [ب : ١٧٢] له : كنت أتكهن لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتى فاشتريت منه ذلك اللبن . فتنبأه أبو بكر ثم قال : والله لو لم يخرج إلا بمصاربى لأخرجتها ^٢ ، فكيف شرب اللبن الذى فيه شبهة ولم تظهر له شبهة ^٣ ؟ قيل إن من حسن ^٤ اختيار الله ^٥ لآبى بكر أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثبه الله ^٦ على ذلك ، وأيضاً ليجمله قدوة للعباد فيقتدى به من أكل طعاماً فيه شبهة ، وأيضاً من حسن ^٧ اختيار الله ^٨ لآدم أكله ^٩ من الشجرة بعد أن نهى عنها حتى يتوب ^{١٠} من العمل فيكون قدوة للتائبين ^{١١} وحتى يتعرف إلى الله ^{١٢} بحلمه فيعرف ^{١٣} أنه أكرم الأكرمين ، ويوقفه على وجود ستره ولطفه فيعلمه ^{١٤} أنه اللطيف بعباده المؤمنين .

(١) زيد بن : تعالى .

(٢) بن : فأخرجته .

(٣) بن : شبهته .

(٤) في الأصلين : أحسن .

(٥) كذا في بن وهو الصحيح ، وفي بر : أحسن .

(٦) في الأصلين : وأكله . - والواو زائدة .

(٧) كذا في بن ، والكلمة في بر : يقرب .

(٨) في بن : للتائبين .

(٩) في بن : فيعلم .

و ليسكون أكل الشجرة سببا في النزول ، و النزول سببا في الخلافة ، فأكرم بها ١ معصية أورثته الخلافة . قال تعالى : ” إني جاعل في الأرض خليفة ٢ “ فهو أول خليفة و نبي ٣ . و النبيون جمع نبي ، و النبي فعيل من النبأ الذي هو الخبر ، و النبوة هي الارتفاع ، و كلا المعنيين صحيح أن ٤ يشتق منه اسم النبي ، لأن الأنبياء عليهم السلام أرفع الناس منزلة ، فلهم النبوة على جميع الخلائق أى الارتفاع ، و هم ٥ أيضا على نبأ الله أى خبره ، إذ هم معادن الوحي الذي هو خبر الله تعالى . و قد حتمت الأنبياء ٦ بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم المكنى بأبي القاسم ٧

(١) زيد في بن : من .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٣٠ .

(٣) زيد في بن [١٢٤ : ب] و لما داق آدم لذة الجنة و طيب المتاجاة في الهبوط حرت الأنهار من دموعه فلا يوزن ببكائه بكاء أحد ولا يثقله بقلقل مخلوق ما كان سكون آدم إلا أنه قال : يارب إني تبت و أصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ فقيل : نعم ! (بياض بالأصل) .

إذا ما ادعينا سلوة عن هواكم حرى الدمع فكذب دعوانا
مليت الوشاة حين بثت حديثنا إليها دموع العين رقت لبلوانا - انتهى
فلندكر الآن ما قيل في البيهقي : النبيون جمع نبي - الشيخ .

(٤) في بن : اذ .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : عليهم السلام .

(٧) في بن : القسم .

المتصل نسبه إلى معد بن عدنان المقرون ذكره مع ذكر الله ١ في الأذان صلى الله عليه ٢ وعلى جميع الأنبياء ما هطل الغمام ، وغرد الحمام ، صلاة دائمة على بمر الساعات و الأيام ، و الشهور و الأعوام . فحمد صلى الله عليه وسلم ٣ حجة الله ٣ المؤيدة ببراہين ٤ أنواره ، وفائدة الكون ونكته أدواره ٥ ، و ٦ صفوة نوع البشر و منتهى أطواره ٦ ، المجتبي المختار موجود ٥ الوجود ٤ ، واسطة العقود ٧ ، المصطفى وديعة النور ، المتقل في الجباه ٨ الكريمة والغرر ٩ ، و درة الأنبياء ، التي لها الفضل على الدرر ١٠ ، و غمام الرحمة الهامية الذرر ، مختار الله المخصوص باجتماعه ، و حييه الذي له المزيد ١١ على أحبابه ، من ذرية أنبياء الله آبائه ، الذي شرح صدره

(١) زيد في بن : تعالى .

(٢) زيد في بن : وسلم .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : براهين .

(٥) في بن : انواره .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : العقد .

(٨) في بن : الحياة .

(٩) في بن : والغرور .

(١٠) في بن : الدور .

(١١) في بن : المزية .

و غسله ، ثم بعثه واسطة^١ بينه وبين العباد وأرسله ، وأتم عليه إنعامه
و أجزله ، وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله ، إلى بشرى المسيح
والذبيح ، المخصوص بالنسب الصريح ؛ الذى جعله فى المحول^٢ غماما ،
و للأنبياء^٣ إماما ، وشق صدره لتلقى^٤ روح أمره غلاما ،^٥ وأعلم به
ه فى التوراة والإنجيل إعلاما^٥ ، وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما ،
الشفيع الذى لا تُرد فى العصاة شفاعته ، [١٧٣ : الف] والوجه الذى
قُرن بطاعة الله طاعته ، والرؤف^٦ الرحيم الذى خلصت إلى الله فى أهل
الحرم ضراعتة ، صاحب الآيات التى لا يسع ردها ، والمعجزات التى
أربا على الألف عدها ، من قر شق ، وحذع يحس^٧ وحق^٨ ، وبنان ،
١٠ يتفجر بالماء فيقوم يرى الظماء ؛ وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره ؛
وغمام يظل به مقامه ومسيره ، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض ،
و أول من تنشق عنه الأرض ، وسيلة الله التى لولاها ما فرض^٩ العرض ،

(١) فى بن : بواسطة .

(٢) فى بن : المحول .

(٣) فى بن : والأنبياء .

(٤) فى بن : ليلقى .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : الرؤف .

(٧) فى بن : حن .

(٨) كذا فى الأصلين ، ولعل الكلمة « بحق » .

(٩) عن بن ، وفى بر : أفرض .

ولا عرف النفل و الفرض ، محمد بن عبد الله المحمود الخلال ، من ذى
الجلال ، الشاهدة بصدقه صحف الانبياء و كتب الإرسال ، و آياته التى
أثلجت^١ القلوب ببرد اليقين السلسال ، صلى الله عليه ما ذرّ شارق ،
و أومض بارق ، و فرق بين اليوم الشامس و الليل الدامس فارق ، صلاة
تأرجع عن شذا الزهر ، و تبلجج^٢ عن سنا الكواكب الزهر ، و تردد^٣
بين السر و الجهر ، و تستغرق^٤ ساعات الأيام و الشهر ، و تدوم بدوام
الدهر ، و على آله و أصحابه بحوم الهدى ، و مصايح الدجى^٥ ، و سلم
تسليما كثيرا - فحمد^٦ صلى الله عليه و سلم سيد الانبياء^٧ زمانا ، و إن كان
أولهم منزلة و كالا ، كما قال عليه السلام « كنت نيا و آدم بين الماء
و الطين » . و قال أيضا « أنا سيد ولد آدم و لا نفر و أنا خاتم النبيين ،
و معى خاتم كما يقال طابع و طابع ختام^٨ » الكتاب طبعه . قال الله ١٠
تعالى : « و خِتمه مسك^٩ » و سمي نينا محمد عليه السلام خاتم النبيين
لما كان آخرهم . قال ابن الفارض :

(١) فى بن : تجلت . و بهامشها : اتجلت .

(٢) فى بن وردت هذه الأفعال بياء المضارعة بدلا من تائها فى بر كما فى النص .

(٣) فى الأصول : الدجاء .

(٤) فى بن : مجد .

(٥) ريد فى بن : خاتمهم فهو خير الأبياء .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) فى بن : حاتم .

(٨) قرآن كريم ٨٣ : ٢٦ .

- وجاء بأسرار الجميع مفيضها علينا له ختما على حين فترة
وما منهم إلا وقد كان داعيا به قومه للحق عن تبعية
أمر الله عز وجل كل نبي باتباعه . وقال ابن الفارض أيضا :
فعلنا منهم نبي و من دعا إلى الحق منا قام بالرسولية^١
٥ قال العفيف التلمساني : أى من جملة الأنبياء المذكور^٢ فهو نبي و منه قوله
عليه السلام « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » . وقال ابن الفارض :
و من كان منهم معجزا صار بعده كرامة صديق له أو خليفة
تقديره أو خليفة له .
بعزته استغنت عن الرسل الورى وأصحابه و التابعين الأئمة^٣
١٠ كرامتهم من بعد ما خصهم به بما خصهم من إرث كل فضيلة
[١٧٣: ب] فنصرة الدين الحنيفي بعده قتال أبي بكر لآل^٤ حنيفة
و سارية^٥ الجاه للجبيل^٥ الندا ء من عمر و الدار غير قرية
و لم يشتغل^٦ عثمان عن ورده و قد أدار عليه القوم كأس المنية

(١) في بن : بالوسالة .

(٢) ساقطة من بن [١٢٥ : الف] .

(٣) في بن : والأئمة .

(٤) في بن : لأبي .

(٥-٥) في بن : الجارية الحبيل .

(٦) في بن : يشعل .

و أوضح بالتأويل ما كان مشكلا على علم ناله بالوصية
و سائرهم مثل النجوم من اقتدى بأبهم منه اهتدى بالنصيحة
و للآولياء المؤمنين به ولم يروه اجتبا قرب لقرب الأخوة
مبنى على قوله عليه السلام : « واشوقاه١ إلى إخواني » .

و قريبهم معنى له كاشتياقه لهم صورة فاعجب بحضرة غيبة٥
فهم بمعنى إليه و لهم و المعنى أنهم بالمعنى قريبهم إليه و بالصورة٣ شوقه
إليهم فهم حاضرون بالمعنى غائبون بالصورة - انتهى٣

[لمع من أخبار أبي بكر وعمر و عثمان]

و سأذكر٤ لما من أخبار أبي بكر٥ و عمر و عثمان و على رضى الله٦
عنهم . أما أبو بكر فاسمه عبدالله بن أبي قحافة ، أمه أم الخير بنت
صخر بن عامر ، لبث في خلافته سنتين و أربعة أشهر إلا عشر ليال ،
و توفى بالمدينة ليلة الثلاثاء ثمان٧ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث

(١) عن بن ، و الكلمة في بر : واشوقا .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : غيبية ... و هو خطأ قلبي .

(٣-٣) الجملة واردة في بن و ساقطة من الأصل بر .

(٤) في بن : فلنذكر الآن .

(٥) في الهامش : مناقب الإمام أبي بكر الصديق .

(٦) زيد في بن : تعالى .

(٧) في الهامش : مطلب ، مناقب أبي بكر الصديق و باقي الصحابة .

عشرة من الهجرة . وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا في أخلاقه
 ولباسه ومطعمه ، وكان لباسه في خلافته الشملة والعباءة . وقدم إليه^١
 زعماء العرب وأشرفها وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرود الوشي
 المثقل بالذهب والتيجان والخبر ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد
 ٥ والنسك والتواضع ، وما هو عليه من الوقار والهيبة ، ذهبوا معه
 ونزعوا ما كان عليهم . فكان ممن وفد عليه^٢ من ملوك اليمن^٣ ذو الكلاع
 ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج
 وما وصف آنفا ، فقلع ما كان عليه وتزيتا بزى أبي بكر ، ورئى^٤
 أبو بكر يوما في سوق من أسواق المدينة على كتفه جلد شاة ، فزعزت
 ١٠ عشيرته^٥ لذلك وقالوا^٦ : لقد فضحتنا بين المهاجرين والأنصار والعرب .
 فقال لهم : أأردتم أن أكون جبارا في الجاهلية جبارا في الإسلام ؟
 لا ! ها الله لا يكون طاعة الرب إلا بالتواضع^٧ لله والزهد في هذه الدنيا
 الفانية . وتواضعت الملوك ومن وفد عليه من الوفود بعد التكبر ،
 وتذللوا بعد التجبر . ولم يتقلد أحد الخلافة وأبوه باق غير أبي بكر

(١) كذا في بن ، وهي في بر : عليه .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصل بر : ورئى . وفي بن : روى .

(٤-٤) في بن : كذلك وقالت .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، وفي بر : التواضع .

رضي الله عنه . وكان له من الولد عبد الله و عبد الرحمن و محمد . فأما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه و سلم [١٧٤ : الف] فلحقته جراحة ، و بقي إلى خلافة أبيه ، و مات في خلافته ، و خلف سبعة دنائير فاستكثرها أبوه . و لا عقب لعبد الله . و أما عبد الرحمن ابن أبي بكر^٢ فإنه شهد يوم بدر مع مشركي مكة ، ثم أسلم فحسن إسلامه . و لعبد الرحمن عقب كثير بدو و حضر ناحية الحجاز مما يلي الجادة عن طريق العراق . و محمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، و منها عقب جعفر بن أبي طالب ، و تزوجها أبو بكر بعد مقتل جعفر ، فخلف عليها محمد^٣ ، ثم تزوجها بعد موت أبي بكر علي بن أبي طالب فأولدها أولادا . و كان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قریش لنفسه و زهده . و مات أبو قحافة جده في خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشر للهجرة .

[عمر بن الخطاب و مناقبه]

ثم خلف من بعد أبي بكر عمر بن الخطاب بن نفيل^٤ ، فلبث في خلافته^٥ عشر سنين و ثلاثة أشهر . ثم طعن يوم الأربعاء ١٥

(١) زيد بن : تعالى .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : محمد .

(٤) في الأصلين : يدعا .

(٥) زيد بن : رضي الله تعالى عنه .

(٦) في بن : الخلافة .

لسبع بقين من ذى الحجة ستة أربع و عشرين من الهجرة ، فلبث في طعنته ثلاثة أيام يصلى في ثيابه التي طعن فيها و توفي . وكان يلقب بالفاروق لأن الشيطان كان يفرق منه أى يهرب عنه . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتله و من قتله إن شاء الله تعالى . و كان متواضعا خشن الملبس شديدا في ذات الله ' ، و كان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم و غيره ، و يشتمل بالعبادة ٢ ، و يحمل القرية على كتفه مع هبة قد رزقها . و كان أكثر ركابه الإبل و رحله مشدود بالليف ، و كذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد و أوسعهم من الأموال . و حج عمر فأنفق ٣ في ذهابه و مجيئه ستة عشر دينارا . فقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا ١٠ و أجحفنا بيت مال المسلمين . و عمر رضى الله ' عنه له مناقب كثيرة . فتنها * قوله « يا سارية الجبل ، وهذا عمر صاح بسارية ، و سارية بأرض العراق مصاف للعدو ، و عمر بالمدينة على المنبر يخطب يوم الجمعة فقال سارية : هذا صوت عمر يأمرنى بالجبل ، فابتدروا الجبل ، فهزم العدو و أصابوا غنيمة عظيمة . قال ابن الفارض :

(١) في بن [١٢٥ : ب] زيد تعالى .

(٢) في بن : بالعبادة .

(٣) الكلمة في الأصلين : نفق .

(٤) زيد في بن : تعالى .

(٥) في بن : منها .

و سارية أجهاء للجبل الدا من عمر و الدار غير قريبة
و من مناقب عمر قصته مع النيل - كتب عمر إلى نيل مصر: إذا كنت تجرى
بحولك وقوتك فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجرى بحول الله ومته فاجر ٣ .
يجرى حتى اليوم ٤ . و من مناقب عمر قصته مع جرة بن شهاب، و ذلك أنه
[١٧٤: ب] قال لرجل: ما اسمك؟ فقال: جرة. فقال: ابن من؟ فقال: ٥
ابن شهاب. فقال: بمن؟ فقال: من الحرقة. ٤ فقال: أين مسكنك؟ ٤

(١) زيد في بن: و ذلك لما فتحت مصر في خلافته أي أهله (كذا) عمرو بن
العاص حين دخل بؤنه من أشهر القبط فقالوا له أن لنيلنا ستة لا يجرى إلا بها،
فقال و ما ذلك؟ فقالوا: إذا كان ثنتي عشرة خلت من شهر بؤنه عمدنا إلى
جارية جميلة تكون بين أبويها و يجعل عليها من اللباس و الحلى أفضل ما يكون
ثم نلقها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام. و إنما
شهر بؤنه و أييب و مسرى و النيل لا يجرى قليلا و لا كثيرا حتى هموا بالخللا.
فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك. فكتب إليه أنك أصبحت في
الذي فعلت و إني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابك فألقها في النيل. فلما قدم
كتابها أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر إلى نيل مصر إن كنت
تجري - الخ » .

(٢-٢) في بن: و منته فاستل الله أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل يوم
الجمعة فأصبحوا يوم السبت و قد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة،
و قطع الله تعالى تلك السنة عن أهل مصر إلى يومنا .

(٣) في الأصل: فاجر .

(٤-٤) في بن: قال مسكنك .

فقال : بحرة النار . قال : بأيها ؟ قال : بذات لظى . قال : أدرك أهلك فقد احترقوا . فمضى الرجل إلى أهله فوجدهم قد احترقوا بالنار . ومن مناقب عمر ' قصته مع النار ' الخارجة من الجبل ، وذلك أن نارا خرجت من كهف جبل ، وكانت تخرج فتحرق ما أصابت ' . فقبل لعمر ذلك فامر أباه ٣ موسى الأشعري أن يدخلها الكهف ، فجعل أبو موسى يحتبسها ، بردائه حتى أدخلها الجبل ، فلم تخرج بعد ذلك .

[خلافة عثمان بن عفان]

ثم إلى الخلافة بعده عثمان ' بن عفان رضى الله عنه ، و كان في نهاية الجود و الكرم و السماحة و البذل في القريب و البعيد ' .

(١-١) عن بن ، و هي في بر : قصة النار .

(٢) في بن : أصابته .

(٣) عن بن ، و هي في بر : أبو .

(٤-٤) في بن : يحبسها .

(٥) في بن : عثمان .

(٦) زيد في بن : تعالى .

(٧) زيد في بن [١٢٥ : ب] : وبنى داره بالمدينة وشيدها بالحجر و... بس وحل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالا وجنانا و عيونا بالمدينة ، و ذكر عبيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وخلف خيلا وإبلا كثيرة ، وفي خلافة عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره =

فكانت

فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة كُملًا ، و قُتل يوم الجمعة لثمان عشرة
 خلت من المحرم سنة سبع و ثلاثين من الهجرة ٢ . و كانت رومة ركية
 ٢ ليهود بالمدينة تبيع ماءها ٢ من المسلمين . فقال النبي صلى الله عليه
 = بالبصرة و ابتنى [١٢٦ : ألف] دوره بالكوفة ومصر والإسكندرية وترك
 بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري كان على
 مربطه ألف فرس و له ألف بعير و عشرة آلاف شاة من الغنم و بلغ بعد وفاته
 الربع من ماله أربعا و ثمانين ألفا ، و لما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب
 و الفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الضياع و الأموال بقيمة
 مائة ألف دينار ، و مات يعلى بن منبه و خلف نحسائة ألف دينار و ديونا
 على الناس و عقارات و غير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار و هذا باب كبير
 وصفه فيما تملك و اقتنى في أيام عثمان بن عفان ، و لم يكن قبل ذلك في عصر عمر
 ابن الخطاب شيء مما ذكر بل كانت جادة واضحة و طريقة بينة ، و كانت
 خلافة عثمان بن عفان اثنتي عشرة سنة - الخ .

و قد وردت هذه الفقرة فيما بعد في بر و لكفنا آثرنا تركها ها من بن
 لوجود بعض الاختلاف و السقط بينهما .

(١) في الأصلين : اثني .

(٢) زيد في بن : و قتل و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة و قيل لعثمان بن عفان
 و هو محصور بداره أنه يصلي للناس امام فتنة و أنت امام العامة ، فقال إن الصلاة
 من أحسن ما يفعله الإنسان فاذا أحسن الإنسان ما حسن و إن أساء فاجتنب (!)
 إساءتهم .

(٢-٢) في بن : ليهودي يُباع ماؤها .

و سلم : « من يشتري رومة و يجعلها للمسلمين ، يضرب بدلوه في دلائهم ،
 و له بها مشرب في الجنة » . فأنى عثمان بن عفان لليهودى فساومه بها ،
 فأبى أن يبيعها كلها ، فاشتري نصفها بائى عشرة ألف درهم ، و جعلها
 للمسلمين . و كان اتفق مع اليهودى أن تكون لكل واحد منهما يومه في
 الإسقاء^٢ ، فكان إذا كان يوم عثمان^٣ استقى^٤ المسلمون ماء يكفيهم
 ليومين . فلما رأى ذلك اليهودى قال : أسدت على ركيكى . ثم باع
 النصف الثانى بثمانية آلاف درهم . فصار المسلمون يستقون^٥ منها بغير
 ثمن^٦ . و كان^٧ عثمان له^٨ من الولد عبد الله الأكبر و عبد الله الأصغر ،
 أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و أبان و خالد و سعيد
 ١٠ و الوليد و المغيرة و عبد الملك ، و أم أبان و أم سعيد و أم عمر^٩
 ٨ و أم عائشة^٩ . و كان عبد الله الأكبر يلقب بالمطرف^{١٠} لجماله و حسنه ،

(١) في الأصلين : عشر .

(٢) في بن : الاستسقاء .

(٣) في بن : عثمان .

(٤) في بن : استقا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : وإنما كانت المسلمون قبل ذلك يستقون منها بالشرى
 من اليهودى .

(٧-٧) في بن : لعتن .

(٨) في بن : همرو .

(٩-٩) في بن : وعائشة .

(١٠) في بن : المطرق .

و كان كثير التزويج^١ . كثير الطلاق . و كان أبان أبرص أحول قد حمل عنه أصحاب الحدث عدة من السنن ، و ولي لبني مروان مكة و غيرها . و كان الوليد صاحب شراب و فتوة و مجون . و قتل أبوه^٢ عثمان و هو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة . و بلغ عبد الله الأصغر ستة^٣ و سبعين يوما فنقره ديك على عينه ، فكان ذلك^٤ سبب موته . و بنى^٥ عثمان داره بالمدينة و شيدها بالحجر و الكلس ، و جعل أبوابها من الساج و العرعر ، و اقتنى أموالا و جنانا و عيونا بالمدينة . و ذكر عبيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون و مائة ألف دينار . و خلف حيتلا و إبلا كثيرة . و في خلافة [١٧٥ : ألف] عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع و الدور . و منهم الزبير^{١٠} ابن العوام بنى^٦ داره بالبصرة ، و اتقى^٧ دوره بالكوفة و مصر و الإسكندرية ، و ترك بعد وفاته خمسين ألف دينار و ألف فرس و ألف عد و أمة . و كذلك طلحة بن عبيد الله التيمي كانت غلته من العراق

(١) في بن : التزوج .

(٢) في بن : أباه .

(٣) في الأصلين : ستا .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في الأصل : و بنا - و يلاحظ أن العبارة القادمة برمتها فيما يتعلق بشراء الصحابة في عهد عثمان وردت قبلئذ في بن كما هو واضح من حاشية سابقة .

(٦) في الأصل : بنا .

(٧) في الأصل : ابتنا .

في كل يوم ألف دينار . و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري كان على مربطه ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم ، وبلغ بعد وفاته الربع من ماله أربعا وثمانين ألفا . ولما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار . ومات يعلى بن منبه وخلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار . وهذا باب يكثر وصفه فيما تملك واقتنى في أيام عثمان بن عفان . ولم يكن قبل ذلك في عصر عمر بن الخطاب شيء مما ذكر ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بيّنة .

- ١٠ . وكانت قصة عمر رضي الله عنه في استسقاؤه بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك صلى الله عليه وسلم إذ كان بين أظهرنا ، وهذا عمه فاسقنا . فسقام الله حتى فاض الماء وطفق الناس يمسحون بالعباس أركانهم ، ويقولون هنيئا لك ساقى الحرمين ، وبنو العباس يفتخرون بذلك . وقيل خرج عمر يستسقي بالمدينة ومعه
- ١٥ العباس . وقد أقحطوا وخرج الناس معهما ، قال : فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال : أيها الناس استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا . ثم قال : اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ،
- (١) القصة من هنا إلى خلافة علي بن أبي طالب ساقطة من بن و يستأنف الكلام بالعبارة « وولى الخلافة بعد قتل عثمان - الخ » مع بعض الاختلاف اللفظي .

و قد قبضته إليك ، و إذا توحه إليك بعم نيك و نستسقيك به فاسقنا .
 قال بعضهم ، فنظرت إلى العباس و كأن وجهه ورقة مصحف ، و عيناه
 تهملان ، و سبابته تجولان ، و هو يقول : إنك لم تهمل الرعية ، و لم تدع
 الكبير بدار مضیعة ، و قد ضرع الصغير ، و رق الكبير . فتدارك
 عبادك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لم يقنط من رحمتك إلا القوم
 الخاسرون . قال فنشأت طرة من غيم كاليلة الخروف ، ثم تفرقت في
 السماء و هدرت ، فاعتلقوا الحدا (كدا) و قلعوا المأزر والملا ، و أهمت
 القوم أنفسهم من شدة المطر ، [١٧٥ : ب] و طفقوا تمسحا بالعباس
 و يقولون : هنيئا لك ساقى الحرمين و في ذلك يقول الفضل بن العباس :

١٠ أبى استسقى^١ عمر فأنزل الله المطر

قال بعضهم : سمعت أعرابيا يقول : باكرنا و سمي^٢ و خلعه ولى ٣ ، فصارت
 الأرض كأنها ديباجة رقصاء قد أحكم نسجها ، فبينما نحن كذلك إذ أقبلت
 رجُل من الجراد ، فأخربت البلاد ، و أهلكت العباد ، فسبحان الذى يهلك
 القوى الأكل بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

١٥ إنزل الجراد على زرعى فقلت له إنزل بخير ولا تنزل يافساد

فجاوبتنى إحداهن قائلة إنا على سفر لا بد من زاد

فالجراد إذا بات فى زرع يانع ، لم يصبح به بلغة لجائع ، بل يحصده

(١) فى الأصل : استسقا . و قد صحح هبء الكلمة بقلم آخر .

(٢) الوسمى أول مطر الربيع .

(٣) الولى المطر الذى يلى الوسمى .

حصداً ، ويصير أرضه سوداً ، فالجراد جائحة من الجوامح ، يقال للذكر والآنثى جرادة ، والجرادة تكى أم عوف ، قال الشاعر :

وما صفراء تكى أم عوف كأن رجيلتيها منجلان

حكى أن الجراد وقع على زرع كان لرابعة العدوية ، فلما جاءها الخبر خرجت فرأت الجراد قد ارتكبه ، فرمقت بطرفها نحو السماء وقالت :
إلهي رزقي قد تكفلت به ، فان شئت فأطعم رزقي أعداءك ١ ، وإن شئت فأطعمه أوليائك ٢ ؛ فطار الجراد جميعه عنه .

و حكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنামه إلى واد كثير الذئاب ، و كان قد بلغ من ٣ التعب و الجهد ، فبقى متغيراً ، إن ١٠ اشتغل بحفظ الأغنام يحجز عن ذلك لغلبة النوم عليه و التعب ، وإن هو طلب الراحة و السكون عاثت الذئاب في الأغنام ، فرمق طرفه إلى السماء و قال : إلهي أحاط عليك ، و فخذت * مشيتك . ثم وضع رأسه و نام ، فلما استيقظ وجد ذئباً واضعاً عصاه على عنقه و هو يرمى الأغنام ، فعجب من ذلك ، فأوحى الله إليه : يا موسى كن لي كما أريد آكن لك ١٥ كما تريد - انتهى .

(١) في الأصل : أعداك .

(٢) في الأصل : أولياك .

(٣) كذا في الأصل ، و لعل الكلمة : منه .

(٤) كذا في الأصل ، و لعل الكلمة : متحيراً .

(٥) في الأصل : هدت .

[خلافة علي بن أبي طالب]

- ١ ولى الخلافة بعد قتل عثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
 فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وستة عشر يوما . و قتل يوم
 الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة .
 و دفن ليلا ، و أعمى قبره ٢ فمنهم من قال إنه حمل إلى المدينة و دفن ٥
 عند قبر فاطمة . و منهم من قال إنه حمل على جمل في تابوت ٣ ، و ان
 الجمل تاه به و وقع [١٧٦ : الف] إلى بلاد طى . و كان مولد علي ٢ في
 الكعبة ، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم * بن عبد مناف ، و كان إسلامه
 و هو ابن خمسة عشر سنة . و قال له ٦ النبي ﷺ عليه و سلم :
 « من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه » . ١٠
 و قال النبي صلى الله عليه و سلم : « أما ترتضى ٨ أن تكون مني بمزلة
 هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدي » . ٩ و بهذا الحديث سمت ٩

- (١-١) في بن : تم بويج لعلي ابن أبي طالب بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما .
 (٢) زيد في بن : و قد تنوزع في قبره فمنهم من قال إنه دفن في مسجد الكوفة ،
 و منهم من قال - الخ .
 (٣) في بن : تابوته .
 (٤) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .
 (٥) في بن : هشام .
 (٦) ساقطة من بن .
 (٧) في هامش ر بقلم غير قلم الناسخ « به نظر بل دون ذلك كما في السير » .
 (٨) في بن [١٢٦ : ب] رضي .
 (٩-٩) في بن : الحديث سمت .

الشيعة على بن أبي طالب « الوصي » ، وقالوا فيه إنه استخلفه على أمته ،
إذ جعله بمنزلة هارون^١ من موسى ، لأن هارون^١ كان خليفة موسى
على قومه إذا غاب عنهم . وقال السيد الحميري :

إني أدين بما دان الوصي به و شاركت كفه كفي بصقينا

٥ و صقين موضع حرب أهل العراق . و جمع النبي صلى الله عليه وسلم
عليا^٢ وفاطمة و الحسن و الحسين فألقى عليهم كساءه و ضمهم إلى نفسه ،
ثم تلى^٣ هذه الآية : ” إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
و يطهركم تطهيرا “ و قال : « هؤلاء أهل بيتي » . و لقوله « إني تارك
فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله و عترتي » ، فتأولت الشيعة
١٠ الرجس هاهنا الخوض في غمرات الدنيا و لذاتها . و قال النبي صلى الله
عليه وسلم يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله
لا ينثني حتى يفتح الله له » فدعى^٤ عليا و كان أرمدا فقل في عينيه
و قال : اللهم قه أذى الحر و البرد ، فكان يلبس كسوة الشتاء في الصيف
و كسوة الصيف في الشتاء و لا يضره . و قال علي بن أبي طالب : أنا أخو
١٥ رسول الله^٥ و ابن عمه لا يقولها بعدى إلا كذاب . و قال الشعبي : مثل
علي بن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل ،

(١) في بن : هرون .

(٢) في هامش بر « مطلب ، أخبار سيدنا علي و إسلامه و أخبار الكساء » .

(٣) في بن : تلا .

(٤) قرآن كريم ٣٣ : ٣٣ . (٥) من بن ، و في بر « و عترتي » .

(٦) في بن : فدعا .

(٧) زيد في بن : صلى الله عليه وسلم .

أحبه قوم فكفروا في حبه ، و أبغضه قوم فكفروا في بغضه . و قال النبي عليه السلام : الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة ، و أبوهما خير منهما ٢٠ . و قال أبو الحسن : كان علي بن أبي طالب يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيء ، ثم يرش له و يقبل فيه ، و يتمثل بهذا البيت :

٥

هذا جنائ و خياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه
قال : و كان علي إذا دخل بيت المال و نظر إلى ما فيه من الذهب و الفضة فيقول : ابيض و اصفرى و غرّى غيرى ، إني من الله بكل خير .
قال القاضي ابو حازم : إجماع الخلفاء الأربعة حجة لقوله عليه السلام : عليكم بستي و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى . و قيل إجماع الشيخين ١٠
لقوله ٣ : اقتدوا بالذين من بعدى [١٧٦ : ب] أبو بكر و عمر . و قال

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) زيد هنا في بن : و كان محمد بن علي بن أبي طالب و هو ابن الحنفية و اسمها خولة بنت جعفر من سبي اليمامة ولد في صدر خلافة عمر و رأى عمر و روى عنه وعن أبيه علي و عن عثمان و عن أبي هريرة و غيرهم و روى له الجماعة و سمته الشيعة المهدي و هم يزعمون أنه لم يمت و أنه مقيم بجبل رضوى عنده غسل و ماء ، و كان محمد بن الحنفية من الفرسان و اولى القوة . حكى المبرد في الكامل أن أباه عليا استطال درعا كان له من ورد فقال له نقص منها كذا و كذا خلقة فقبض محمد إحدى يديه على ذيلها و الأخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي قدره أبوه . و كان عبد الله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب و اعتراه رعدة لأنه كان يغبطه على قوته . و كان محمد بن الحنفية يلبس الخنز و يتعمم بعمامة سوداء .

(٣) زيد في بن : عليه السلام .

بعضهم يمدح الخلفاء الأربعة 'رضوان الله عليهم' :

قوم هم الخلفاء الراشدون ومن أقام ربى بهم للدين أركاناً
 قوم إذا ذكرت عندي فضائلهم شمت من جنة الفردوس ريحانا^٢
 منهم أبو بكر الصديق أولهم مقدم القوم أبطالاً وفرساناً
 ٥ وبعده عمر الفاروق صاحبه^٣ ذاك الذى لم يزل للدين معواناً
 ثم ابن عفان لا تنسى فضائله أعنى بذاك شهيد الدار عثماناً^٤
 وفي الإمام أبو السبطين حيدرة فضل غدا في كتاب الفضل عنواناً
 فأهل بيت رسول الله حبههم^٥ أرجو* به عند رب العرش غفراناً

[قصص وأخبار من عهد معاوية ويزيد]

١٠ ٦ وأما أبو قرضابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
 يغزو سنة ، وابنه عياض يغزو سنة . ثم أسر عياض في أرض الروم ،
 فكان أبو قرضابة يقوم في مواقيت الصلاة فيقول : يا عياض ، الصلاة

(١-١) ساقطة من بن .

(٢-٢) هذا البيت ساقط من بر و وارد في بن ، وجاءت لفظة « ريحانه » فيه
 « ريحنا » .

(٣) في بن : صاحب .

(٤) ساقطة من بن [١٢٧ : الف] .

(٥) في بن : أرجوا .

(٦) زيد هنا في بن : وأما العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن
 الخطاب في استسقاؤه بالعباس رضى الله تعالى عنهما : اللهم إنا نستسقى بنبيك
 صلى الله عليه وسلم إذا كان بين أظهرنا وهذا عمه [الكلمة مطموسة] =

== فسقاهم الله حتى فاض الماء و طفق الناس يتمسحون بالعباس أركانه
و يقولون هناك ساقى الحرمين ، و بنو العباس يفتخرون بذلك . و قيل خرج
عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته يستسقى بالمدينة و معه العباس و قد أقحطوا
و خرج الناس معها ، قال فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال : استغفروا ربكم
إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم
جنات و يجعل لكم أنهارا . ثم قال : اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك عهد صلى الله
عليه و سلم و قد قبضته إليك و إنا نتوجه إليك بعم نبيك عهد صلى الله عليه و سلم
و نستسقيك به فاسقنا . قال بعضهم فنظرت إلى العباس و كأنه ورقة مصحف
و عيناه تهللان و سبابته تجولان و هو يقول : إنا لم تمهل الرعية و لم تدع
الكسير بدار مضیعة و قد ضرع الصغير و رق الكبير فتدارك عبادك قبل أن
يقنطوا فيهلكوا فانه لن يقنط من رحمتك إلا القوم الخاسرون . قال : فنشأت
طرة من غيم كالیة الحروف ثم تفرقت فى السماء و هدرت فاعتلقوا الحدا
و قلصوا المآزر و الملا و اهتمت القوم أنفسهم من شدة المطر و طفقوا تمسحوا
بالعباس يقولون هنيئا لك ساقى الحرمين . و فى ذلك يقول الفضل بن العباس :

بأبى استسقى عمر فأنزل الله المطر

قال بعضهم سمعت أعرابيا يقول : باكرنا و يمينى و خلفه ولى ، فصارت الأرض
كأنها ديباجة رنشاء قد أحكم نسجها . فبينما نحن كذلك إذ أقبلت رجل من
الجراد فأخربت البلاد و أهلكت العباد فسبحان الذى يهلك القوى الأكل
بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

نزل الجراد على زرعى فقلت له أنزل بخير و لا تنزل بافساد
بخا و بتي إحداهن فائسة إنا على سفر لا بد من زاد

فالجراد إذا بات فى زرع يانع لم يصبح به بلغة لائح بل يحصده حصيدا و يصير
أرضه بعد الخضرة سودا فالجراد جائحة مع الجوائح و الجوائح الريح تسقط
الثمر و المطر و البرد ، و الجراد و الخليلد و الطير الغالب و انقطاع الماء فهو
جائحة فى القليل و الكثير بإجماع ، و أما ما كان اكتسابه من المخلوقين المكلفين ==

الصلاة^١ . فيجيبه عياض وهو بأرض الروم . وأما^٢ أبو أيوب^٣ خالد

= ولا يمكن الاحتراس منه كالجيش و السارق فاختلف فيه ، قال ابن القسم هو جائحة و قال نافع الجيش ليس بجائحة دون السارق . انتهى
نعود و نقول للذكر والأنثى جرادة و الجرادة تكنى أم عوف .
قال الشاعر :

وما صفراء تكنى أم عوف كأن رحليها منخلان (كذا)
الجرادة رجلها ستة ورأسها رأس مرس و عنقها عنق ثور و صدرها صدر
أسد و جناحا جناح نسر و رجلها رجل حمار (مة !) و ذنبها ذنب حية . و قال
الشاعر في النمل و العصفور و الجرادة :

ثلاثة في الأرض لا تزداد النمل و العصفور و الجرادة
حكى أن الجرادة وقع على زرع كان لرابعة العدوية فلما جاءها الخبر خرجت
مرأت الجرادة قد ارتكبه فرمقت طرفها إلى السماء و قالت إلهي رزقي قد تكفلت
به فان شئت فأطعم رزقي أعداءك وإن شئت فأطعمه أوليائك . فطار الجرادة
عنه . و حكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه الى واد كثير
الذئاب و كان قد بلغ به الجهد فبقى متحيراً إن اشتغل بنظر الأغنام [١٢٧ : ب]
عجز عن ذلك و غلب النوم عليه والتعب و لم يلبث هو طلب الراحة و السكون
عائت الذئاب في الأغنام فرمق طرفة إلى السماء و قال إلهي أحاط عليك و نفذت
مشيئتك ، ثم وضع رأسه و نام فلما استيقظ وجد ذئباً واضعاً عصاه على عنقه
و هو يرعى الأغنام فعجب من ذلك فأوحى الله تعالى « يا موسى كن لي كما أريد
أكن لك كما تريد » . انتهى .

نعود ، و أما أبو قرضابة - الخ .

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن : و من ذلك قصة أبي أيوب . - و يهاش بر : قصة أبي أيوب
خالد مع يزيد بن معاوية .

ابن زيد مع يزيد بن معاوية في غزوة القسطنطينية^١ فانه مات بها^٢ ،
وقبر^٣ في سور القسطنطينية ، فأشرف أهل القسطنطينية فقالوا ٣ :
إنما فعلتم هذا بعظيم من عظمائكم أحب أن يجاهدنا حيا وميتا ، فان
رحلتم لنخرجته . فقال يزيد بن معاوية^٤ : فان فعلتم لا مررت بكنيسة
ما بيني وبين الشام إلا خربتها . قالوا : فالتاركة . فارتحل يزيد^٥ بن
معاوية^٥ وتركهم . وكانوا إذا محلوا كشفوا عن قبره ، فاستسقوا به
فينزل لهم المطر . وكان يزيد بن معاوية^٦ قد أحب أريئب بنت
إسحاق^٧ في أيام والده معاوية^٨ ، وبلغ والده محبته لها ، فتجمل له
على أن يزوجه بها ، فما تقعت حيلته . وسأذكرها إن شاء الله تعالى^٩ .

قال عبد الملك بن عبدون الحضرمي في كتابه الموسوم بالدررة ١٠
الفريدة في شرح القصيدة الموسومة بزهر الكمامة^{١٠} و قطر الغمامة^{١١} ،

- (١-١) في بن : ومات أبو أيوب خالد بن زيد بها .
- (٢) زيد في بن : بها .
- (٣) ساقطة من بن .
- (٤) في بن : معاوية وحكمه ٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٨٠ م وحكم يزيد ٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م .
- (٥-٥) ساقطة من بن .
- (٦) زيد في بن : ابن أبي سفيان - وبهامش بر : قصة يزيد مع أريئب بنت إسحاق .
- (٧) في بن : إسحاق .
- (٨-٨) في بن : قبل أن يلي الخلافة .
- (٩-٩) الجملة ساقطة من بن .
- (١٠) في بن : الكمام .
- (١١) في بن : الغمام .

قوله ١ فيها :

وفي ابن هند^٢ وفي ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة^٣ الالباب والفكر^٤
فقال في^٥ شرح هذا البيت بعد أن ذكر خبر معاوية^٦ وأمه هند وولدهما
يزيد^٦ أن أرنب بنت إسحاق^٧ زوج عبد الله بن سلام القرشي ، وكان
عبد الله هذا واليا على العراق ، وكانت أرنب هذه من أجمل نساء وقتها
وأحسنهن أدبا ، وأكثرهن مالا . وكان يزيد بن معاوية^٨ سمع بجمالها^٩ وما
هي عليه^٩ من الأدب وحسن الخلق والخلق ، ففتن بها ، فلما عيل صبره ذكر
ذلك لآبيه معاوية^٨ ، فقال له معاوية^٨ : مهلا يا يزيد . فقال يزيد : علام تأمرني
يا أمير المؤمنين بالمهل [١٧٧ : الف] وقد انقطع منها الأمل^{١٠} ؟ قال

(١) في بن : وقوله .

(٢) في بن : غندر .

(٣) في بن : بمعضلة .

(٤) هذه القصيدة لأبي محمد عبد المجيد بن عبدون . راجع « نهاية الأرب »

ج . ص ١٨٨ .

(٥) ساقطة من بن .

(٦ - ٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : إسحاق .

(٨) في بن : معاوية .

(٩ - ٩) في بن : بما عليه .

(١٠) في بن : الأصل .

معاوية^١ : فأين عقلك و مروءتك؟ فقال له يزيد : قد عيل العقل^٢ ، ولو كان أحد ينتفع فيما يبتلى به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به^٣ . قال له : اكتم بابني خبرك ، فان البوح به غير نافعك ، والله بالغ أمره فيك ، ولا بد مما هو كائن . وأخذ معاوية^١ في الحيلة يريد رضى ولده فيها ، فكتب معاوية^١ إلى عبد الله بن سلام^٥ زوج أرينب ، وكان استعمله على العراق : أن^٤ اقبل لأمر فيه حظك إن شاء الله ولا تتأخر . وكان عند معاوية^١ يومئذ بدمشق أبو هريرة وأبو الدرداء ، فلما قدم عليه عبد الله بن سلام ، أمر معاوية^١ أن يسزل منزلا قد هيأه له . ثم قال لأبي هريرة وأبي الدرداء : إن الله قد قسم على عباده نعما^٥ وأوجب عليهم حفظها ، فحباي عز وجل بآتم الشرف^{١٠} وأفضل الذكر ، وأوسع على رزقه^٥ ، وجعلني راعي خلقه ، وأمينه في بلاده ، والحاكم في أمر عباده ، ليلوني أشكر أم أكفر ، وقد بلغت لى ابنة أريد تزويجها في تنحل من يتزوجها ، لعل من يكون بعدى يقتدى^٦ بهدي ، ويتبع فيه أثرى ، فانه قد بلى هذا الملك بعدى من يغلب عليه

(١) في بن : معاوية .

(٢) في بن : والعقل .

(٣) في هامش بر بغير قلم الناسخ : انظر قيسح اعتذاره و تهوره وكيف احتج على غلبة هواه بنبي الله و خليفته .

(٤) في بن : بأن .

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) زيد في بن : فيه .

زهو الشيطان إلى تعطيل بناتهم ولا يرون لمن كفوا ولا نظيرا . وقد
رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله و مروءته وأدبه .
فقال له أبو هريرة وأبو الدرداء : إن أولى الناس رعاية نعم الله وشكرها
و طلب مرضاته فيما خصه بها منها ، لآنت صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم و كاتبه وصهره . قال ١ معاوية ٢ : فاذكرا لعبد الله بن سلام
ذلك عني ، وقد كنت جعلت لها في نفسه ٣ شوري ، غير أني أرجو ألا
تخرج من أمري ٤ إن شاء الله تعالى . فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل
عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ١ . ثم دخل معاوية ٢ على ابنته
فقال لها : إذا دخل عليك أبو الدرداء و أبو هريرة فعرضا عليك أمر
١٠ عبد الله بن سلام و تزويجي إياك منه و حضاك على المسارعة إلى هوائى
فقولى لهما ٥ : عبد الله كفؤ و قريب حميم ، غير أن تحته أرنب بنت
إسحاق ٦ ، و أنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فأتناول
منه ما يسخط الله فيه ، فيعذبنى عليه ٧ ، و لست بفاعلة حتى يفارقها .

(١) زيد بن [١٢٨ : الف] : لهما .

(٢) في بن : معاوية .

(٣) واردة في بن ، و ساقطة من بر .

(٤) في بن : اربي .

(٥) في بن : لهم .

(٦) في بن : إسحق .

(٧) ساقطة من بن .

فلما ذكر ذلك ١ أبو الدرداء وأبو هريرة ١ لعبد الله بن سلام ، وأعلماه
بالذي ٢ أمره معاوية ٢ ، فرح بذلك وحمد الله وبعثها إليه خاطبين عليه .
فقال لهما معاوية ٣ إذ جاءاه خاطبين : قد تعلمان رضائي به [١٧٧ : ب]
وحرصى عليه ، ٤ وكنت قد ٤ أعلمتكما الذي جعلت لها في نفسها من
الشورى ٥ ، فادخلا عليها ، واعرضا الذي ٦ رأيته لها ٦ ، فادخلا عليها ٥
وأعلماه ذلك ٧ . فقالت لهما كالذي ٨ قال لها أبوها ، ٩ وأعلماه بالذي
ارتضاه لها أبوها ٩ ، فأعلمنا عبد الله بن سلام بذلك . فلما ظن ١٠ أنه لا يمنعها
منه إلا عدم ١١ فراق زوجته أرينب ، أشهدهما على طلاقها ، وبعث بهما إليه
خاطبين . وأعلمنا معاوية ٣ بالذي كان من فراق عبد الله امرأته طالقا ١٢

(١ - ١) الاممان معكوسان في بن .

(٢ - ٢) في بن : امرهما به معاوية .

(٣) في بن : معاوية .

(٤ - ٤) في بن : وقد كنت .

(٥) كذا في بن ، وهي في بر : الشورا .

(٦ - ٦) في بن : ذلك عليها .

(٧) في بكلمة « الشورى » زائدة وهي غير موجودة في بن وهو الأصح .

(٨) في بن : الذي .

(٩ - ٩) الجملة ساقطة من بن .

(١٠) في بن : علم .

(١١) ساقطة من ، ر و واردة في بن .

(١٢) ساقطة من بن .

لما يرضى ابنته ، فأظهر معاوية^١ كراهية لفعله^٢ وقال^٣ : ما استحسننت له
 طلاق^٤ امرأته . وأقام عبد الله بن سلام ينتظر إيجاز الأمر ، فقالت
 ابنة معاوية^١ : إن أريئب بنت إسحاق^٥ ذات حظ من الجمال ، وقد بان لي
 من أمر^٦ هذا الرجل أنه ملول مطلق ، وأخشى عاقبة أمرى معه . فتوقف
 الأمر إذ ذاك : وأمر معاوية^١ أبا الدرداء أن يتوجه إلى العراق وكيلا
 في خطبة أريئب بنت إسحاق^٥ ليريد ولده . فتجهز وتوجه إلى العراق ، فلما
 وصل الكوفة مر بالحسن بن علي بن أبي طالب مستمعا^٧ عليه ، وسأله الحسن عن
 أمره ، فأعلمه الخطبة ليزيد بن معاوية^١ على أريئب بنت إسحاق قال له^٨ : اعرضني
 عليها في خطبتك . فلما دخل عليها أبو الدرداء قال لها : إن عبد الله بن سلام^٩
 ١٠ بت^{١٠} طلاقك^٨ ، وقد جئتكم خاطبا ليزيد ابن^{١١} أمير المؤمنين^{١١} معاوية^١
 وهو صاحب عقده ، وولي أمره^{١١} ، والخليفة من بعده ، ومن عند الحسن

(١) في بن : معاوية .

(٢) في بن : فعله .

(٣) « وقال » مكررة في بر .

(٤) عن بن ، وفي بر : خلاف .

(٥) في بن : إسحق .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في ر : مسلم . وفي بن : فسلم عليه .

(٨) زيد في بن منذ كذا وكذا وقد انقضت عدتك .

(٩) في الأصل : بن .

(١٠ - ١٠) ساقطة من بن .

(١١) في بن : عهده .

ان^١ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و سيد شباب أهل الجنة يوم القيامة^٢ ،
وقد بلغك سناؤهما و فضلها ، و جئتكم خاطبا عليهما ، فاختارى أيهما شئت .
فسكتت طويلا ثم قالت : يا أبا الدرداء لو أن هذا الامر جاءنى و أنت
غائب لاستخضت^٣ فيه^٤ الرسل إليك ، و اتبعت فيه رأيك ، و لم أقتطعه
دونك ، فأما إذا كنت المرسل فيه ، فقد فوضت أمري بعد الله إليك ،^٥
و جعلته فى يديك ، فاخته لى ارضاها لديك ، و الله شاهد عليك ، فاقض
فى قضائى بالتحرى ، ولا يصدنك^٦ عن ذلك^٧ اتباع هوى ، فليس أمرهما عليك
خفيا ، و لا أنت عما طوكتك^٨ غيبا . قال أبو الدرداء : إنما على إعلامك ،
و عليك الاحتيار لنفسك . قالت : عفى الله عنك^٩ ، أنا بنت أحبك ، و من
لا غنى به عنك^{١٠} ، فلا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوكتك ، فقد^{١١}
وجب عليك أداء^{١٢} الأمانة فيما حملتك^{١٣} ، و الله خير من روعى و خيف ، إنه

(١) فى بر : بن ، و هى كذا فى بن .

(٢) فى بر : القيمة .

(٣) فى بن : لا شخصت .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) ساقطة من بن .

(٦ - ٦) فى بن : بما طوكتك به .

(٧) فى بن : إنما .

(٨ - ٨) فى بر : لا عنايه عليك . و صحتها فى بن : لا غنا به عنك .

(٩) مطبوسة فى بن .

(١٠) ريد فى بن : و فيما حملت .

بنا خير لطيف . فلما لم يجد بدا من القول و الإشارة قال : أى بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب (١٧٨ : الف) إلى لك و أَرْضَى عِنْدِي و الله أعلم بخيرهما لك ، و قد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم واضعاً شفتيه على شفتى حسن^١ . قالت : قد اخترته و رضيته . فتزوجها الحسن بن ه علي و ساق لها مهراً عظيماً . و بلغ معاوية الخبر و ما كان من فعل أبي الدرداء في ذلك ، و تزويج الحسن إياها ، فتعاضمه جدا و لأمه شديداً و قال : من يرسل ذا بَلَهٍ و عَمِيَّ يركب خلاف ما يهوى . و كان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل^٣ فراقه بكرة مملوءة دُرّاً ، و كان ذلك أعظم مال^٤ لديه و أحبه إليه ، و قد كان معاوية^٥ قطع عنه جميع روافده لسوء قوله فيه ، و تهمة أنه حدعه^٦ ، فلم يزل يحيره^٧ حتى عيل صبره ، و قل ما في يديه ، و لام نفسه على المقام لديه^٨ ، و هو يتوقع جحود أرينب لسوء فعله و طلاقها لغير شيء أنكره عليها . فلما قدم العراق لقي حسناً فسلم عليه ، ثم قال له :

(١) في بن [١٢٨ : ب] : الحسن .

(٢) في بن : معاوية .

(٣) في بر : بعد ، و صحتها من بن .

(٤) كذا في بن ، و هي في بر : ماله .

(٥) في بن : معاوية ، و زيد بعدها : أصرحه .

(٦) في بن : بخبره .

(٧) زيد في بن : فرجع إلى العراق و هو يذكّر ماله الذي كان استودع (د) عه إياها

ولا يدري كيف يصنع فيه و كيف يصل إليه و هو يتوقع - الخ .

قد عرفت ما كان من^١ خرى وخبر أرنب ، و كنت قبل فراقى إياها
استودعتها^٢ مالا عظيما ، و كان الذى كان^٣ ولم أقتضه^٤ ، والله ما أنكرت
منها فى طول صحبتها فتىلا ، ولا أظن بها إلا جميلا ، فذا كرها أمرى ،
واحضضها على رد مالى ، فان الله يحسن عليه ذكرك ، و يحزل به أجرك .
فلما انصرف الحسن إليها قال لها : قد قدم عبد الله بن سلام ، و هو يحسن
الثناء عليك ، و يحمد^٥ النشر عنك ، فى حسن صحبتك ، و ما أنسه قديما من
أمائك ، فسرني ذلك^٦ ، و أعجبني منه ذلك ، و ذكر أنه قد استودعك مالا
فأد إليه أماتته ، و ردى عليه ماله ، فانه لم يقل إلا صدقا ، ولا يطلب
إلا حقا . قالت : صدق ، استودعني مالا لا أدري ما هو ، و إنه لمختوم
عليه بخاتمه ، و ما هو ذا فادعه إليه^٧ . فأثنى عليها حسن^٨ خيرا و قال : ١٠
بل أدخله عليك حتى تبرأ إليه منه كما دفعه إليك . ثم لقي^٩ عبد الله
ابن سلام و قال : ما أنكرت أرنب مالك ، و زعمت أنه بختمك كما

(١) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٢) فى بن : استودعتها ، و ظاهر أنه خطأ قلمى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : اقتضه .

(٥) فى بن : و يحمل .

(٦) ساقطة من بن و هو الأصح .

(٧) فى بن : إليك .

(٨) فى بن [١٢٨ : ب] : الحسن .

(٩) فى بن : القى .

دفعته إليها ، فادخل أوخذ مالك منها^١ كما دفعته إليها و تبرئها منه
إذا أدته إليك . فلما دخل عليها قال لها^٢ الحسن ! هذا عبد الله بن
سلام قد جاء يطلب وديعته ، فأدّ إليه أمانته . فأخرجت إليه تلك
الدرة ، فوضعتها بين يديه وقالت : هذا مالك . فشكر و أثني^٣ عليها ،
وفض عبد الله ختمه و حتا^٤ لها من ذلك وقال : خدى هذا قليل لك
منى . و بكيا حتى علت أصواتهما بالكاء أسفا على ما اتليا به ، فرق^٥
الحسن لها للذى سمع منهما فقال : أشهد الله أنها طالق ثلاثا ، اللهم قد
تعلم أنى لم [١٧٨ : ب] أتزوجها رغبة فى مالها و لا جمالها ، ولكنى
أردت إحلالها لبعلي فطلقتها . و لم يأخذ شيئا مما ساق إليها فى مهرها .
فسالها عبد الله أن ترد على الحسن ما كان أعطاها^٦ ، فأجابته إلى ذلك
شكرا لما صعه بها . فلم يقله الحسن وقال : الذى^٧ أرجو عليه من
الثواب خير لى . فلما انتقصت^٨ عسدها ، تزوجها عبد الله بن سلام ،
و بقيا زوجين متصافيين^٩ إلى أن فرق الموت بينهما ، و حرمها الله [على-^{١٠}]

(١-١) فى بن : و حده .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى ر : و ثنى ، وصحتها من بن .

(٤) فى بن : و حتى .

(٥) فى بن : أعطاه لها .

(٦) فى بر : انتقصت ، وصحتها من بن .

(٧) فى بن : متصافيين .

(٨) ساقطة من الاصلين ، و لزومها واضح من السياق .

يزيد بن معاوية^١ . و قيل : كان يزيد يتعاطى الشراب ، وهو القائل :

لولا الحيا لشربتها ما بين زمزم والحطيم
و جلوتها في كأسها فوق الصراط المستقيم

[موت الحسن بن علي]

٢ و قيل كان موت الحسن بن علي من سم سم به ، يقال إن زوجته
جمعة بنت الأسود بن قيس الكندي سقته إياه . و يذكر و الله أعلم
بحقيقة أمورهم أن معاوية^٣ دس إليها بذلك على أن يوجه لها مائة ألف
و يزوجه من ابنه يزيد . فلما مات الحسن وفا لها معاوية بالمال ، و قال
إني أحب حياة^٤ يزيد .

و ذكروا أن الحسن قال عند موته : لقد خانت^٥ شربته ، و الله .

(١) زيد في بن : و كان يزيد هذا آدم شديد الأدمة عظيم القامة نوحه أثر حدرى
بين يادر بلذاته و يجاهر بمعصيته و يستحسن خطأه و يهون الأمر على نفسه
في دينه إذا صحت له دنياه و كان ممن يتعاطى الشراب - الخ .

(٢) زيد قبل هذه العبارة في بن : و كان الحسن على بن أبي طالب كنيته أبو محمد
صمته كان أحد الشبهين برسول الله صلى الله عليه و سلم .

(٣) في بن [١٢٩ : الف] : معاوية .

(٤) في بن : حيوة .

(٥) كذا في الأصدين ، و لعل صحتها : لئن .

(٦) في بن : حاقت .

لأوفى لها بما وعد ، ولا صدق فيما قال . وفي سمه يقول رجل من الشيعة^٢ بعد قتل الحسين^٣ :

تعزّ فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي و قتل الوصي و قتل الحسين و سم الحسن

٥ انتهى ٣ .

[في القطب و الأقطاب]

نعود ، و إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض و إبراهيم ابن أدهم ، لأنهما كانا تقدم لهما زمن قطعة^٤ ، كما قال إن الفضيل كان قاطعا للطريق ، و ابن أدهم كان ملكا بلسخ ، ثم أقبلنا على الله تعالى ، فأقل الله^٥ عليهما ، فبدأ بذكرهما في رسالته بسطا لوجاء المریدین الذين كانت تقدمت منهم المخالفات ، ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العناية . إذ لو بدأ في رسالته بالجنيد و سهل بن عبد الله التستري و عتبة الغلام و المحاسي و أمثالهم ، منهم^٦ بمن نشأ في طريق الله^٥ ، لقال قاتل :^٧ و هل يدرك هؤلاء الذي لم تسبق^٨ منهم زلات ، و لم تتقدم منهم مخالفات ؟

(١) في بن : لأوفا .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) في بن زيد ما يلي : و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتل الحسين و كيفية قتله إن شاء الله تعالى - انتهى .

(٤) كذا في الأصلين ، ولعلها « قطيعة » .

(٥) زيد في بن : تعالى . (٦) ساقطة من بن .

(٧-٨) في بن : و من يدرك الذين لم تقبل .

و سئل الشيخ^١ أبو الحسن الشاذلي ، قيل له : يا سيدي ، لم بدأ صاحب الرسالة بآبراهيم بن آدم دون غيره ؟ وربما كان غيره مقدما عليه في التاريخ . فقال : لأن إبراهيم بن آدم كان من ملوك الدنيا ، فأصبح وهو كذلك ، فجاء وقت الظهر وهو من الأولياء ، فبدأ به صاحب الرسالة ليُعلم أن فضل الله ليس بعمل . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي من ٥
الاقطاب . [١٧٩ : الف] و القطب^٢ هو الغوث . و القطب هو الذي تدور عليه الرحا و السكرة . و قطب الكون هو الرجل الذي لأحله وجد الكون و عليه مدار كونية الدارين . و لكل^٣ عصر قطب و هو صاحب الوقت . و قطب الاقطاب هو الذي لم يكن قبله و لا بعده مثله ، و هو محمد صلى الله عليه و سلم . و هذا في الحقيقة لم يزل في العلم الأزل . ١٠
كذلك الأوتاد^٤ أربعة على أربعة جهات العالم . و الأبدال^٥ سبعة على حكم أيام الأسبوع و الكواكب السيارة ، و سمو^٦ أبدالاً لأنه إذا مات الغوث الذي هو القطب بدله واحد منهم . قال بزرجمهر حكيم الفرس : إن شئت أن تصير من جملة الأبدال فحول أخلاقك إلى أخلاق الأطفال . ف قيل له : كيف ذلك ؟ فقال : في الأطفال خمس^٧ خصال ١٥
لو كانت في الكبار لكانوا أبدالاً ، وهي : أنهم لا يفتنون للرزق ، و إذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم ، و أنهم لا يأكلون الطعام مجتمعين ، و إذا تحاصموا لم يتحاذوا و سارعوا إلى الصلح ، و أنهم يخوفون فيخافون بأدنى تخويف و تدمع أعينهم - انتهى^٨ .

(١) ساقطة من بن . (٢) في بن : القطب - و بهامش بر : القطب .

(٣) في بن : لكل . (٤) في هامش بر : الأوتاد .

(٥) في بن : الأبدال - و بهامش بر أيضا : الأبدال . (٦) في بن : سمو .

(٧) في هامش الأصل : مناقب الأطفال . (٨) في بن : آخره .

١٠ وللقطب رجلان عن يمين و شمال ، فهو بهم ثلاث ١ .
و الأوتاد بهم سبعة . فالعالم وجد لغاية هي قطب الاقطاب ، فابتداً
مترقيا حتى ظهرت ، ثم ينحط إلى أن ينعد ظهور أرباب الكمالات
الذين هم أقطاب أعصارهم بعده كما كانوا قبله ، فاذا توجهوا إلى الآخرة
خربت الدنيا ، لأنها لم تكن إلا من أجلهم ، و هم من أجل الغوث .
و قد قال ابن الفارض :

ففي دلوت الافلاك فاعجب لقطبها السُّمُحيط بها و القطب مركز نقطة
المعنى : لما كنت سبب وجودها ، و غاية ظهورها ، كنت قطبها . و لما
كانت عما فيها مسخرة لى ، و كلها صور صفاتي ، كنت محيطا بها ٢ إحاطة
١٠ الإنسان بالحيوان و النبات و المعدن ، لا إحاطة الإناء بالماء - انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى ٦ الجزر . - جزيرة رواد ٧ قرية من ساحل الشام ،

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : آخره .

(٤) في بن : كانت .

(٥) في بن : صفاتي .

(٦) زيد في بن : ذكر .

(٧) و كانت تدعى قديماً Aradus بالقرب من Tortosa على الساحل السوري .

و اسمها القديم Antaradus

و كانت الفرنج^١ بها قاطنين^١ ، تعبت فيها بمراكب المسلمين المارة بهم في البحر ، فرفع أمرها إلى السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون^٢ ، فأرسل لها مراكب فيها الرجال الشجعان ، قتلوا أهلها وأخربوها إلى الآن .

جزيرة اغرو^٣ وهى مقابلة لبوقير في البحر الملح . و بوقير ظاهر ه الإسكندرية ، وهذه الجزيرة ترسى مراكب الفرنج بساحلها^٤ ، يستقون منها ماء الأمطار المتحصل فيها في الأماكن المنخفضة منها ، ويتوارون بجبالها عن نظر المتوكلين [١٧٩ : ب] بحراسة مينة بوقير^٥ ، فلما فهم المسلمون منهم ذلك غوروا^٦ طرق الماء حتى صارت الأمطار إذا انحدرت من جبالها تجري إلى البحر الملح تنصب فيه^٧ ، فصارت الجزيرة المذكورة خالية من الماء العذب دائماً .

و جزر بحر الروم كثيرة يطول الكلام عليها ، وهى كثيرة^٨ في البحر الأخضر ، ذكر بطليموس الفيلسوف أن فيه سبعة و عشرين ألف جزيرة ،

(١) في بن : قاطنين بها .

(٢) وكان حكمه على ثلاثة دعوات ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م و ٦٩٨ -

- ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م و ٧٠٩ - ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م .

(٣) عن بن [١٢٩ : ب] ، والكلمة ساقطة من بر .

(٤) في بن : أبى قير

(٥) في الأصلين : همت .

(٦) في بن : مضوا إليها و غوروا .

(٧) ريد في بن : بسرعة .

(٨) في بن : كبيرة .

و كذلك الجزر كثيرة في البحر الزققي . و البحر الأعظم يحيط بالارض من جميع الجهات تتفرع منه البحار ، ومنها البحر الآخذ من المغرب إلى الجنوب . و يأخذ من المغرب إلى القلزم ، و يمر إلى أرض السند و الهند ، و منه جناح يأخذ إلى بلاد فارس . و البحر الرومي يأخذ من أنطاكية إلى أقصى بلاد المغرب ، و هناك يلتقي بالبحر المظلم ، و بحر الهند هو البحر الحبشي و هو بحر الصين^١ . و الكلام على البحار و الأنهار^٢ و الجزر^٣ ، فلنقتصر على هذا القدر^٤ .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة]

و^٥ لرحع الآن إلى قوله ابن أبي حجلة في مرثيته :
 ١٠ و من لي بفرسان الجزيرة عند ما^٦ تعامل أهل الكفر في البحر بالنحر
 يعى بها جزيرة الأندلس أو المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء
 بالأندلس . و الأندلس في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . و كانت^٧

(١) زيد في بن : وفيه جزر كثيرة .

(٢) عن بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٣) زيد في بن : ذكرها .

(٤) زيد في بن : وسيأتي ذكر الأنهار و ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

(٥-٥) في بن : نعود إلى ما قاله .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : «المدينة المعروفة» بالجزيرة الخضراء - أي Algeciras

في اسبانيا .

الجزيرة الخضراء للمسلمين ، فحاصرها ١ الفريج نحو الستين ، فخرج ٢ أهلها المسلمون منها لطول الحصار و لعدم القوات سالمين من أسر الفريج الكافرين ، و ذلك أن الفريج أرسلوا يقولوا ٣ للمسلمين : إن اخترتم الحصار حاصرناكم طويلا إلى أن تموتوا جوعا و عطشا ، و إن أردتم الخروج من البلد بأموالكم و حريمكم و ذراريكم من غير أن يتعرض أحدنا لكم ٥ فعلنا ذلك ، و ما قصدنا إلا البلد خاصة . فتشاور ٤ المسلمون فيما بينهم و قالوا : إن البلد تُخلف بغيرها ٥ ، و الرجال لا تخلف إذا هلك . فخرجوا منها و تركوها لهم بعد أن أمنتهم ملك الإفريج على أنفسهم و أموالهم و حريمهم و ذراريهم . فخرجوا منها ينجزون ٦ بين عساكر الإفريج ، قد أخلت الإفريج ٧ لهم طريقا ينصرفون ٨ منها ، فصاروا ١٠ سائرين في تلك الطريق ٩ من غير معارض لهم ، فبينما هم كذلك و إذا بلج محتشم ١١ تعرض لامرأة جميلة معها ١٢ أمها ، فقبض على يدها و مضى بها إلى خيمته ، فصرخت أمها ، فسمع ملك الإفريج ١٣ من سرادقه ١٤ صراخا عاليا مستمرا ١٥ ، فسأل عنه ، فأعلم بالخبر ، فادعى بالمرأة الصارخة و سأل

(١) في الأصلين : فحاصرتها . (٢) في الأصلين : فخرجت .

(٣) ريد بهامش بن : لأهلها ، و في الأصلين الكلمة : يقولوا .

(٤) في الأصلين : فتشاور . (٥) ساقطة من بن .

(٦) في الأصلين : ينجزوا - بمعنى الانسحاب و السير بصعوبة .

(٧) في بن : الفريج .

(٨) في الأصلين : ينصرفوا .

(٩) زيد في بن : التي بينهم .

(١٠) زيد في بن : من أكابرهم .

(١١) في بن : مع .

(١٢-١٣) في بن : صراخها .

عن أمرها و ما سبب صراخها ، فقالت : أيها الملك أنت قد أمّنتنا
 [١٨٠ : الف] على أنفسنا ١ ، و قد ٢ أخذت ابنتي ٢ مني . قال : من أخذها ؟
 قالت : رجل من أصحابكم صفته كذا و كذا ، فادعى الملك به فحضر .
 فقال : الآن تحضر ٢ ابنة هذه ٢ المرأة ٢ ، فأحضرت ٢ سريعا ، فقال له
 الملك : أما سمعت أماتنا للسلبين ؟ و إنا ١ إذا أعطينا الأمان و فينا به ،
 و لم تغدر و لم تنكث ، و أنك قد غدرت و خالفت و فعلت الفعل القبيح ،
 و خرجت عن شرع المسيح ؛ انزعوا ماله منه جميعه حتى ملبوسه الذي
 عليه . فامثل أمره ، فقال : ٢ أعطوا ذلك كله للمرأة ٢ و ابنتها ليتطهر هذا
 الباغى من الغدر الذي غدره ، و الكدر الذي كدره في دين النصرانية
 ١٠ و ابتدعه بهمته الشيطانية . ٤ فقبضنا حينئذ ٤ مال العليج المذكور ، و مضنا
 بالفرح و السرور ، فاستغنتا بعد فقر ، مع طول حصر . و ارتحل ٩

(١) زيد في بن [١٣٠ : الف] : و حريمنا و أموالنا و أولادنا و اليهود منكم
 الوفاء و عدم الغدر فيما تؤمنون به من أردتم أمانه .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن : المأخوذه .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : فلما احضرها .

(٦) في بن : أما تعلم أنا .

(٧-٧) في بن : اعطوه لتلك المرأة .

(٨-٨) فأخذنا .

(٩) في بن : و انتقلت ، و الكلبة في بر : و ارتحلت .

الفرنج من ظاهر البلد 'سكتته وملكته' ، فأقاموا^١ به نحو الثلاثين سنة ،
ورجع البلد بعد ذلك للمسلمين . و سيأتى ذكر كيفية رجوعهم إليه
إن شاء الله تعالى .

[السلطان أبو الحسن علي بن يعقوب المريني]

- و كان السلطان أبو الحسن علي^٢ بن يعقوب المريني^٣ صاحب
مدينة فاس وأعمالها حاصر مدينة تلمسان بأرض المغرب مدة سنتين ،
و بنى^٤ إلى جانبها مدينة وسمها المنصورة ، وقال : لا أبرح حتى أملكها .
و^٥ كان صاحبها^٦ إذ ذاك أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى^٧ بن عمران
ابن زيان العد الوادى ، و كانوا ملوكا أحرارا^٨ ، و كان أبو الحسن
المريني^٩ أصوله عبيدا^{١٠} ، فأرسل خطب فاطمة بنت أبي تاشفين^{١١} ، ١٠

(١-١) في بن : إلى باطنه و ملكته و استوطنته

(٢) في بن : قاموا .

(٣) زيد في بن : بن عثمان بن يوسف .

(٤) المريني أى Merinid و هو سلطان مراکش و حكمه ٧٣١ - ٧٤٩ هـ / ١٣٣١

١٣٤٨ م .

(٥) كذا في بن ، و هى في بر : بنا .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن : بن ريان .

(٨) زيد في بن : يقال لهم بنو عبد الواد .

(٩-٩) في بن : أسود اللون أمه جارية حبشية .

(١٠) جائز أن يكون أبو تاشفين عبد الرحمن الثانى الزيدى سلطان تلمسان =

فرد رسوله وقال : نحن أحرار لم نزوج بناتنا من ' أصله عبدا ' .
 فاتكأ له ' أبو الحسن ٣ ، ثم إن أبا تاشفين أرسل وزراءه وقواده إلى
 مدينة تونس يحاربون ' سلطانها أبا بكر * . فلما قدموا إليها هرب منهم
 أبو بكر لكثرتهم وقوتهم ، فاستغلبوا على تونس ، وأخذوا زوجته
 ، بنت الرصافي وأولاده وحريمه ، ونهبوا بعض أمواله ، ورجعوا إلى
 تلمسان ، فحصلت العداوة بين صاحب تلمسان وصاحب تونس . فأرسل
 أبو الحسن المريني صاحب ٦ فاس خطب فاطمة بنت أبي بكر صاحب
 تونس ، فزوجه بها نكاحا في أبي تاشفين ٧ . ثم إن أبا الحسن حاصر
 تلمسان بسبب فعله بصهره ٨ وبما رده به رسوله إليه من نسبه

= وهو المذكور فيما بعد بهذا النص من الجزائر وحكه ٧٨٨ - ٧٩٦ هـ / ١٣٨٦ -
 ١٣٩٣ م . وهناك أيضا أبو عمر تاشفين المريني وحكه ٧٦٢ - ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م
 وتاريخه أقرب لتاريخ الحسن . في بن : قاشين المذكور .

(١-١) في بن : ابن جارية .

(٢) في بر : لها .

(٣) زيد في بن : المريني .

(٤) في الأصليين : يحاربوا .

(٥) من المعلوم أن الاحتلال المريني لتونس كان سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م
 وسلطانها وقتئذ كان أبو حفص عمر الثاني وهو خلف أبي يحيى أبي بكر
 المتوكل وحكه ٧١٨ - ٧٤٧ هـ / ١٣١٨ - ١٣٤٦ م .

(٦) زيد في بن : مدينة فاس وأصهارها .

(٧) زيد في بن : صاحب تلمسان .

(٨) زيد في بن : أبي بكر .

١ الاصوله الغير أحرار^١ ، فطالت محاصرته لها حتى ملكها^٢ ، وذلك أن
أبا تاشفين كان مشغلا بالذات ، مستغرقا في الشهوات ، وسماع أصوات
الغانيات ، على حِسِّ الدفوف^٣ و النايات . ولم يباشر الحرب بنفسه
٢ نحو سنة^٤ من حين حصاره . و كان يقول لحريمه^٥ : والله لا سلّمتكن^٦
لأبي الحسن أبدا ، فاذا [١٨٠ : ب] غلبت ذبّحتكن^٧ فنصب أبو الحسن
المجانيق على البلد ، فجعل على باب كشوط سبعة^٨ مجانيق ، وعلى باب الجياد
ثلاثة ، وفي باب العقبة اثنين ، وفي باب القرمادين^٩ اثنين ، وصار^{١٠}
يبنى الحائط بعد الحائط لتمنع السهام التي تأتي من رماة السور ، إلى أن
هدم مواضع^{١١} من السور^{١٢} و دخلها . فلما رأى أبو تاشفين الغلبة أتى

(١-١) في بن : إلى أمه الحبشية و سواد لونه .

(٢) زيد في بن : بعد سنتين من حصاره لها .

(٣) في بن : المزاهر .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : و جواره .

(٦) كذا في بن و هي في بر : سلّمتكم .

(٧) كذا في بن ، و في بر : ذبّحتكم . و زيد في بن : عن آخركن .

(٨) في الأصلين : سبع .

(٩) في بن : باب القرادين - و لعله الصواب .

(١٠) واردة في بن و ساقطة من بر .

(١١) كذا في بن و هي في بر بالف التنوين .

(١٢) في بن : سورها .

١ إلى حريمه ١ بسيفه يقتلهن ٢ كما وعدهن ٣ ، فغلقت ٤ الأبواب في وجهه
 فسلمن ٥ . فقبض عليه أبو الحسن فقتله صبوا ، وأخذ أمواله قهرا ٦ .
 فلما فتحها أبو الحسن في ٧ العشر الأخير من رمضان ٨ سنة سبع وثلاثين
 وسبعمائة ، قويت سلطته ، ووقعت ٩ في القلوب هيبة ، فلك البلاد
 ، وأطاعته العباد ، وفزعت منه الفرنج التي بجزيرة الأندلس . ١٠ فلما كان
 بعد ١ ذلك حدثته نفسه بجهاد الفرنج وحو آثارهم منها ، وأن يجعلها
 دار إسلام ليصير له بذلك الذكر على طول الأيام ، فجهز الجيوش
 وجمع المقاتلة وعدى ١١ بها من زقاق سبتة ١٢ ، وذلك في بضع وأربعين

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : يقتلهن .

(٣) كذا في بن ، وهي في بر : وعدهم .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : فغلقتوا .

(٥) في الأصل بر : فسلموا ، وفي بن : فسلمن منه .

(٦) زيد في بن : وحريمه أسرى .

(٧-٧) ساقطة من بن [١٣٠ : ب] .

(٨) في بن : ووقع .

(٩-٩) في بن : فعند .

(١٠) كذا في بن وهي في بر : عدا .

(١١) زيد في بن : وهو الخليج الذي حفره الإسكندر المتقدم ذكره و كان

دخول جيش أبي الحسن المذكور الجزيرة المذكورة في بضع - الخ - وكلمة

« وذلك » في بر ساقطة من بن .

وسبعائة . وقد تبعه من المسلمين ' خلق كثير بنسائهم و ذراريهم ' قاصدين أرض النصارى يسكنون ' ديارهم ، ويتسعون ٣ بنهب أموالهم ' وزراعة أراضيهم ' . ' فكان جيشه كما ' قيل مائتي ألف مقاتل . وتبع ذلك الجيش من المقاتلة المتطوعة أضعافها ٦ . واستصحب أبو الحسن معه زوجته فاطمة بنت السلطان أبي بكر ٨ و حريمه و خزان ٥ أمواله ، ليملك البلاد و يخليها من النصارى ' أهل العناد ' بقتله فيهم الكبير والصغير ، و يطهر جزيرة الأندلس من الخمر و الخنزير ، و يمحو ' منها ' الصليب ، و يجعلها سكنى لكل عبد منيب . فلما تكامل جيشه بجزيرة الأندلس اجتمع به سلطان المسلمين بها ، وهو المعروف بابن الأحمر ،

- (١) زيد في بن : المرابطين .
- (٢) كذا في بن ، و هي في بر : يسكنوا .
- (٣) كذا في بن ، و هي في بر : ويتسعوا .
- (٤-٤) في بن : و ذرعهم لأراضيهم .
- (٥-٥) في بن : و كان جيش أبي الحسن على ما .
- (٦) زيد في بن : و أضعافها .
- (٧) في الأصلين : أبا .
- (٨) زيد في بن : صاحب تونس .
- (٩-٩) زيد في بن : الضلال و العناد .
- (١٠) في الأصلين : يمحى .
- (١١) زيد في بن : دين .

وكرسى مملكته مدينة عرناطه ، و جارى عادة المسلمين^١ بها و بأعمالها يحاربون النصارى ، و النصارى تحاربهم أيضا ، فتارة لهم و تارة عليهم ، فتغنم كل طائفة غلبت من الطائفة المغلوبة^٢ ، فاذا وقع بينهم الصلح ، يصير المسلم يحرق في أرضه ، و النصارى يحرق في أرضه المجاورة لأرض المسلم ، بينهما حد^٣ الزرع ، لا يعارض الواحد الآخر .

قيل^٤ لبعض المسلمين المجاورين لأرض النصارى^٥ : اما تخشون مكر النصارى و خبثهم ؟ فقال : كيف نخشاهم و الذى يحبونا يحميننا ، لولا الحباية سقطت الحماية .

[ذكر الزراعة]

و إذ قد ذكرت الزراعة ، فلنذكر ما قيل فيها ، و نرجع إلى خبر أبى الحسن المذكور^٦ إن شاء الله تعالى . يقال لموضع الزرع مزرعة و مزدرع^٧ ، و الزرع أيضا طرح [الف : ١٨١] الحب فى الأرض ، و الزرع أيضا الإنبات . يقال زرعه الله أى أنبته ، و منه قوله تعالى :

(١) زيد فى بن : القاطنين .

(٢) زيد فى بن : الأخرى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : قليل .

(٥) زيد فى بن : فى الزراعة .

(٦) فى الأصلين : يحميننا .

(٧) زيد فى بن : فى غزواته تلك .

(٨) فى بن : و مزدرعا .

”أأنتم تزرعون أم نحن الزرعون“ . و يقال للصي : زرع الله أي - جبره ،
وفي الصحيح من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يغرس
مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان ، ولا طائر ولا دابة
ولا شيء ، إلا كانت له صدقة ، والزارع ٢ يقال له الكافر ، والجمع
كفار ، قال الله تعالى : ” كمثل غيث أعجب الكفار نباته ٣ “ . والكفر ٥
ضد الإيمان ، والكفران جحود النعمة ، والكافور نوع من الطيب ٤
والكافور كم الغيب قبل أن ينور ، و سمي كافورا لأنه كفر الوليع
أي غطاه ، والكفر من الأرض ما بعد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر
به أحد ، ومن حل بتلك المواضع فهم الكفور - و يقال للكفور القرى
واحدما كفر - انتهى .

١٠

[حروب أبي الحسن المريني وابن الأحمر]

[في الأندلس]

نعود إلى ما كنا فيه من ذكر غزوة أبي الحسن المريني لنصاري الأندلس ،
و ذلك أنه لما أكملت جيوشه بجزيرة الأندلس ، [بن ١٣٠ : ب] ‘نصب لابن

(١) قرآن كريم ٥٦ : ٦٤ .

(٢) وردت في بن بسقوط الواو .

(٣) قرآن كريم ٤٨ : ١٩ .

(٤) هذا القسم ساقط من بر ، ولكنه وارد في بن ، ويظهر من السياق أن
الكلام يكتمل به ولذلك آثرنا إدراجه في النص [بن ١٣٠ : ب - ١٣١ : الف] .

الحسن قبة عالية من الخشب في وطاقه، فلما صعد لها ورأى ذلك العسكر العظيم الذي فرش الأرض أعجبه نفسه لما رأى من كثرة الخلائق التي اتبعته بعيالها وذراريها ليقاتل [بن ١٣١ : الف] كل رجل عن حريمه ولا يفر، فلما نزل من القبة إلى الأرض لحقه الإعجاب فأخذ مزراقه هـ وهزّه وقال: لا مزراق أعلا من هذا المزراق في هذا اليوم . فكان قوله ذاك سبب خذلانه، ولو ترك الإعجاب وتواضع لرب الأرباب نصره العزيز الوهاب، ولكنه صار كما قال الشاعر:

ما طار طير وارتفع الا كما طار وقسع

عن الشيخ أبي يعقوب السائح قال: أقمت مدة ثلاثين سنة سائحاً في الجبال وكانت الأحوال تطرقني فأهيم على وجهي مجرداً وتسقى على الرياح إلى أن بقي فوق جلدي جلد آخر من الوسخ فجاءني ذئب فنظر إلى مبتسماً ولحس جلدي كله حتى تركه كالجار تم ذهب عني، فداخلى العجب فرجع الذئب إلىّ ونظر إلىّ مغضباً ثم بال عليّ وانصرف فأتيته عين ماء فاغتسلت وقلت هذا جزاء الإعجاب أن تبول على المعجب ١٥ الذئب - انتهى .

تم إن الملكين أبا الحسن المريبى وابن الأحمر^١ اتفقا وسارا^٢ يقصدان قطع جادة الكفر فاجتازا^٣ في طريقها بمدينة للنصارى يقال

(١-١) العبارة ساقطة من بر، وواردة في بن .

(٢) في الأصلين: ابو .

(٣) في بر: وصارا - وصحتها من بن .

(٤) في بر: فاجتازوا - صحتها من بن .

لها طريف، فقال السلطان ابن الأحمر للسلطان أبي الحسن: افتح بابه هذه المدينة ولا تتركها خلفنا. فقال أبو الحسن: هذه أقل وأذل من أن نبتدئ^١ بفتحها، وإن بها الأموال الكثيرة، و^٢ نخشى أن نفتحها أولاً، ينهب العسكر أموالها،^٣ فإذا أخذناها اجتمعت لنا أموالها^٤، ولا^٥ نبتدئ الآن إلا بمثل مدينة^٦ قرطبة وإشبيلية وطليلة وأشباهها. وأعجته نفسه بما^٧ معه من العساكر التي هي كالبحر الزاخر. ولم يخطر بباله في ذلك الوقت إلا أنه هو المنصور، على كل رجس كفور،^٨ ولم يذكر^٩ حيثئذ قوله تعالى: "و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين"^{١٠}، ثم إن أبا الحسن نصب سرادقه وطاقه بأميال يسيرة من مدينة طريف، وترك هناك خزائن^{١١} أمواله وحرمه وطاقفة من رجاله. وكانت النصارى التي بطريف لما عايوا جيوش المسلمين ينجرون^{١٢} كالسيل في النهار^{١٣} والليل. أيقنوا بالذل

(١) كذا في بن وهى في بر: يبتدى .

(٢) و او العطف ساقطة من بن .

(٣ - ٤) الجملة ساقطة من بن .

(٤) في بن : ولسنا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦ - ٧) عن بن ، و في بر: لا ذكر .

(٧) قرآن كريم ٩ : ٢٥ .

(٨) في الأصلين : ينجروا .

(٩) في بن : بالنهار .

و الويل ، و صاروا من الفرع حيارى^١ ، و قالوا ذهب^٢ و حق المسيح ملك^٣ النصرى فغلقوا أبوابها ، و أقاموا ينتظرون الموت ، عند وقع^٤ الصوت . و كان ملك النصرى المعروف بالفنش^٥ ، و هو أول ملوك النصرى السبعة التى بالاندلس ، قد اهتز لجيش أبى الحسن ، و فرع منه و قال : ذهب ه ملك النصرانية ، و انقضت دولة الرومانية [١٨١ : ب] و انقضت أهل ماء المعمودية ، و غلبت الملة الخيفية ، على جميع ممالك الملة المسيحية^٦ . فصار فى حزن و هموم ، بسبب انقضاء دولة الروم . ثم سأل عن مدينة طريف هل هى سالمة^٧ أم لا ؟ ف قيل له : إنها سالمة ، لم يحصل لها من جيش المسلمين ضرر ، و أهلها مقيمون بها . فقال : إن فيها خمسة آلاف ١٠ مقاتل ، و يمضى إليها خمسة آلاف أخرى ، فأرسلهم لها من غير طريق^٨

(١) ساطعة من بن .

(٢) فى بن : ذهبت .

(٣) فى بن : دولة .

(٤) ع بن : وقوع .

(٥) الغالب انه الفونس الرابع « الجسود » Alfonso IV — The Brave و حكه

١٣٢٥ - ١٣٥٧ . و من المواقع المعروفة فى هذا العهد التى انهزم فيها المسلمون

موقعة سلادى salade سنة ١٣٤٤ م تحالف فيها ملوك قشتالة Castille و البرتغال .

(٦) زيدها فى بن : وعادت الجزيرة الأندلسية جميعها لإسلاميه كما صارت البلاد

الشامية والديار المصرية والاسكندرية كذلك و صار الفنش فى حزن - الخ .

(٧) زيد فى بن : من معرة هذا الجيش .

(٨) فى بن : أن يعلم جيش .

أبي الحسن . و خرج الفنش بحساكره من مدينة إشييلية ، وكان الفنش قدم القول مع الخمسة آلاف التي أرسلهم بجدة لطريف ، أن تكونوا أتم و الخمسة آلاف التي بها من وراء عسكر المسلمين ، ونحن من بين أيديهم ، و تعتمدوا على انهب سرادات ١ أبي الحسن و وطاقه ٢ ، و تقتلوا من فيه ، و تأخذوا خزائن أمواله ٣ ، فإن في ذلك ذلته و كسوته ، فخرج ٥ جيش مدينة طريف العشرة آلاف مقاتل و من تبعهم من نصارى البلد في الليل ، كبسوا الوطاق ٥ الذي به حريم أبي الحسن و خزائن أمواله ، فلكوا الخزائن و الحريم بعد قتلهم لمن كان به من حماته ، فأتى الخبر إلى أني الحسن بذلك ، فلم أنه هالك مع ما وقع في جيشه من الغلاء الكبير لكثرة الخلائق التي معه ، فزحف الفنش على أبي الحسن و ابن الأحمر مع ١٠ زحف مقاتلة أهل مدينة طريف من ٧ خلفها كسرهما فلما انكسر جيش المسلمين قتل منه كثير من العالمين ٧ . و شرد من شره في القفار و البرارى

(١-١) كذا في بن ، و في الأصل بر « سرادق » فقط .

(٢) زيد في بن : الذي تركه حلقه بعد أن تقتلوه (كذا) من فيه - النخ .

(٣) زيد في بن : و سائر أحواله .

(٤-٤) في بن : فإن فعلتم ذلك فهو سبب حذلانه .

(٥-٥) في بن : و اجالوا على من فيه السيف .

(٦) في بر : « ابو » ، و صحتهما من بن .

(٧-٧) في بن [١٢١ : ب] : خلفهم كسروه و قتل من المسلمين كثير .

و أسرا الفرنج الحريم^٢ و الذراري . فرجع السلطان ابن الأحمر طالبا مدينة غرناطة مهزوما ، و كذلك أبو الحسن رجع مهموما مغموما ، قد نهبت خزائنه ، و أسرت فاطمة^١ زوجته ، فاكسرت همته ، و طالت حسرته ، فعُدِّي من زقاق سبتة ، و أتى مدينة فاس في نكاية و بهتة .

هـ هذا ما كان منه ، و أما ما كان من زوجته فاطمة بنت السلطان أبي بكر صاحب^٣ تونس ، فانها أمرت جواريتها و خدمها أن يقاتلوا معها من يأتهم من الفرنج يأخذهم ، فلما أتاها^٤ الفرنج بكثرتهم ، لم تستطع قتالهم ، فقالت عند ذلك : لا يأخذني إلا ابن ملك ، لأنى بنت ملك و زوجة ملك ، فأتوا إليها^٥ على ما قيل بابن الملك^٥ الفنش ، و قالوا له ١٠ تسلم بيدك بنت ملك المسلمين ، و تمتع^٦ بزوجة ملك المسلمين و تهن بها أيها الملك^٧ و ابن الملك^٧ . فد يده مسك^٨ يدها ليمضى بها ، فضربته بسكين كانت أعدتها له ، فوقعت في بطنه^٩ شقته ، فخرجت^٩

(١) في الأصلين : و أسرت .

(٢) واردة في بن ، و ساقطة من بر .

(٣) زيد في بن : مدينة .

(٤) في بر : أتمها ، و في بن : انت إليها .

(٥-٥) في بن : كما قال بابن ملك .

(٦) زيد في بن : في خلوتك .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : ابن الملك فاخذ .

(٩-٩) في بن : فشقته فبرزت .

حشوته بارزة^١ ممزقة ، فوقع^٢ على وجهه يتشطح في دمه^٣ . فلما رأت
 ماليكة و غلمانه ما فعلته به ، وثبوا عليها بسيوفهم^٤ قتلوها مع [١٨٢ : الف]
 جواربها ، فمُشنَّ كريمات شهيدات . فحصل^٥ للفنش بقتلها لولده نكابة
 ظاهرة ، بما فعلته تلك الحرّة الطاهرة . فبلغ فعلها ذلك زوجها أبا الحسن
 فترحم عليها ، و أعجبه فعلها . فأرسل خطب أختها من أبيها و تزوج^٥
 بها . و حصل له الندم الأكبر ، لمخالفته للسلطان ابن الأحمر ، في تأخيرهِ
 فتح مدينة طريف التي تركها خلفه ، حتى جاءه العدو من بين يديه و من خلفه .
 و كان أبو الحسن لما دخل الأندلس^٥ معه من الجيوش^٦ الكثيرة
 و العساكر^٧ المجرورة ، أعجبه نفسه و اغتر بتلك الجنود ،^٨ التي هي كالود
 فكان إعجابه بنفسه ، مضرة عليه و على حريمه و عرسه ، و لو جعل^{١٠}
 اعتزازه بالله ، و سلم أمره إلى الله ، انتصر و ما انكسر ، و ابجبر و ما
 انقهر^٨ . و لله در القائل حيث يقول :

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : و وقع .

(٣) زيد في بن : و يتخبط في عنده .

(٤) في بن : و حصل .

(٥) زيد في بن : بما .

(٦) في بن : العساكر .

(٧) في بن : و الجيوش .

(٨-٨) في بن : كما تقدم .

ليكن بربك كل عرك يستقر و يشبت
 فاذا اغتررت بمن يموت فان عرك ميت
 وفي مشور الحكم « اغتر » من اعتر بغير الله ، فالعزيز من أعزه الله ،
 والذليل من أذله الله . . وليس من التعزيز والتذلل ٢ بأيدي المخلوقين
 شيء ، فان الله تعالى يعز من يشاء ، ويذل من يشاء . ألا ترى ٣ أن إخوة
 يوسف أرادوا إذلال يوسف ، فأذلهم الله عز وجل ٤ ، وأعزه حتى
 قاموا بين يديه ، وقالوا : « يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر » . . واعلم أن
 من تعزز بالله لم يذله سلطان ، ومن « توكل عليه » لم يضره شيطان . قال
 الشيخ أبو مدين : الحق تعالى ٥ مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس
 ١٠ و حال ، فأبما قلب رآه مؤثرا له حمظه من طوارق المحن ، ومضلات العتق .
 والأعمال بالنيات معناه ٦ أن العبادات التي ٧ ينتفع بها ٨ عند الله ، ما أخلصت
 النية فيه لله ، ولا يزال المؤمن يكابد دنياه ، حتى يلقي مولاه ، جبر الله
 صدع ٩ قلوبنا ، وغفر عظيم ذنوبنا ، وجعلنا من أوليائه وأهل طاعته .
 روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو لم تذبوا

(١-١) كذا في بن وهو الصواب ، وفي بر : بمن اعتر .

(٢) في بن : والتذليل .

(٣-٣) في بن : الى اخوة يوسف لما أرادوا إذلاله أذلهم الله تعالى .

(٤) قرآن كريم ١٢ : ٨٨ .

(٥-٥) في بن : استعان بالله .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) في بن تنفع .

(٨) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

لخشيت عليكم أكثر من ذلك العجب العجب . عن مطرق قال : لَأَنْ
 آيت نائمًا ، وأصبح نادما ، أحبَّ إلىَّ من أن آيت قائما ، وأصبح معجبا .
 وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله^١ عنه لما قدم الشام ، لقيه جنوده^٢
 وعليه إزار وعمامة ، وهو آخذ برأس راحلته ، ويخوض الماء وقد
 خلع نعليه وجعلهما تحت إبطيه^٣ ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين الآن تلقاك
 الجنود و بطارقة الشام^٤ و أنت على هذا الحال . فقال : إنا قوم أعزّنا الله
 بالإسلام فلم نلتمس عزّا بغيره . قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : والله
 ما رأيت العزَّ إلا فى رفع الهمة عن الخلق . [١٨٢ : ب] وقد رأيت
 كلبا فى محجة الإسكدرية ومعى شيء من الخبز ، فوضعت بين يديه ،
 فلم يلتفت إليه ، فاذا يقول فى سرى - أفت لمن يكون الكلب أزهد منه . ١٠
 واعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق ، وصفة أهل التخصيص
 ولقد سئل الجنيد : أيزنى العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا .
 والله در القائل :

حرام على من وَّحد الله ربّه وأفرده أن يحتدى أحدا رفدا
 ويا صاحبي قف لى مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيى بها وجدا ١٥
 و قل لملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يُباع ولا يُهدى
 و كان من تواضع عمر^٥ رضى الله^١ عنه أنه كان فى خلافته يلبس جبّة

(١) زيد فى بن : تعالى .

(٢) فى بن : الجنود .

(٣-٣) فى بن : أخذ بنعليه وجعلها تحت إبطه .

(٤) فى بن : الروم .

(٥) زيد فى بن : بن الخطاب .

صوف مرقوعة^١ ويمر بالثوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس لينتفعوا^٢ به^٣،
وكان يطوف بالليل وحده عسا^٤. و مناقب عمر كثيرة تقدم منها
لمع^٥، و سيأتي منها أيضا إن شاء الله تعالى . انتهى .

[تبادل الرسائل و القذف بين الفنش و المريني]

٥ نعود إلى ذكر مكاتبة الفنش ملك النصارى للسلطان أبي الحسن
المريني بعد ظفروه بعسكره^٦، و جواب أبي الحسن عنها، و ذلك أن
نصارى الأندلس^٧ لما ظفروا بالمسلمين^٨ أسروا منهم في كسرة السلطان
أبي الحسن^٩ "خلائق كثيرة"^{١٠}. قيل إنهم أسروا من أولاد المسلمين
أربعة و عشرين ألف صبي و صبية، و أما الرجال و النساء فلم يُعلم لهم
١٠ عدد، "منهم من قتل، و منهم من أسر"^{١١}. ثم إن الفنش اللعين، الكلب
المستهين، كتب كتابا أرسله للسلطان أبي الحسن المريني صاحب مدينتي

(١) في بن : مرقعة .

(٢) في بن : ينتفعوا .

(٣) زيد في بن : و أكل في الرمادة الخبز و الزيت حتى حال .

(٤) ساقطة من بن من هنا إلى « إن شاء الله تعالى » .

(٥) في بر : لمعا .

(٦) في بن : بعسكر أبي الحسن .

(٧) كذا في بن، و هي في بر : ابو .

(٨) في هامش بر : كتاب ملك النصارى .

(٩) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(١٠-١٠) في بن : خلق كثير .

(١١-١١) في بن : من أسر منهم .

فاس و تلمسان و أعمالها يقول فيه : باسمك اللهم فاطر السماوات
و الأرض ، و مخرج النبات ، و محيي العظام و هي رفات ، و العالم
بما مضى و ما هو آت ، و صلى الله على الفصيح ، صاحب الدين الصحيح .
و المهج القويم الرجيع ، عيسى بن مريم المسيح ، الذي تزتر بالزئار ،
و قفا أثر الحواريين و الأنصار ، و صلى من الجهات شرقا ، لرب يبقا . ٥
من الأمير الفنش بن الأمير جانه صاحب قشتالية و طليطلة و قرطبة
و إشبيلية ، إلى أمير المسلمين أبي الحسن المريني . - أما بعد ، أيها الأمير
فانه لا يخفى على كل ذى لب عازب ، و ذهن ثاقب ، أنك أمير المملكة
الحنيفية ، كما أنا صاحب المملكة النصرانية . و قد تعلم أيها الملك
ما أصحابكم عليه بالآندلس من التخاذل و التواكل ، و إهمالهم الرعية ، ١٠
و جورهم في القضية ، و ما بأيديهم من بلاد الآندلس ، فأنا ٣ أسيمهم
بسيمة الخسف ، و أشينهم بشيمة [١٨٣ : الف] العسف ، فأخرب
البلاد ، و أقتل العباد ، و أسبي الحرير و الأولاد ، و أقتل الشباب
و الرجال ، و أذيقهم مرّ النكال ، و ثبت عندكم أننا نحن الكفرة ،
بل أتم الشياطين الفجرة ، سلطنا عليكم من يده أمور مقدرة ، و أحكام ١٥
مدبرة ، فكثير كم عندنا قليل ، و عزيز لم عندنا ذليل . من طلب أماننا
سلم ، و من رام حربنا خسر و ندم . أكلتم الحرام و أظهرتم البدع ،

(١) ساقطة من بن . (٢) واو العطف ساقطة من بن .

(٣) في بن : فا - و هو خطأ قلمى .

(٤) في بن : بشينة .

فدعائكم عندنا^١ لا يحساب ولا ينفع . وأنتم تزعمون أنكم تهمون^٢
 بنصرهم ، و تساعدون ابن الأحرر علينا . و تصلون^٣ شركم إلينا . فما نعلم
 هذا الجبن أبطل بكم ، أو تكذبا لما نزل على نبيكم ، وقد قلتم إنه نزل
 على نبيكم^٤ في كتابكم أنه كتب^٥ الله على كل واحد منكم عشرة منا ،
 ٥ ولكن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفا ، و قد صار كل واحد منا
 يغلب منكم ألفا . و أنتم تزعمون أنكم لم تجدوا للجواز من خليج سبته
 سيلا ، و أمر الحزم عندكم بخيلا . و الآن^٦ أبدى لكم ما فيه الكفاية ،
 و أثبت لكم ما فيه النهاية^٧ ، و أرشد عليكم بالدليل^٨ و البرهان ، و أحلف
 عليكم^٩ بأعظم الأيمان ، على ما في أيديكم من القطائع و الطرائد و الأجفان ،
 ١٠ تسوقونها^{١٠} بأيديكم^{١١} ، فان كان الغلب لكم^{١٢} فنعمة أنعمها الله عليكم ،
 و إن كان الغلب لنا ، فجاء لمثلكم الأحزان ، و شاط لكم النيران ، لأن

(١) في بن : علينا .

(٢) في بن : تنقمون .

(٣) في الأصلين : تصلوا .

(٤-٥) ساقطة من بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٧) في بن : أثبت لكم ما فيه الكفاية و أبدى لكم ما فيه النهاية .

(٧) في بن : الدليل .

(٨) في بن : لكم .

(٩) كذا في بن ، و هي في بن : تسوقوها .

(١٠) ساقطة من بر ، و واردة في بن [١٣٢ : ب] .

نساءكم^١ في أيدينا ، وأولادكم خول^٢ لنا ، وقد تننت بلادنا من خبيث القتلى ، وقد أصبح عقدكم منحلًا ، وقد رثينا بما نزل بكم من الشنار ، وما تركتم في الملة الخنيفية من العار ، لأنكم تزعمون أنكم تغلبون . فلما تراءت الفئتان ولّيتم الأدبار ، دون طعان ولا نضال^٣ . ولقد حلفنا بالصليب الأكبر ، وكتابنا الإنجيل الأشهر ، لا رجعنا حتى نأخذ حصونكم^٥ وأموالكم واليمن^٤ والشام ، وبحير منكم الأوهام . والله الموفق لإسعاده والمحب لمن اختار من عباده .

فلما وقف السلطان أبو الحسن المريني على كتاب الفنش ، أمر برد الجواب ، بأحسن خطاب ، فكتب جواب الكتاب^٥ : من أمير المسلمين^٦ ابن أمير المسلمين^٦ علي بن يعقوب^٧ بن العباس^٨ المريني إلى الأمير^٩ الفنش^{١٠} ابن جانه صاحب المملكة النصرانية ، دمرها الله تعالى و سلبها عزها ، وأباد

(١) في بر : نساوكم ، وفي بن : نساكم .

(٢) في بن : خدم .

(٣) زيد في بن : ولا قتال .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) في بن : فأمر أرباب الفصاحة والبلاغة أن يحاربوه بأحسن جواب وأبلغ خطاب فأجاب كل واحد بجواب فلم يعجبه إلا جواب طالب علم فقير ، فلما وقف على جوابه ألقى الأجوبة كلها وأمر بجواب ذلك الطالب بعد أن أحسن إليه وأثنى عليه وقدمه على غيره ، وأمدّه بطوله وخيره ، وكان جواب الكاتب .

(٦-٦) مكررة في بن .

(٧-٧) ساقطة من بن . (٨) في بن : أمير .

ركزها . أما بعد ، أيها الأمير ، الكافر بالعلم الخبير ! فقد وصل كتابك ،
وفهمنا خطابك ، وما حدثتم به نفوسكم الكاذبة ، وظنونكم الخائبة ،
من الوعد و الوعيد ، والحركة و التشديد ، وقد وصقتم أصحابنا أهل
الاندلس بأنهم أهل الذل ، وهم قد أهلكوكم بالأسر^١ و القتل^٢ ، فهم
٥ والله الرجال و أبناء الرجال ، و الدليل على هذا بيان صدرهم لشركم ،
و إقامتهم مجاورين [١٨٣ : ب] لأرضكم ، و قتلهم أكثركم ، فكم قتلوا
منكم رجالا ، و سلبوا منكم عيالا ، و أذاقوكم كأس النكال ، فأوعدهم الله
الظفر^٣ بكم ، و أورثهم بلادكم و أرضكم . و أما فخركم بالهزيمة ، و ماء تحصل
بأيديكم من السلب و الغنيمة ، فذلك عادة الله فينا و فيكم ، فلم يزل يبتلينا
١٠ و يبتليكم ، حتى يعلم المجاهدين ، و يزيد أجر المحسنين ، فهي في أيديكم
أمانة ، حتى تأخذها بالإهانة . و قد نزل على سيد المرسلين و الناس :
” و تلك الأيام نداؤها بين الناس “ . و أما قولكم إنا ولبنا الأدبار ،
دون طعن^٤ ولا نضال ، فقد داخلنا العجب حتى ضيعنا الرجال ، فلم تخطرنا
لنا على بال ، حتى عرفتم طرق الاحتيال ، فن مات منا مات شهيدا ،
١٥ و من عاش منا عاش سعيدا . فلا بد لنا من الكرة ، و إطفاء تلك

(١-١) في بر: أهلكوا بالقتل ، و العبارة كذلك في بن وهى الأصح كما أخذناها
بالنص .

(٢) في اصلين : بالأصر .

(٣) في بن : الحصر .

(٤) ساقطه من بن .

(٥) قرآن كريم ٣ : ١٤٠ .

(٦) في بن : طعان .

الجمرة . فان كان النصر لنا فنعمة من الله ، وإن كانت الأخرى فشيئا في سبيل الله . فأمور المسلمين باقية ، وسيوفهم بالموت قاضية . فلا بد من فتح برکم ، وإطفاء نارکم . وقد كان لكم اليمن و الشام في الزمن السابق ، و ملكتم ' المغارب و المشارق ' ، و الحصون و المدائن ، و المواضع و الاماكن ، فنزعناها ^٢ من أيديکم ، و نصرنا علیکم و أخرجناکم ، ^٥ و ملكنا الله مصر و الشام و اليمن إلى البحرين و أشطناکم ^٣ من بلادکم ، و أذقناکم الشين ، فصرتم منا متفين ، إلى أطراف البلاد منجليين . فلو وجدنا الطريق لكم مبينا ، أرسلنا لكم عذابا مهينا . و أما قولکم إن الله كتب على كل واحد منا قتال اثنين منکم و الرجل منا ' يلقى ' ألفا بقوة الإيمان ، و ما وعد الله عز و جل من الثواب ' في جنة الرضوان ' . بل ^٦ ^{١٠} الاندلس عشر من أعشارکم ، فقد قتلوا ^٨ أمراءکم و کبراءکم . فها ^٩ نحن عائدون ، ^{١٠} و على مقاتلتکم عازمون ^{١١} . فينصر الله من يشاء من عباده ، و يورثه أرضه و بلاده . و السلام على من اتبع الهدى ، و أطاع الملك الأعلى .

(١-١) في بن : المشارق و المغارب .

(٢) في بن : فنزعناهم .

(٣) في بن : و اشخصناکم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : يلقا .

(٦-٦) ساقطة من بن

(٧) في بن : في بلد .

(٨-٨) في بر : أمراؤکم و کبراؤکم . - و في بن : إمرائکم و کبراؤکم .

(٩) في بر : فهذا . - و صحتها في بن كما في النص .

(١٠-١٠) في بن : على مقاتلتکم .

[غزوة الأندلس سنة ٧٦٨]

قال المؤلف غفر الله له ^١ و لوالديه ، و للآقرين إليه ، و لجميع المسلمين ^١ : وردت الأخبار من الأندلس إلى الإسكندرية بأن المسلمين اتصرت على الفنى و جنوده الكافرين ، و ذلك ^٢ فى سنة ثمان و ستين و سبعمائة ^٣ ، و أخذوا منهم ^٤ تلك الأمانة بالإهانة ، و قتلوا من الإفرنج ^٥ أضعاف ما قتلت الإفرنج ^٦ من المسلمين فى كسرة السلطان أبى الحسن و ^٧ ابن الأحمر ^٨ ، و حرثوا مدنهم بالبقر . ثم أن المسلمين فتحوا ^٩ بالأندلس أيضا ^{١٠} المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ^{١١} المتقدم ذكر أخذ الفريج لها من أيدي المسلمين ^{١٢} بطول المحاصرة ^{١٣} ، فأخرج ^{١٤} المسلمون الفريج منها ١٠ ذليلين حقيرين ، بعد أن أقاموا فيها ثلاثين سنة . و قد زرعوا أرضها زيتونا ، و لم يكن [١٨٤ : الف] شجر الزيتون قبل ذلك بها ^{١٥} . و زرعوا

(١-١) ساقطة من بن [١٣٣ : الف] .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) فى هامش بر : سنة ٧٦٨ قتلوا من الإفرنج .

(٤) فى بن : منه .

(٥) فى بن : الفريج .

(٦-٦) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٧) زيد فى بن : أيضا .

(٨) أى مدينة Algeciras .

(٩-٩) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(١٠) فى الأصلين : فأخرجت .

أيضا بها البساتين و الكروم ، و زادوا في عمارة أرضها و دورها . فلما فتحها المسلمون ^١ في سنة إحدى و سبعين و سبعمائة ^٢ ، رسم السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر ^٣ سلطان الأندلس ^٤ أن ينادى في البلاد أن كل من له دار يياطنها أو أرض ^٥ بظاهرها أو مزرعة بأراضيها يمضى إليها و يأخذها إن كان حيا ، و إلا ورثته تقسمها ^٦ على حكم الفريضة الشرعية ^٧ . إن كان ميتا ^٨ من غير منازع و لا مدافع . فرجع ^٩ أهلها المسلمون إليها سكنوها ^{١٠} و استوطنوها . فمن كان فقيرا استغنى بما صنع الله له على يد الفرنج الكافرين . و من كان غنيا زادت أمواله بالآلاف و المئين ، فخاب سعى الفرنج الضالين ، و صاروا على ما تعبوا عليه ^{١١} بانشائه لأنفسهم ^{١٢} بادمين ، لعنة الله ^{١٣} عليهم أجمعين . ١٠

^{١٤} فان قيل كيف قدر ^{١٥} المسلمون على الإقامة بجزيرة الأندلس في مسيرة سبعة أيام و النصارى في مسيرة سبعة ^{١٦} شهور و فيها من النصارى

- (١-١) ساقطة من بن ، و ورد بهامش بر : فلما فتحها المسلمون سنة ٧٧١ .
 (٢-٢) ساقطة من بر ، و واردة في بن . و قد ذكره لسان الدين بن الخطيب في « كتاب أعمال الأعلام » تحقيق لقي بروقفسال (بيروت ١٩٥٦) ص ٢٨٧ - ٢٩١ .
 (٣) في الأصلين : دارا ... أو أرضا . (٤) في بن : يقتسمونها .
 (٥-٥) ساقطة من بر ، و واردة في بن . (٦) في الأصلين : فرجعت .
 (٧) في بن : و سكنوا بها . (٨-٨) عن بن ، و في بر : و أنشوه لأنفسهم .
 (٩) زيد في بن : تعالى .
 (١٠) من هنا تبدأ عبارة زائدة في بن و ساقطة من بر و قد أثرنا ادماجها في النص لاستقامة السياق بدكرها .
 (١١) في الأصلين : قدرت . (١٢) في الأصلين : سبع .

ما لا يحصى كثرة و المسلمون شرذمة قليلة؟ قيل ان ملوك النصارى السالفة غزاهم المسلمون ١ فحصل لالنصارى الهبة منهم فتركوا محاربتهم لما تيقنوا أنهم كلما غزوهم خذلوا ٢. فلذلك تركهم ٣ النصارى مقيمين ٤ معهم في جزيرتهم حتى كانت وقعة أبي الحسن المربني ٥ ، فانتصر ٦ النصارى على المسلمين و ذلك لإعجاب أبي الحسن بنفسه في تلك الغروة التي ظن أنه لم يكن ملك بالأرض إلا وهو دونه لكثرة جيوشه - انتهى ٧ .

و اعلم أن الأندلس درب الإسلام و حصنه ، ليس وراء أهله المسلمين ٨ إلا الكفرة الضالون ، والعرش يهتز من تكبير المسلمين المقيمين . و ذلك لما روى عن ٩ أبي أيوب ١٠ النصارى قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم إذ توجه تلقاء المغرب و سلم و أشار بيده ، فقيل له ١١ : على من يا رسول الله ١٢ سلمت و أشرت بيدك إليه ؟ قال : " رجال من أمتي يكونون في هذا المغرب الأقصى بجزيرة يقال لها الأندلس ، حيهم مرابط ، و ميتهم شهيد ١٣ " . و هم من استثنى الله في كتابه في قوله تعالى :

(١) في الأصل [بن ١٣٢ : الف] : غزوهم المسلمين .

(١) في الأصلين : تركتهم . (٣) في الأصل [بن] : مقيمون .

(٤) في الأصلين : فانتصرت .

(٥) هنا تنتهي الزيادة من بن و يستأنف الأصل بر فيما يلي .

(٦) في بر : المسلمون . . . و صحتها في بن .

(٧-٧) عن بن ، وفي بر : أبي موسى .

(٨) كلمة « له » مشطوبة في بر و يستقيم بها السياق .

(٩) في الأصل : يرسل . . . و " سلمت " وردت في بن قبلها .

(١٠) في الهامش : مطلب ، قوله تعالى " فصعق من في السموات " - الآية بسورة

الزمر ، في حق أهل الأندلس ، فهم آمنون من الصعق .

”ونفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الأرض إلا من شاء الله“^١ فهم آمنون من الصعق .

قال الشيخ أبو العباس المرسى : كنت ليلة من الليالي جالسا بالإسكندرية أكتب كتابا لبعض أصحابنا ، وإذا بالشيخ البشتيلي^٢ في الهواء ، فقلت : إلى أين انتهت سياحتك في هذه الليلة ؟ فقال : خرجت^٣ من بشتيل^٤ القناطر ، و انتهيت إلى جبال الزيتون بالمغرب^٥ الأقصى ، و أنا أريد أن أذهب إلى بيت المقدس ، و أعود إلى بلدي ، و لو بسطت لي أكثر من ذلك لانبسطت . قال الشيخ أبو العباس فقلت^٥ : ليس الشأن أن تذهب إلى جبال الزيتون و تعود من ليلتك ، و لكن أنا الساعة^٦ لو أردت^٦ آخذ يدك و أضعك على جبل قاف و أنا هاهنا^{١٠} فعلت .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله^٧ : سمعت الشيخ أبا العباس

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٦٧ .

(٢) في الأصلين : البشتيني . انظر الحاشية التالية في أصل اشتقاق الكلمة .

(٣) بشتيل من نواحي مركز امبابه بمديرية الحيزة .

(٤) في بن : بالغرب .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن [١٣٣ : ب] : إن أردت أن .

(٧) في بن . ابن عطا .

المرسى يقول: كنت و أنا صبي عند المؤدب جاء^١ رجل فوجدني أكتب في لوح ، فقال لي^٢ : الصوف^٣ لا يسود يابضا . قال فقلت له : ليس الأمر كما زعمت ، ولكن يسود يابض الصحائف بسواد الذنوب .^٤ قال [١٨٤ : ب] فسكت ولم يبد جوابا^٥ . قال ابن عطاء : دخلت^٥ عليه و قد جاء من السفر لأسلم عليه ، قال : يا أحمد كان الله لك و لطف بك و سلك بك سبيل أوليائه و بهاك بين خلقه ، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء - انتهى .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته :

١٠ على أن في مصر على الجيش قائد يبيت و لا يعطى القيادة على القسرة^١ يعنى بالقائد المذكور الأمير الاتابكي يلبغا الخاسكي ، قائد الجيوش المنصورة . أى لا يقيم على الذل و القهر ، بعد أن جرى على الإسكندرية في أيام عزه و حكمه ما جرى . فعزم على عمارة المراكب الحربية ،

(١) في بن : جاءني .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الصوف .

(٤-٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) في بن : و دخلت .

(٦) في بن [١٣٣ : ب] : الكفر .

- واجتهد ١ في عمل ١ الأسلحة المنكية، و السفر إلى الجزيرة القبرسية،
 يظهرها ٢ من الصليب و الخنزير، بعد قتل من فيها من كبير و صغير .
 و يسكنها للسليين ٣، أو يجعلها خرابا على ممر السنين ٤ . و لعل أن يظفره
 الله تعالى بصاحبها ربيز الملعون، يذيقه العذاب الهون * ، و يقتله بسيفه
 البتار، كما قتل الملك المهرج ٦ لصاحب قمار ٧ .

[قصة ملك قمار و المهرج]

و ذلك أن ملك قمار من أرض الهند ، و من هذه المملكة و الصقع^٨
 يحمل العود القمارى و إليها يضاف ،^٩ و أن ملك قمار^٩ جلس يوما في

- (١) في بن : فيها و عمل .
- (٢) في بن : ليظهرها .
- (٣) زيد في بن : يقيمون بها الدين .
- (٤) زيد في بن : لتصير مأوى البوم و الجرادين .
- (٥) زيد في بر : من هذه - و الجملة مشطوبة و زائدة .
- (٦) أى المهرجا : . Maharaja
- (٧) انظر ذكر هذه القصة في « مروج الذهب » للسعودى (ج ١ ص ١٧٠-١٧٥)
 و قد جاء في « معجم البلدان » لياقوت أن « قمار بالفتح و يروى بالكسر ، ينسب
 إليه العود ، هكذا تقول العامة ، و الذى ذكره أهل المعرفة قامرون موضع في
 بلاد الهند يعرف منه العود النهاية في الجودة » . راجع أيضا دائرة المعارف الاسلامية
 تحت موضوع Zabag وكذلك كتاب Georges Coedes : The Making of South
 East Asia. Tr. H. M. Wright. (Berkeley, University of California Press
 1966).
- (٨) في بر : و الصقى . و صحتها كما جاءت في بن و أوردناها في النص .
- (٩-٩) ساقطة من بر ، و واردة في بن و بها تكتمل الجملة .

قصره على سرير ملكه ، ' و هو مشرف ' على نهر عظيم ' يجري بالماء العذب ، و بين قصره و البحر الملح مسيرة يوم ، و وزيره بين يديه ، إذ قال لوزيره و قد جرى ذكر مملكة المهراج و جلالتها ، و كثرة عمارتها ٣ ، و ما تحت يده من الجزائر : في نفس شهوة كنت أحب بلوغها . فقال له ٥ الوزير و كان ناصحا : و ما هي أيها الملك ؟ فقال : كنت أحب أن أرى رأس المهراج ملك الجزائر ٤ كالزاج و كله و سرنده ٤ في طشت بين يدي . فعلم الوزير أن الحسد أثار هذا الفكر في نفسه ، و أخطر هذا بياله ، فقال : أيها الملك ما كنت أحب أن يحدث الملك نفسه بهذا ، إذ لم يجر بيننا و بين هؤلاء القوم من ٥ قديم الزمان و حديثه ترة و لا رأينا ١٠ منهم سوءا ، و هم ٢ في جزائر نائية عنا ، غير مجاورين لنا في أرضنا ، و لا طامعين في ملكنا . و بين مملكة القمار ١ و مملكة المهراج عشرة أيام إلى عشرين يوما عرضا في البحر الملح . ثم قال له الوزير : ليس ينبغي أيها الملك أن يقف على هذا أحد ، و لا يعيد الملك فيه قولا . فغضب

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : عماراتها .

(٤-٤) في بن : كالزاج و ككه و سرنده . و الغالب أنها أسماء بعض الجزائر التابعة لساحل الهند و قد وردت في « معجم البلدان » و قيل إنها تابعة للجزائر المعروفة في أيامنا باندونيسيا .

(٥) في بن : في .

(٦) في بن : قمار .

ولم يسمع من الياصم ، وأذاع ذلك لقواده ، ومن كان يحضره من وجوه أصحابه ، فقلته الألسن حتى شاع و اتصل بالملك ' المهرج ' .
و كان المهرج جزلا متحركا ، قد بلغ من السن مبلغا متوسطا . و كان ملك القمار حدث السن لم يحرب الأمور . فدعا الملك المهرج بوزيره ، وأخبره بما اتصل به ، وقال : إنه ليس يجب مع ما قد شاع من أمر هذا ٥ الجاهل وتمنيه ما تمنى ٣ [١٨٥ : الف] بحداثة سنّه و غرته ، و انتشار ذلك من قوله ، أن يمسك عته . فان ذلك بما يقدر في الملك و يضع منه . وأمره ستر ما جرى بينهما ، و أن يعدّ له ألف مركب من أوساط المراكب بالأنهار ، و يتدب لكل مركب من حملة السلاح و قرّهة الرجال ما يستقل به ، و أظهر أنه يريد التنزه في جزائر مملكته ، و كتب ١٠ إلى نوابه الذين هم في هذه الجزائر و تحت طاعته و جملة بما عزم عليه من زيارتهم ، و التنزه بجزائرهم ، حتى شاع ذلك ، و تأهب كل صاحب جزيرة بما يصلح للملك المهرج . فلما استتمت أموره ، و انتظمت مراكبه ، دخل المراكب ، و عبر بها بالجيش إلى مملكة القمار ، فطرح رجاله من المراكب ، و أحرقوا به ٢ على سبيل غرة ، فاحتوى على داره ، و صار ١٥

(١) في بن : ملك .

(٢) زيد في بن : فقال الوزير لا قوة إلا باقه ، نصحته فلم يذتصح كما وعظ بعضهم سكرانا ، فقال أما يستحي أن يعظ سكرانا .

(٣) في الأصلين : تمنا .

(٤) في بن [١٣٤ : الف] : بملك القمار .

(٥) في الأصلين : و طار - و واضح أنه خطأ قلمي .

أهل المملكة بين يدي المهرج ، فأمر بالنداء بالأمان ، وجلس على السرير الذي كان يجلس عليه ملك القمار^١ ، وقد أخذه أسيرا ، فأحضره وأحضر وزيره ، فقال للملك : ما حملك على تمنى ما ليس في وسعك ولا لك فيه حظ لو نيلته ، ولا أوجه سبب يسهل السيل إليه . فلم يجد هـ جوابا ، وقال^٢ المهرج : أما أنك لو تمنيت مع ما تمنيته من النظر إلى رأسى في طشت بين يديك إباحة أرضها أو ملكها أو الفساد في شيء منها لاستعملت ذلك فيك ، ولكنك تمنيت شيئا بعينه ، فأنا فاعله بك ، وراجع إلى بلدى من غير أن أمدّ يدا إلى شيء من بلدك ، عما قلّ وجلّ ليكون عظه لمن بعدك ، ولا يتجاوز كل قدره ، وما قسم له ، وأن يستغم العافية من لبسته . ثم ضرب عنقه ، وأقبل على وزيره ، وقال^٣ : جزيت خيرا من وزير ، فقد صح عندى أنك أشرت على صاحبك بالرأى لو قبل منك ، فانظر من يصلح للملك من بعد هذا الجاهل^٤ فأقيمه^٥ مقامه . وانصرف^٦ من ساعته^٦ راجعا إلى مملكته . فلما رجع إليها وقعد على سريرته وضع^٧ الطشت بين يديه وفيه رأس ملك القمار

(١) في بن : قمار .

(٢) في بن : قال له .

(٣) ريد في بن : له .

(٤) زائدة في بن .

(٥) في بن : فأقمه .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : ووضع .

و أحضر وجوه مملكته و حدثهم بخبره ، و السبب الذى حمله على ما أقدم عليه ، فدعا له أهل مملكته و حزوه خيرا . و أمر بالرأس فغسل و طيب و جعل فى ظرف و ردّه إلى الملك القائم ببلاد القمار^١ ، و كتب إليه : إن الذى حملنا على ما فعلناه بصاحبك بغية علينا ، و تأديبا لأمثاله ، و قد بلغنا ما أردناه ، و رأينا رد رأسه إليك ، إذ لا دَرَكَ لنا فى حبسه ، و لا نخرنا^٢ .
 لما ظفرنا به منه . و اتصل الخمر بملوك الهند و الصين ، فعظم المهرج فى أعينهم ، و صارت ملوك القمار من بعد ذلك كلها أصبحت قامت وجوها نحو بلاد الزابج و سجدت و كفّرت للهراج تعظيما [١٨٥ : ب] له .
 و كذلك الأمير يلبغا الاتابكي إذا ظفر برير القرسى و قتله و أخرب قرس بعد أسر من فيها ، خافت جميع الفرنج^٣ منه و ارتعبت^٤ .
 و أقرت لمملكة الديار المصرية و الشامية بالقوة و الحمية ، كما خاف من جحد و كفر من السلطان أبى عبد الله محمد الشهير بابن الأحمر بما جرى عليهم^٥ منه من إخراجه لبلادهم ، و قلعه لأصولهم و أوتادهم و أسره لحريمهم و أولادهم بجزيرة الأندلس ، كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى . انتهى .

(١) فى بن : قمار .

(٢) فى بن : نخر .

(٣) فى بن : الإفرنج .

(٤) فى بن : على الإفرنج .

(٥) زيد فى بن : يا جنود الصبر اثبتوا إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، تذكروا عز الأقدام و احذروا هتكة العزيمة إذا لاحت أعلام التقى لم يبق منزل دون المنزل و يخ المستكبرين من الخطايا ألا يظن أولئك انهم مبعثون (كذا) ليوم عظيم .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة و عودة الأمير

صلاح الدين بن عرام سنة ٧٦٨]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته :

أقام لنا بالثغر جيشا عرمرما وفيه ابن عرام المؤيد بالنصر

٥ أقام ، يعنى به الأمير الاتابكى يلبغا الخاسكى مقدم الجيوش المنصورة ،

بعث للإسكندرية بعد وقعة القبرسى بها جيشا سعيدا ، حازما شديدا ،

يقيم بها لحفظها . و فى ذلك الجيش الأمير صلاح الدين خليل بن عرام

واليا بها ، فكان قدومه إليها ثانى ولاية له بها فى شوال سنة ثمان

وستين و سبعمائة ، و ذلك بعد عزل الأمير سيف الدين الأكرز منها ،

١٠ و بعد أن كان شاد الدواوين بالقاهرة ، فنصره الله تعالى على عدوه

٢ الوزير الفخر بن قرونيه ، فهو الذى كان السبب فى عزله من الإسكندرية ،

كما سيأتى ذكره ٣ إن شاء الله تعالى .

و كان الأمير صلاح الدين المذكور فى ولايته الأولى سافر إلى

الحجاز الشريف بعد أن استأذن الأمير الاتابكى يلبغا الخاسكى

١٥ فأذن له فى السفر ، وولى ' الأمير يلبغا ' الأمير جنغرا ' كما تقدم .

ذكره نائباً للأمير ٦ صلاح الدين بها ٣ مدة سفره . فخرى على الإسكندرية

(١-١) وردت هنا فى الأصل : الأكر . ثم جاءت فى ص ٢١٣ : الأكرز . و قد

وحدناهما كالثانية لإمكان سقوط النقط فى الأولى .

(٢-٢) فى بن [١٣٤ : ب] : و الوزير بالقاهرة ابن قرونيه .

(٣) الكلمة ساقطة من بن (٤-٤) الجملة ساقطة من بن .

(٥-٥) فى بن : المتقدم (٦) فى بن : عن الأمير .

في غيبته بالحجاز الشريف ما جرى من ظفر الإفرنج^١ بها على يد الأمير جنغرا ، كما تقدم ذكره . فلما قدم الأمير صلاح الدين من الحجاز الشريف إلى القاهرة حين الوقعة ، أرسله الأمير يلبغا إلى الإسكندرية سرعة ليتقدمه إليها ، فدخلها خامس عشرين المحرم رابع يوم الوقعة^٢ . فزعم ما كان على سورها من أعلام صليان النصارى المشركين ، ونصب عليها أعلام^٣ المسلمين الموحدين . ووجد أسطول^٤ الفرنج محصنا بالبحر ، فتيقن العدو الملعون أن النجدة وصلت لما رأى أعلام الصليان عن^٥ السور قلعت ، وأعلام المسلمين عليه قد نصبت^٦ ، فكان^٧ فعله ذلك إيها ما لهم . ثم إنه راسلهم مع يهودى يسمى يعقوب في قارب يقول لصاحب قبرس : إن كنت ملكا فانزل إلى البر ، وقابل جيش مصر ، وإلا فالذى فعلته^٨ ليس هو كفعل^٩ [١٨٦ : الف] الملوك ، بل فعلت كفعل^{١٠} اللصوص ، سرقت وهربت ، إلى غير ذلك من القول . فقال : ما سويتا عند ابن عرام أن يرسلنا إلا^{١١} مع يهودى^{١٢} .

(١) في بن : الفرنج .

(٢) زيد في بن : سنة سبع وستين وسبعائة ، فزعم - الخ .

(٣) عن بن ، والكلمة في بر : اصطول .

(٤) في بن : من .

(٥) زيد في بن : و رفعت .

(٦) في بن : و كان .

(٧) في بن : فعل .

(٨) « إلا » و ردت في بن قبل « يرسلنا » .

(٩) زيد في بن : كوهى - و المقصود بالكلمة غامض .

[قصة يعقوب اليهودي مع بطرس لوسنيان]

و حدث الشريف محمد الحسيني قال : حدثني يعقوب اليهودي المذكور - إني لما أرسلني الأمير صلاح الدين لصاحب قبرس ، اففتشني الفرنج ثم كتفوني^١ ، و صار على رأسي افرنجيان معها سيفان مجردان^٢ ، الواحد عن يميني ، و الآخر عن شمالي ، ماشيان معي ، فتحطوا بي أربعين غرابا ملصقة بعضها لبعض ، و أنا أشاهد أسارى الإسكندرية المسلمين و اليهود و النصارى الذميين ، الرجال منهم و النسوان و الإماء^٣ و الأطفال و الصبيان^٤ ، إلى أن وصلت^٥ إلى الملك في آخر الغربان ، و إذا به جالس^٦ في خيمة كبيرة لها شبايك مخططة بها ينظر منها إلى البحر ، و عن يمينه راهب ، و عن يساره آخر^٧ . فلما أوقفوني^٨ بين يديه قال : من هو هذا ؟ قالوا : رسول أتى من عند الأمير صلاح الدين بن عرام نائب السلطان بالإسكندرية . فقام عند ذلك قائما على قدميه ،^٩ و قام الراهبان لقيامه خدمة له . ثم جلس الملك و جلسا بجلوسه^{١٠} . قال ثم قال

(١-١) في بن : فتشني الامرنج ثم كتفتني .

(٢-٢) في الأصلين : افرنجيين معها سيفين مجردين .

(٣-٣) في بن : و الولدان (٤) في بن : و صلوا بي (٥) في الأصلين : جالسا .

(٦) في بن : راهب . و أغلب الظن أنهما مستشار الملك Philippe de Mezieres

و بطريك القسطنطينية اللاتيني Pierre de Thomas . انظر في ذلك مؤلفنا وحموان

The Crusade in the Middle Ages (London 1938) .

(٧) في : وقفوا بي .

(٨-٨) في بن : و قام الراهبان ثم جلس الملك و جلسا معه . و في بر : و قامت الراهبان

و الأصح ما جاء في بن فأوردناه بالنص .

الملك إجلس فجلست . وإذا بين يدي الملك من نسوان الإسكندرية جماعة كبيرة حسان الوجوه ، وعلى رأس الملك تاج من الذهب ، بأعلاه جوهرة مضيئة ، وعليه الجوخ^٢ الربيع المزورّ بازرار الذهب و اللؤلؤ المنظوم . فقال لى : فيم^٣ أتيت ؟ فقلت : يقول لك نائب السلطان إن عندنا ثمانية و أربعين إفريجيا تجارا^٤ أعطنا المسلمين و نعطيكمهم . فقال* : ه سلم على نائب السلطان و قل له ' يكتب لنا^٦ كل واحد منهم كتابا بخطه^٧ الرومى يعرفنا اسمه و اسم أبيه و أمه و كم فى الشهر الرومى من يوم مسك^٨ ، فاذا صح لنا ذلك علنا أنهم بالحياة^٩ ، تفديهم بأسارى الإسكندرية ، و ما لنا إقامة إلا إلى غد^{١٠} العصر و نرتحل . قال اليهودى فرجعت أعلمت^{١١} نائب السلطان بذلك ، و كان^{١٢} المسلمون أخرجوا .

(١) فى بن : ذهب .

(٢) ريد فى بن : الاشكلاط .

(٣) فى بن : فيما .

(٤) ساقطة من بر ، واردة فى بن .

(٥) مطموسة فى بن .

(٦-٦) فى بن : يأمرهم أن يكتبوا لنا خطهم .

(٧) فى بن : بالخط .

(٨) عن بن ، و هى ساقطة من بر .

(٩) فى بن : أحياء .

(١٠) فى الأصلين : غدا .

(١١) فى بن : و أعلمت .

(١٢) فى الأصلين : وكانت .

تلك الفرنج حين الوقعة من الإسكندرية إلى ناحية دمنهور^١ . فلما طلبوا لم يصلوا إلا والفرنج^٢ التى بالمراكب لما عاينوا قدوم عساكر مصر قد أقبلت كالجراد المنتشر لم يلبثوا أن سافروا .

[دخول يلبغا الخاسكى الإسكندرية]

٥ ولما دخل الأمير الاتابكى يلبغا الخاسكى الإسكندرية ، ورأى وشاهد ما آل أمرها إليه من الهدم والحريق والقتلى المطروحة بظاهرها وباطنها بكى^٣ على ما أصابها وأصاب أهلها في أيام عزه و حكمه . فلآم نفسه على عدم التركيز بها حين بلغه أن العبارة بحزيرة قرس . وأمر حينئذ الأمير^٤ صلاح [١٨٦ : ب] الدين بدفن القتلى فدفنها ، وأمدته ١٠ بالأموال لعبارة ما خرب منها ، فاجتهد في العبارة ، وشق خندقا إلى جانب السور الذى توصلت منه الفرنج إلى الإسكندرية لم يكن قبل ذلك ، فعمره في أسرع وقت . وهذا الخندق المتجدد محاذ^٥ للوضع المسمى من داخل السور بدار الصناعة^٦ وديوان الخس ومحارى الآقية ، وصله بالخندق^٧ الاصلى الذى أوله ساحل بحر السلسلة و الباب الاخضر إلى

(١) زيد فى بن : رحبوا (كذا ولعلها وضعوا) بسجنها .

(٢) فى بن : والفرنج .

(٣) كذا فى بن [١٣٥ : الف] ، وهى فى بر : بك .

(٤) كذا فى بن ، وهى فى بر : للأمير .

(٥) فى الأصل : محادى .

(٦) فى بن : الصاغة .

(٧) فى بن : الخندق .

قلعة ضرغام ، فزاد من القلعة المذكورة إلى أن وصله يبحر^١ المينة الشرقية ،
و كأن البحر كان في الزمان القديم يضرب في السور إلى عند قلعة
ضرغام ، فلذلك ترك^٢ المتقدمون ذلك الموضع بغير خندق ، ثم انطرد
البحر عن السور^٣ بعد ذلك^٣ ، فصار ذلك المكان بغير خندق ، وطال
الآمن وعدم الخوف ، فأهمل^٤ المسلمون ذلك • الموضع من حفر • •
خندق . وضرب الدهر ضرباته لإطالة الزمان وتغير الأوقات و تقلب الدول
وصار^٥ المسلمون في أمان و اطمئنان^٦ ليس عندهم هم^٧ ولا نكد
لإطالة الأمد ، فوجد العدو مكانا خاليا من خندق و رجال و عدد كما تقدم
ذكر غلق باب الديوان^٨ خوفا من أن تدخل البضائع البلد منه بغير حق^٩ ،
فتوصل العدو^{١٠} بسبب غلق بابه و منع المقاتلة من طلوع سوره من
تلك الجهة إلى البلد فجاس في خلال الديار و عربد •

[ولاية صلاح الدين بن عرام الثانية للاسكندرية]

ثم إن الأمير صلاح الدين بن عرام عمر في ولايته الثانية خندقا

- (١) في بن : بخندق .
- (٢) في الأصلين : تركت .
- (٣ - ٣) ساقطة من بن .
- (٤) في الأصلين : فأهملت .
- (٥ - ٥) في بن : بغير حفر .
- (٦) في الأصلين : وصارت . (٧) في بن : و اطمئنان .
- (٨) ساقطة من بر و واردة في بن .
- (٩ - ٩) في بن : من داخل البلد خوفا من التجار البضائع (كذا) منه بغير حق
وجب عليها .

غربي السور، وهو المكان المعروف بالمطرق، أوله قلعة الباب الأخضر وآخره القلعة المجاورة لدار السلطان و باب الخوخة، وصله بالخندق المحيط بالإسكندرية من جهة البر، فصار ذلك خندقا ومطرقا ومكنا لدخول نجدة المسلمين منه في خفاء، لإقامة حائطه الذي يلي البحر^١ إلى ٥ أن يخرجوا منه على حين غفلة إلى الجزيرة وقت حرب الفرنج إن أتوا لذلك.

ثم إنه عمر أيضا المطرق الشرقي المحاذي لدار الإمارة. ثم غرق الحجارة بالمينة الغربية حفظا لمراكب المسلمين، وزم فوهة التفريق بسلسلة ضخمة. وعمل أيضا^٢ مشطا حديدا^٣ لباب الصناعة الغربية من جهة ١٠ المطرق المذكور، تخرج منه الرماة إلى المينة وتدخل منه وقت الحرب، وأبواب الإسكندرية حيثئذ مغلقة. فان دهم العدو المسلمين دخل^٤ المسلمون منه بحماية رماة السور التي بأعلاه إياهم^٥ إلى أن يدخلوا بأجمعهم. فاذا حصلوا داخله أرخى عقيب دخولهم المشط الحديد الذي^٦ لا يرفعه غير المسلمين^٧ [١٨٧ : الف] من أعلى السور بالسرياقات الدائرة المحيطة^٨ ١٥ على لوالب الأتراس لثقله وجفوه. وكانت عمارته للمطرق الغربي

(١) ساقطة من بن.

(٢-٣) كذا في بن وهي في ر: مشط حديد.

(٣) في الأصلين: دخلت.

(٤-٤) في بن: يرفع.

(٥) كذا في بن، وهي في بر: أعلا.

و باب المشط الجديد في سنة تسع و ستين و سبعمائة . و سيأتي فيما يرد
من هذا الكتاب ذكر تغريق الحجار بمينة ^١ بحر السلسلة ، و تاريخ حفره
للخندق الجديد البارز عن الخندق العتيق و صفة ^٢ حفره إن شاء الله تعالى .
فالأمير صلاح الدين بن عرام المذكور هو الذي غرق الحجار
^٣ لحفظ مراكب المسلمين ^٤ و حفر الخندق الجديد و المطرقين و ما خرب ^٥
من الإسكندرية ، و هو الذي أقام أبواب البحر الأول و الثاني عوضا
عن البابين اللذين ^٦ أحرقتهما الفرنج . و كذلك أقام بابي رشيد اللذين ^٧
أحرقتهما أهل الاسكندرية حين الواقعة لتجد النجدة الآتية من مصر مكانا
مفتوحا تدخل منه إلى قتال الفرنج بها . و كذلك أحرق ^٨ المسلمون
باب الزهرة لتدخل النجدة منه أيضا . ثم إن الأمير صلاح الدين أقام ^٩
أيضا أبواب دار الصناعة الشرقية و أبواب الديوان و سد الباب الأخضر
و باب الخوخة و باب الزهرى و باب الآقية ، فصل بعمله المستبين ، النفع

(١) في بن : ومينة - مكروة .

(٢) في بن : وكيفية .

(٣-٣) واردة في بن [١٣٥ : ب] و ساقطة من بر .

(٤) في بن : أخريته الفرنج .

(٥) في بن : اللتان .

(٦) في بن : حرقتهما .

(٧) في بن : اللتان ، و في بر : التي .

(٨) في الأصليين : أحرق .

للسلمين^١ وفيه يقول الشاعر^١:

فالله يحفظه و يحفظ سعيه و يمدده ويمدده بالخير والبركات
ويديم نعمته على طول المدى^٢ و يحفه بالنصر في الحركات
و يقره في مستقر^٣ خالد بحظيرة^٣ الفردوس في الجنات

٥ ثم إن الأمير الاتابكي يلبغا الخاسكي^٤ طلب الأمير صلاح الدين
ولاه بالقاهرة شاد الدواوين، وولى الأمير سيف الدين الأكرز^٥ الاسكندرية،
أقام بها سنة واحدة وعزله منها، وأعاد إليها^٦ الأمير صلاح الدين^٦
في التاريخ المتقدم ذكره. وفي أيام ولاية الأكرز ركب على الباب
الأخضر أبوابه الثلاثة^٧ بعد أن كان مسدودا بالحجر والجير^٨ وذلك في
١٠ يوم الواقعة ستة سبع وستين وسبع مائة.

[المراثي الأخرى للاسكندرية]

قال المؤلف: غفر الله له ولوالديه و للاقرين إليه وللسلمين اجمعين^٩:

(١-١) ساقطة من بر، وواردة في بن.

(٢) في بن: المدا.

(٣) في بن: بحظيرة.

(٤) في بن: الخاسكي.

(٥) في بن: الأكرز.

(٦) ساقطة من بن.

(٧) زيد في بن: ابن عرام.

(٨-٨) في بن: رحمه الله تعالى.

وإذ قد ذكرت ما تيسر ذكره على مرثية ابن أبي حجلة ، فساذكر
الآن المرأى التى رثيت بها الإسكندرية إن شاء الله تعالى . ففنها قول
الشيخ الفاضل أبى عبد الله محمد بن حسن الشاطبي ٢ أسعده الله تعالى ٤ :

همت يا لقومى بالدموع عيون لمعظم شجوى وانبعاث شجوى
وأمسيت صبا شاكيا من صبابى وصار منأى ٣ اقتراب منونى ٥
أصعد أنفاسى وأبدى تأوى لخطب جليل هاج منه أنينى
[١٨٧:ب] إذا جن ليلى أفلقتنى خواطرى كأنى مصاب فى الدجى بجنون
هجرت منامى مذكسى ٦ جسمى الأسى وقد ظل تسهيدى حليف جفونى
ومن عظم ما بنى لورأتى معارفى لتغير أحوالى لما عرفونى
وقد لامننى قوم لكثرا ٧ توطى بيت خطوب طال ما دهمونى ١٠
فلو نال عدالى قليلا من الذى منيت به فى الدهر ما عدلونى
ألا يا أخلاقى اندبوا ويحكم معى وجودوا بدمع لا يكف ٨ هتونى

(١) ساقطة من بر ، واردة فى بن .

(٢-٢) فى بن : رحمه الله .

(٣) فى بن : شانى .

(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : و ابدو .

(٥) فى بن : كسا .

(٦) فى بن : لعظم .

(٧) فى بن : لا يتفك .

ومن أعظم الأوصاف^١ أن مسلماً غداً
تجراً بعد الروم بالنهب عادياً
ولم يرتقب سوء الحساب وهوله
إلى الله أشكو جور عادٍ ومعتدٍ
هـ ألا بابي يا ثغر قلبي مقلب
ألا بابي يا ثغر هل لا تبساً
ألا بابي يا ثغر أين أحبتي
نثرت لآلى الدمع حين تناثرت
دعوت اصطباري والكرى وتعقلى
١٠ وكيف وفقدان الإحبة مذهلي
يقول فقيد الأهل بالحال معلني
فها أنا بعد العزّ في ذلّ أسرم
وبعد انشراحي في هتّا لذة المنى
يحوز و يحوى لا يدين بدين
ولم يخش ما يلقاه بعد منون
وضبط حفيظ كاتب وظنين
ظلوم أثيم مفسد وخوون^٣
على جمرات قد أهجن سكوني
كما قد عهدنا وانبساط فنون
أبعد وصال ما لهم هجروني
لآليك واستحكمت عقد غبوني
فلا وأبي يا صاح ما قربوني
وشأنهم يضني^٤ جميع شؤني^٥
ألم تر حزب الشرك قد ملكوني
وبعد سراحى في مضيق^٦ يمجوني
أقاسى قسى القلب غير حنين

- (١) في بر: الأوصاف، والكلمة أصبح في بن كما في النص .
(٢) في الأصلين: مسلم - و يقتضى الوزن نقل « غدا » إلى الشطر الأول .
(٣) في الأصلين: خون، وزيد هنا في بن :
ألا بابي يا ثغراسكنت باطنى خيالاً به شدى اضمحل (كذا)
وقد آثرنا ترك البيت في الهامش لما به من خيل في اللفظ والمعنى والوزن .
(٤) كذا في بن وهى في بر: يصمى .
(٥) في الأصول: شؤن .
(٦) في بن: ضيق .

أبيت الليلي لا فتور لمدعى وأصبح في ذل 'يذوب وهون'^١
 وكل أسير كالذي قلت قائل فبالله من حسن الدعاء هُبُونِي
 عضضت بناني عند ذا من تأسنى وأسقطت حُزناً في التراب جينِي
 وواصل نوحى للشهاد^٢ فلا أرى مصاحبة بين الكرى وعيونِي
 ذرُونِي أبكى كل مسمع^٣ له حجا وأثير الحزن فيه ذرُونِي^٥
 فإليت شعرى هل لثأرى طالب يحلى صدأ قلبي بفك رهُونِي
 / أيا معشر الإسلام بالله فاضرعُوا^٤ باخلاص قصد واصطحاب يقين [ب: ١٨٨]
 بتمكين أرباب النهى من عدونا "بنصر وفتح للأنام" مبین
 بحرمة من بالرب أيد وانكفا بكف تراب منه أى مكين

و للشاطى أيضا مرثية في الإسكندرية^١ وهى:

أى جفن له المنام يدأى عند صدم العدو بالأجفان
 عن حرب من اللثام إلى الثغر ظنناه خائب الرأى عانى
 في خميس^٢ وإفاننا بخميس وإلى الجمعة التقى الجمعان
 وغراب الفراق ينعب^٣ فينا فرقا من تفرق الغربان^٤

(١-١) فى بر: بدوب وهين ، والأصح كما فى بن بالنص .

(٢) فى بن: الشهاد .

(٣) فى بن: ذى سمع .

(٤) فى بن: فاسرعوا .

(٥-٥) فى بن: بفتح قريب للإمام .

(٦) زيد فى بن: أول كل بيت منها كآخره .

(٧-٧) فى بن: ونخيس .

(٨) فى بن: ينعب .

(٩) فى بن: الغربان .

- هون المسلمون أمر لقام فأذيقوا منهم أشدّ الهوان
 سنّ للثغر ذا الخيث سنانا فتعدّي بها على الأسنان
 مُكّن النذل في الحريم وفي الـ مال وألقى الأذى بكل مكان
 قرر الثغر ويله فعليه لعنة الله ما بدا القمران
 ٥ أعرب القول بعد ذا في فريقين رعاع العوام والعربان
 طعنوا في كجودهم بالطوا عين لأجل الفرار يوم الطعان
 'ودنوا لانتهاج' كل مكان في النواحي وكل قاص وداني
 مكن الله منهم كل دان^٣ مستمر الدوام بالإمكان
 وعلامهم من الضنا والزايا في حماهم فوق الذي قد علاني
 ١٠ ذكر المرثية التي رثاها بها الإسكندرية 'عقيب الواقعة' الشيخ الفاضل^٦
 أبو عبد الله محمد بن طاهر الأخميمي^٨، وما أضيف إليها من أخبار
 مصر، وذكر بعض ملوكها ونيلها وخيرها وبركتها وخصائصها وعجائبها
 وغير ذلك على سبيل الاستطراد^٩:

(١) في بن: فتعدّ.

(٢-٢) في بن: ودموا الانتهاج.

(٣) في بن: دا.

(٤-٤) في بن: ومن المراقى التي رثيث.

(٥-٥) في بن: مرثية.

(٦) الكلمة ساقطة من بن.

(٧) في بن: أبي.

(٨-٨) الجملة ساقطة من بن.

حادث حل أرى الناس العبر / فيما قد هال منه يُعْتَبَرُ
 ياله من حادث ما مثله / طرق الإسلام من عهد عمر
 وبلاء قد دها الناس فلم / نر منه قط أدهى وأمر
 جرّع الإسلام سما ناقعا / وعليهم سيف بغى قد شهر
 فلکم أطرش سما واعيا / ذكره ولكم أعمى بصره
 مادت الأرض له واضطربت / ولقد حل بها كل العبر
 / ليس يرجا للهنا من أوبة / لا ولا صفو زمان من كدر [الف: ١٨٩]
 وبنو الأصفر في ثغر الهدى / جعلت أسياهم فيه ثغر
 ليس يعي منهم في أخذه / أحد بل كان في لمح البصر
 وأبادوا بالقنا حاته / وإليه كل عالج قد عبر ١٠
 واستباحوا ذمة الله ولم / يرفع لله ذماما من كفر
 لو ترى ٣ العالم لما نظروا / جيش أنصار الهدى قد انكسر
 وهم جفلا من الرعب كما / تجفل الأنعام من ليث زار
 ومن الأسوار يلقوا أنفسا / ليس تخشى من وقوع في خطر
 خيفة الأعداء لما منهم / كل قلب غاف منه وانذر ١٥
 كم أراقوا من دم فيه وما / رق قلب منهم ولا انزجر

(١) في بن: واعي .

(٢) في الأصلين: بالضبا (أو) بالصبا [بن ١٣٦: ب] وواضح أنه خطأ قلبي
 لا يستقيم به المعنى .

(٣) في بن: تر .

(٤-٤) في بن: فيه من دم .

ولكم شيخ تقاني^١ عمره ذبحوه بالمُدا^٢ ذبح البقر
وصغير بضموه^٣ ثم ما رحوا من كفرهم منه الصغر^٤
ولكم طفل نجيب قارئ حسيبه من عمره درس السور
أخذوه ثم لا برحمة أحد منهم إليه قد نظر
ه وإذا لم ينظر الله له أخرجوه عن هدى^٥ خير البشر
ولكم ستر غدا مُنتهكا وبدا للناس منه ما ستر
ومبان زخرفت أرجاؤها فوهى ما طال منها واندثر
وغدت بالنار قاعا صفصفا ما يرى من رسمها إلا الأثر
ولكم منها بدور أخذت هين في مثلها بذل البدر
١٠ ومن الأموال ما لو قصدوا حصر نزر منه يوما ما^٥ انحصر
ولقد أضحى بها من كان في أعظم العز ذليلا محتقر
قد خلت أوطانه من أنعم وهو من بعد الغنى قد افتقر
ليت يوم دخلوه عنوة صبحه الواضح ما كان انفجر
أسفرت غرته عن فتنة ذهل البادون منها والحضر
١٥ أورثتهم بحر حرب زاخر وقليل منهم عنه صدر

(١) في بن: تقانا .

(٢) في بن: بالمدى .

(٣) في بن: صغر .

(٤) في بن: يلى .

(٥) في بن: لها (أو) لا .

غرقوا من هوله في لجج طاميات من دم قد أنهدر
والعدا في حربهم قد فتخوا باب غدر وسيلقى من غدر
/ واستهَاب المسلمون حربهم وبدا منهم ملال وضجر [١٨٩: ب]
وعلى الأعقاب ولّوا هربا والعدا 'من خلفهم' تقفوا الأثر
قبها عن 'اللقا تولية' فهي عند الله من إحدى الكبر ٥
لو ٣ بهم كان ٢ شجاعا بأسلا بقتال ذلك اليوم اشتهر
لمحى 'عن حوزة الدين الردا بالردينيات والعصب الذكر
وحى ثغر الهدى لكنه في الدجا يعرف مقدار القمر
وبه كانت تنفث فرقة من عراب البر قد جاؤا زمر
ينصروا الإسلام لكن في الوعا لم يكن نجاحهم إلا المفتر ١٠
وهم كانوا عليه ضررا لا لكن* جنغرا أصل الضرر
غرّ بالعالم إذ أخرجهم لقا الأعداء عبياد الصور
خارج الأبواب إذ فتحها وهو منه كان خطأ وغزر
لو على الأسوار أضحى راكبا ثم بالخندق قد أجرى نهـر
كان للثغر وقاء والعدا لم تـل منه مدى الدهر وطر ١٥

(١-١) في بن: منهم .

(٢) في بن: عند .

(٣-٣) في بن: كان بهم .

(٤) في بن: لها .

(٥) عن بن ، وفي بر: ولكن .

بل أضع المسلون رأيه حين لا أسعده حكم القدر
لو أراد الله أن ينصره كان بالرعب له قد انتصر
لكن الله الذي أخذه وعليه للأعداء قد نصر
لم يكن في ذلك اليوم الذي شره كان على الناس استطر
ه نفع الإسلام سور مانع أحكمت من حكم بانيه المرار
لا ولا دافع عنهم مدفع للعدا من ناره يرى شر
لا ولا أسلحة معتدة للقا الأعداء كانت تدخر
لا ولا نيران فقط لا ولا منجنيق قد رمى ثانی حجر
لا ولا جيش يقول من رأى في العدا حملاته لله در
١٠ لا ولا عبد تقى قد دعا بانتصار الدين في وقت السحر
فلکم سيف نبا من بعد ما كان في الصخر لحديه أثر
ولکم رمح طويل هزّه راح يبغي الطعان فانكسر
ولکم قوس رمى^١ نحو العدا فأتى في رميهم عنهم قصر
ولکم من قامه مفلوقة فلقتها البيض تفليق الشجر
[١٩٠: الف] . / ولکم رأس على وجه الثرى من على الأبدان تجرى كالآكر
ولکم من سابق فارسه إذ كبا من فوقه للأرض خر
كل هذا فعل رب قادر كل أمر منه يجرى بقدر
يا لها من كسرة يجرها من إذا ما شاء للكسر جبر

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : جرى .

بالمقر الأشرف العالى الذى جوده كالشمس فى الأرض انتشر
 يلبغا ليث الوغا من سيفه للطفاة المارقين لم يذر
 فارس الإسلام ليث جاسر ويهاب الليث يوما إن زار
 فهو للدين خفير يقظ والذى يخفر يحى ما خفر
 مُذَرِّقا ما قد جرى مسمعه حين واقاه من الشجر الخبر ه
 سار بالجيش مجداً قاصدا ساعه الوقت إليه ما فتر
 ملاً البر جيوشا شوسها من أولى العزم صناديد غر
 وخيول صافنات ضَمَّر للقا الأعداء لها كثر وفر
 قادها الليث الهُصُور ٣ يلبغا من على الدين بمرأه خفر
 يأخذ الثار من الأعداء فلم يلقى للأعداء فى الشجر أثر ١٠
 بل هم لما رأوا جيوشه أقبلت لحربهم مثل المطر
 أيقنوا أن لا نجاة لهم من عظيم حربه إلا السفر
 واستهابوا الشجر من سطوته ثم عنهم بعدوا مدا النظر
 لو على البر إليه نزلوا ما نجا من سيفه منهم نفر ٧

- (١) فى الأصل: أزر، وهو خطأ قلمى واضح، وصحته فى بن [١٣٧: الف] .
 (٢) فى بن: بساعة .
 (٣) فى بن: الحضور .
 (٤) فى بن: قد أقبلت .
 (٥-٥) فى بن: ألا .
 (٦) مطموسة فى بر، ووردت فى بن .
 (٧-٧) مطموسة فى بر، واردة فى بن .

وغدوا بالأسر في قبضته ونهى فيهم بما شاء وأمر^١
 واشتفت منهم قلوب حرّها لو على الصخر^٢ الأصم لا تقطر^٣
 فهو سيف للعدا^٤ مجرّب ولقد أضمر في نصر الهدى
 ١١٥ هـ قاله العرش قد عوّده منه بالنصر العزيز والظفر
 أيها المولى الأمير والذي من نداه وإبل السحب انهمر
 إن دين الله أنت سيفه وعلى نصرتك الدين اقتصر
 وإذا ما لم تقم في نصره طمع الأفرنج فيه والستر
 لا تم عن نصره واجفو الكرى واسهر العين فذا وقت السهر
 [١٩٠: ب] / وأمر السفن كثيرا مثل ما ذلك^٥ الكلب اللعين قد عمّر
 وبها للحرب حمل^٦ عدد^٧ كي بها اللابس^٨ في الحرب يُسر
 لا تكن في حملها مختصرا فعدوّ الله فيها ما اختصر

(١) مطموسة في بر، وواردة في بن .

(٢-٣) مطموسة في بر وواردة في بن .

(٣) في بر: على العدا . وصحتها في بن كما أوردناه في النص .

(٤) في بن [١٣٧ : الف] : ذلك .

(٥) كذا في الأصول وقد تكون « حمل » بسقوط نقط الجيم ، وواضح أن
 باليت خموضا ووزنه مكسور .

(٦) في بن : عددا .

(٧) في بن : اللبس - والمعنى غامض .

ولتكن أبطالها مشهورة مثل سيف في الوغى^١ قد انشهر
 من كجاة الترك كل يأسل ثابت عند اللقاء فل ذكر
 وتوجه بههم لقبرس و اركز الصنjq فيها فوق بر
 وضع السيف ولا تترك سوى من لتوحيد الإله قد ذكر
 واكر الصلبان واحرق قبرسا ثم لا تترك^٢ بناء من حجر^٣ ه
 وخذ السلطان مأسورا كما لحريم المسلمين قد أسر
 واقترح ماشئت في تعذيبه^٤ فهو كلب للأنام قد عقر
 ولاسرى المسلمين ردهم لحامهم أيها المولى الأقر^٥
 لتكون الآخذ الثار الذى لك فى الدنيا له عظم الفخر
 ثم لم يبق بأرض ملك بعدها إلا لعلياك^٦ أقر^{١٠}
 ويعود الثغر فى الدنيا حمى بك يخشاه العدو إن حضر
 لكن^٦ الآن غدت^٦ أحواله حزنا يبكى عليها من نظر
 أسف الدنيا على الثغر الذى كان للعلم الشريف مستقر
 كان ركننا للهدى مشيدا^٧ ولأرباب النهى فيه مقر

(١) فى بن : الوغا .

(٢-٣) فى الأصلين : مبنيًا حجر . - ولا يستقيم بها الوزن .

(٣) فى بن : تعيينه .

(٤) كذا فى الأصلين، وربما كانت الكلمة : الأغر .

(٥) فى بن : لعياك .

(٦-٧) فى بن : الاعداء الاعداء . . . وهو خلط واضح .

(٧) فى بن : سيدا .

كان ثغرا بالهنا^١ مبتسما وله دون الثغور يفتقر
 كان للملك به جلالة وله ثغر به إذا افتخر
 منه جيد الملك أضفى عاطلا مثل قويس عطلت منه الوتر
 نكب الإسلام فيه نكبة أرخت أخبارها الناس سير
 ٥ إن يكن حكم القضا أباده وعليه حادث الدهر جسر
 فله العقبى بنصر عاجل من إله العالمين ينتظر
 وإذا ما أئذ الله القضا لم يكن^٢ لمخلوق فيه^٣ مضر
 وقد عارض هذه المروية الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد النستراوى بمروية
 على قافيتها . وسأذكرها فيما يرد من هذا الكتاب^٣ إن شاء الله تعالى^٤ .
 ١٠ حدثني محمد بن طاهر الإخيمى قال : لما كمل نظم هذه المروية
 كتبها بخط [١٩١ : الف] حسن ، ومضيت بها إلى الأمير الأتابكى
 يلبغا الخاسكى ، فاستأذنته^٥ في قراءتها ليسمعها^٦ ، فأذن لى فى ذلك .

(١) فى بن : بالهنى .

(٢-٢) فى بن : فيه لمخلوق .

(٣-٣) وردت الجملة فى بن بعد « وسأذكرها » . - ثم زيد فى بن
 [١٣٧ : الف - ب] : وأوطا :

خطر فاجأ الوردى لما خطر أودت الناس الرزايا والخطر

قال المؤلف رحمه الله تعالى حدثني ابو عبد الله محمد بن طاهر الإخيمى - الخ .

(٤) زيد فى بن [١٣٧ : ب] : التى أوطا حادث حل أرى العبر .

(٥) فى بن : استأذنته .

(٦) فى بن : لمجلس حضرته .

فقرأتها بمجلسه ١ ، فاهتز لها وبكى ٢ هو ومن كان حاضرا بمجلسه ، فلما فرغت من قراءتها أخذها ، فكانت سببا لقوة عزمه واجتهاده في عمارة ٣ المراكب الحربية ٤ وعمل الأسلحة المنكية - انتهى كلامه .

[عمارة الاسطول المصرى للغزو الفرنج]

ثم إن الأمير ١ يلينا جدّ في عمارة المراكب الحربية بمصر والشام ، ٥
 فجهز منها مائة وخمسين مركبا ، منها طرائد للخيل ، وشوانى للغزو .
 فلما كملت ٤ المراكب المصرية ٥ ، وكانت مائة مركب ، أشحنها بالرجال
 والابطال ، والأسلحة الثقالة ، وأمر الغزّ أن تلبس الزرد النضيد ،
 ومصفحات الحديد ، بالبر فلبستها ، وتسليحت بأسلحتها ، وركبت خيولها
 والغز جمع غاز . ٦ ثم جذفت المراكب في النيل ، وتبعتها الغزّ بشاطئته ٦ ، ١٠
 فصار الجيشان ٧ البحرى والبرى ، كما قال ابن الفارض ٨ في قصيدته الثائية ٨ :

(١) ساقطه من بن .

(٢) في بن : وبكا .

(٣) زيد في بر : بمصر والشام فجهز منها . - ثم شطبت الجملة لورودها فيما
 بعد بالنص .

(٤) زيد في بن : عمارة .

(٥) في بن : التى بنيل مصر .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في بر : الجيشين . - وفي بن : الجيش البرى والبحرى .

(٨-٨) ساقطه من بر و واردة في بن .

و تنظر الجيشين^١ في البر مرة وفي البحر تجرى الفلك في كل لجة
لباسهم نسج الحديد ليأسهم^٢ وهم في حِمى حدى ظبا وأسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس على فرس أو راجل رب رجلة
من ضارب بالبيض فتكاً وطاعن بسمر القنا العسالة السّمهرية
ثم إن الأمير يلغا أمر باحضار رسل صاحب الكيتلان، لينظروا
الجيشين^٣ الذين^٤ هم كالنسور والعقبان، والاسد والغيلان. وكانوا
إذ ذا^٥ قد^٦ قدموا بسبب الصلح، وزعموا أنهم لم يكونوا اظهروا القبرسى
على المسلمين، ولا حضر أحد منهم وقعة الإسكندرية. فلما حضروا
نظروا^٧ لتلك المراكب الحرية، وإلى ما فيها من الهمم العلية، ورأوا
١٠ تلك الجنود، التي هي كالودود، قد تهيأت للقتال، والحرب والنزال،
وقد جذفت^٨ تلك الطرائد والغربان، الشبيهة^٩ لالوان طيور^{١٠} الغربان
يبحر النيل حادرة وصاعدة، توّد لو أنها حينئذ لجزيرة قبرس قاصدة،

(١) في بن : للجيش .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : الجيشان .

(٤) في بن : اللذان .

(٥) في بن : ذاك .

(٦) في بن : ونظروا .

(٧-٧) في بن : وجذفت .

(٨-٨) في بن : لونا بطيور .

بعد أن سترت جوانبها بالطوارق المدهونه ، و ياطنها الأسلحة
المسنونة ، و قد صارت برجال الحرب^١ مشحونة ، و الأعلام بالرياح
تخفق ، و الأبواق تزعق ،^٢ و الطبول تضرب ، و النفط بناره ملتهب ،
و قد زمرت الزمور ، و تهيأت الأمور ، لقتال كل عالج كفور^٣ . و قد
اجتمع لرؤية تلك المراكب^٤ من الخلائق الألف^٥ ، صاروا على شاطئ
النيل^٦ صفوف صفوف^٧ ، ينظرون لتلك المراكب التي صارت من
أعجب المعائب ، و القياد^٨ بمجاذيفها تجذف ، تارة تستقيم في جرياتها
و تارة [١٩١ : ب] تنحرف . و قد صارت تلك المراكب من خفة
دورانها ، كاللوالب ، و هي تنجلي كالعرائس بزيتها التي حكمت انتشار
أجنحة الطواويس ، و قد صارت كما قال بعضهم^٩ :

١٠
لله يوما بشاطئ النيل مبتهجا تبدو الشواني فيه كالكراديس
تراهم طالعين النيل في قرن و نازلين به مثل القواديس
كأنهم و سيوف النصر تقدمهم و قد تحلّوا بأنواع الملايس
غربان بيّن على الأعداء تفرقهم لكنهم يئنا مثل الطواويس
و كما قال بعضهم أيضا :

١٥
إذا زينوا ظهر الغراب بعدة غدا بازيا يُصمى الطريدة أشبا

(١) زيد في بن : الشجبان .

(٢-٢) في بن : و المزامير ترمز وللأبطال بأصواتها و الطبول تضرب ، و النفط
بشراره ملتهب .

(٣-٣) في بن : أوف أوف .

(٤-٤) في بن : صفوف . غير مكررة ، و صحتها صفوفا تركناها كما هي للسجع .

(٥) في بن : و القواد .

(١) في بن : الشاعر الماهر .

وقد كان في جوف الصناعة حيّة فعاد بظهر البحر بالجذف عقرباً
ف عند ذلك انخلت قلوب ١ الكيتلان من رؤية ٢ المراكب الحربية ،
التي عمرت بسبب أخذ ثأر ٣ الإسكندرية ، وسرعة عمارتها في عام
واحد ، فتحققوا أن يلبغا لإخرا ب قبرس ٤ قاصد ، وقالوا : ما في الممالك
ه مثل ملكة هذا الوادي ، الذي حلاوة مائة يروي ظمأ الصادي ، ويزول
برؤيته عن العين الرمد ، وهو يجرى بالذهب والعسجد ٥ .

حدود مصر

وقد ذكر من له معرفة بالمساحة أن ٣ وادي مصر حده من
العريش إلى أرض برقة ٦ . قال الشاعر :

١٠ سقى واديا بين العريش و برقة من الغيث هطال الشايب هتآن
وحى النسيم الرطب منى إذا سرى هُنالك أوطانا إذا قيل أوطان
بلاد إذا ما جتتها جئت جنة لعينيك فيها كل ما درت رضوان
تخيل لي الأشواق أن تراها وحباءها ٧ مسك يقوح وعقيان

(١) زيد في بن [١٣٨ : الف] : رسل صاحب .

(٢) زيد في بن : تلك .

(٣) ساقطة من بر و واددة في بن .

(٤) زيد في بن : سائر الجزيرة .

(٥-٥) في بن : ويجرى ديم (كذا) بئر العسجد .

(٦) زيد في بن : ولذلك .

(٧) في الأصلين : وحباءها .

العقيان الذهب او كذلك العسجد^١ . و لبعضهم في وادى مصر :
 واد به أهل الحبيب نزول حيا معاها الحيا والنيل^٢
 واد يفوح المسك من جنباته و يصح^٣ منه للتسيم^٤ عليل
 في مصر النيل

و لبعضهم في مصر و النيل تورية ، و التورية إظهار شيء يكون ه
 المراد به^٥ غيره يخفيه :

كأن لمصر^٦ ميرة بالنيل مذ ولى خلت
 كائنه بعلى^٧ لها و بعده ترممت
 أى ينزل النيل انقطعت الميرة التى تأتى بها^٨ المراكب الكبار المعروفة
 بالدرامين - وأحدها درموة -^٩ يحملونها سائر الحبوب^{١٠} من صعيد
 مصر و^{١١} تنحدر بها إليها^{١٢} . معناه كأن النيل زوج لمصر ينفق عليها من

(١-١) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٢) الكلمة مطموسة بالتروميم في بن .

(٣-٣) في بن : فيه و التسيم .

(٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) في بن : بمصر .

(٦) في بن : لها .

(٧-٧) كذا في بن ، و الجملة في بر : يحملها لها .

(٨-٨) كذا في بن و الجملة في بر : و يجريها إليها . و كلمة « تنحدر » في بن
 « تنحدر » .

حمل مراكبته الميرة إليها في أبان^١ زيادته كما ينفق [١٩٢ : الف]
 الزوج من كسبه ويحمله إلى زوجته، فإذا طلقها صارت أرملة^٢ لعدم النفقة،
 وعند تقص النيل عن مصر ترملت^٣، أى صارت رملا ناشفا لانقطاع
 عنها^٤ نفقة النيل عليها^٥، كأن زوجها الذى كانت تمتاز منه^٦ مات عنها،
 فصارت كالأرملة من النساء^٧ التى مات عنها زوجها أو طلقها، فانقطعت
 النفقة^٨ و الترمل ينطلق على الذكر و الانثى .

قال جرير من قصيدة مدح بها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز^٩ :
 هذى^{١٠} الأرامل قد قضيت حاجتها^{١١}

فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر

١٠ فالأرملة الذى لا زوجة له ، و الأرملة التى لا بعل^{١٢} لها . وقال
 ابن السكيت : الأرامل المساكين من رجال و نساء - انتهى .

(١) فى بن : أوان .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) زيد فى بن : مصر .

(٤-٤) فى بن : النيل عنها بنقصانه فى زمن احتراقه .

(٥) زيد فى بن : بنقل المراكب إليها ما يأتياها به فكأنه .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧) زيد فى بن : رضى الله عنه .

(٨) فى بن : حاذى .

(٩) فى بن : حاجاتها .

(١٠) فى بن : زوج .

نعود^٢ فلنذكر الآن ما قيل في روضة مصر^٢، أما جزيرة مصر التي
تسمى الروضة^٢ جهتها القبليّة تواجه مصر و جهتها البحرية تواجه بلد
وسيم . قال علي بن عبد الله القصرى فيها :

ذات وجهين فيها قُسم الحسنُ فأصبحت بها القلوب تهيمُ
ذا بلى مصر فهو مصر وهذا يتولى وسيم فهو وسيم ٥
قد أعارت عصر التصابي صباحا : أبادت فيها الغيوم الغيوم^٣
ولبعضهم^٤ في جزيرة^٥ الروضة المذكورة :

وروضة مُحسن لا يُرى^٦ مثل حسنها^٦ مساكنها مثل النجوم تلالا
أُتاهها عباب النيل من بعد غايته كزائر مشغوف يريد وصالا
فعانقها من فرط شوق لُحسنها . ومد يميننا نحوها وشمالا ١٠
^٧ فلنذكر ما قيل في أرض مصر^٧ عن كعب الأحبار أنه قال : من أراد
أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى^٨ مصر إذا أخرفت و إذا أزهرت و إذا

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) العبارة هنا ساقطة من بر، و واردة في بن، وقد جاءت بعد « وسيم » في بر.

(٣) في بر : الغيوم . و صحتها ظاهرة في بن ولو أن الكلمة مطموسة جزئيا بها.

(٤) في بن : و قال بعضهم.

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن : قط مثلها .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٨) زيد في بن : أرض .

انطردت أنهارها ، و تدلت ثمارها ، وقاض خيرها ، و غنى طيرها ، بفتون
الآلحان ، على الأغصان ، حين هبت نسائم الأشجار ، على رياض
الآزهار : تسبح بحمد ربها الملك القهار . و لله در القائل حيث يقول
في حامة تغرد ٢ .

ربّ ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت ألفا ودهرا صالحا فبكت ٣ حزنا فزادت حزني
فبكائي ربما أرقها وبكائها ربما أرقني
فاذا تسعدني أسعدها وإذا أسعدني تسعدني
وإذا تشكو فما أفهمها وإذا أشكو فما تفهمني
١٠ غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفني
[١٩٢:ب] يا نديمي صف معاني حسنهم فمعاني حسنهم يطربني
وإذا ما لاح من حبههم بارق في سحر فأذكرني
ذلك الوادى و أيام مئى ما أحيا ذكرها في أذن

ع عبد الله بن عمر قال قال : من أراد أن ينظر إلى الفردوس
١٥ فليُنظر إلى مصر حين يخضر زرعها ، و يزهر ربيعها ، و تكتسى بالنوار

(١) زيد بن : عيدان .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٣) في بن [١٣٨ : ب] : فبكيت .

(٤) في بن : اشكو .

(٥) في بن : تشكو .

(٦) كذا في بن ، وهى في بر : بالنور .

أشجارها . قال الصنوبرى يصف فصل الربيع وزهرته :

ما الدهر إلا ١ الربيع المستنير إذا جاء الربيع أنار النور و النور
فالارض ياقوته و الجو لؤلؤة و النبت فيروزج ٢ و الماء بلور
من شم ريح ٣ رياحين الربيع ٣ يقل ما المسك مسك ولا الكافور كافور
و قال الصنوبرى فى المسك و الطيب و المهاداة بهما ٤ :

الطيب يهدى و يستهدى طرائفه وأشرف الناس يهدى أشرف الطيب
والمسك أشبه شيء ٥ بالشباب فهب ٦ شبه الشباب لبعض العصبة الشيب
و الربيع ٧ يكون فيه الغيم و الصحو كما ٨ قال الشاعر :

اليوم يعذب ورد فيه تكدير و يستفيق من الهجران مهجور
يوم أتاك من الأيام ذى قصر و ما به من مدا ٩ اللدات تقصير ١٠

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) كذا فى بن ، و فى بر : فيروزجة .

(٣-٣) كذا فى بن ، و هى فى بر : الرياحين .

(٤) كذا فى بن ، و فى بر : به .

(٥) فى بن : اطيب .

(٦-٦) فى بن بالشبا هو .

(٧) فى بن : الربيع - بسقوط و او العطف .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) فى بن : مدى .

١ صحو وغيم يروق العين حسنهما فالصحو فيروزج و الغيم سمور
 ٢ قيل: إن مداومة النظر للسمور يقوى النظر . و السمور^٢ هو الفرو
 الذى تجعل^٣ منه تجار الأعاجم رقابا لفراجيهم .
 و بصعيد مصر بلد^٤ يقال لها أسيوط . ذكر أنه صور للرشيد
 ٥ الدنيا فما استحسن منها غير . عمل أسيوط . فان مساحته ثلاثون ألف
 فدان فى دست واحد . و لو قطرت فيه قطرة ماء فاضت على جوانبه ،
 بيدر فيه جميع الحبوب فلا يكون على الأرض بساط أعجب منه . من
 جانبه^٦ الغربى جبل أبيض على صورة الطيلسان ، و يحيط به من جانبه
 الشرقى النيل ، كأنه جدول فضة لا يسمع فيه الكلام من شدة أصوات
 ١٠ الطير . قال الشاعر فيه :

لله يوما فى سيوط و ليلة قط الزمان بأختها لا يغلط
 بتنا و عمر^٧ الليل فى غلوائه و له بنور البدر فرع أشمط
 و الطل فى سلك الغصون يثؤلؤ رطب يصافحه النسيم فيسقط
 فالطير يقرأ و الغدير صحيفة و الريح يكتب و الغمام ينقط

(١) فى هامش بر : اسيوط .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : يتخذ .

(٤) فى بر : بلدا .

(٥) فى بن : دون .

(٦) فى بن : جانب .

(٧) فى بن : عمل .

و قال بعضهم في روضة يانعة نزل هو وأصحابه بها في يوم غيم :
 [١٩٣: الف] ولقد نزلت بروضة حزينة رتعت نواظرنا بها و الانفس
 فجعلت أعجب من تناهى حسنها و المسك من جنباتها يتنفس
 و لبعضهم في خليج مصر :

لم أنس يوما بالخليج و ليلة أفنيت فيها من عفا في ما بقى
 و الليل بحر مزيد بنجومه و السحب موج والهلل كزورق
 ٥
 ٢ و لبعضهم في نيل مصر :

يوما لنا بالنيل محتضر و لكل وقت مرة قصر
 و السفن تعلو كالخيول لنا فيه و جيش الماء منحدر
 فكأنما أمواجه عكن و كأنما داراته سرر
 ١٠
 و لبعضهم في بركة ماء :

ولقد طربت على محاسن بركة زرقاء نحسبها مذهب الجواهر
 قد كللت جنباتها ٣ بريعتها تفقد الأبصار بهجة منظر

(١) في بن : جزيرة .

(٢) هذا القسم من النص إلى « كتب عمر بن الخطاب » ساقط من بر، ووارد

في بن [١٣٨ : ب - ١٣٩ : الف] فأدخلناه في النص .

(٣) الكلمة غير واضحة و قد تكون كما أوردناه في النص و ينتظم بها ميزان
 البيت ومعناه .

(٤) في الأصل : فقطد . بنقص في النقط ، وجائز أن تكون كما أوردناه بالنص .

فكأنما المرأة في تدويرها قد طوّقوها طوق شمع أخضر

[بن ١٣٩ : الف] و لبعضهم في جداول ماء :

وجداول كأرقام حسابها كبطونها و حباياها كالأظهر

الجدول واحدا جدول ، و الأرقام واحدا أرقام و هم الثعابين .

و لبعضهم في جدول هب عليه النسيم و مالت عليه الغصون :

و جدول ترد الأغصان سلسله كورد ظمآن لم يصددا

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص و هو

والى على مصر : إن أرضك واسعة رفيعة و قد أعطى^٢ الله^٢ أهلها جَلَدًا

و قوة في بر و بحر و عابقتها الفراعة و عملوا فيها محلا محكما مع شدة

١٠ عتوهم ، فكتب لى بصفة أرض مصر حتى كأنى أنظر إليها ، و السلام .

فكتب إليه عمرو : إن أرض مصر تربة سوداء ، و شجرة خضراء ،

بين جبل أغبر ، و رمل أعمر ، و خطها مسيرة راكب شهر ، كأنها

بين جبلها و رملها بطن أق ،^٤ أو ظهر أجب^٤ بها نهر مبارك يسيل

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الذى أوردناه بالنص من بن لطايحه الأدبى ما عدا الجملة

أو البيت الآتى الذى اقتصرنا فى تسجيله على الهامش لما احتواه من خيل واضح

و هو كما يلى دون تحريف عن الأصل :

إذا وردا مالت عليه تريك الطعن سرعة فالبسته الصبا من صنعها وردا

بعدئذ يستأنف الكلام من بر .

(٢) فى الأصول : أعطى .

(٣) زيد فى بن : تعالى .

(٤-٤) فى بن : و ظهر أحذب .

بالذهب على الزيادة و النقصان كمجاري الشمس و القمر ، تمده عيون^١
الأرض و ينابيعها مأمورة بذلك حتى إذا زاد نيلها و اعلولا عبايه
فكان القرى عما أحاط بها لا يوصل من بعضها إلى بعض إلا في السفن
و الزوارق^٢ . ثم لا يلبث إلا قليلا حتى تنقص جريته ، وتستبين متون
أرضه^٣ . ثم تنتشر فيه أمة محصورة قد رزقوا على أرضهم جلداً و قوة .^٥
فبذروا فيها من^٤ الحب ، ما يرجون به النماء من الشرب ، حتى تبدو^٥
طوالعه ، و تظهر قنواته ، يسقيه من تحته مدرة سوداء ، إذا^٦ هي نجمة
زرقاء ، ثم غوطة خضراء ، ثم ديباجة رقشاء ، ثم فضة يضاء . فتبارك الله
أحسن الخالقين .

و وصف بعض الحكماء^٧ مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة يضاء ،^{١٠}
و ثلاثة أشهر مسكة سوداء ، و ثلاثة أشهر زمردة خضراء ، و ثلاثة
أشهر سيكة ذهب حمراء . فأما اللؤلؤة البيضاء فان أرض مصر في شهر
أيب و مسرى و توت يركبها النيل فترى الدنيا يضاء و ضياعها على

(١) في بن : العيون .

(٢) في بن : و زواريق .

(٣) في بن : الأرض .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : تبدو .

(٦) في بن : إذ .

(٧) انظر « مروج الذهب » للسعودي ج ٢ ص ٣٥٦ .

روابي و تلال مثل الكواكب وقد أحاطت بها المياه من كل وجه فلا
 سبيل لبعض إلى بعض إلا في الزوارق . و أما المسكة السوداء فان في
 شهر بابه [و هاتور و كيهك - ١] يكشف الماء عنها و ينصب عن أرضها
 فتصير أرضها سوداء و فيها تقسع الزراعات و للأرض روائح طيبة
 ٥ تشبه روائح المسك ٣ . و أما الزمردة الخضراء فان في شهر طوبه
 و أمشير و برمها تلمع ٤ و يكثر عشبها و نباتها فتصير الأرض خضراء
 كالزمردة . و أما السبيكة الحمراء فان شهر برمودة و بشنس و بؤولة
 يبيض الزرع و يتورد [١٩٣ : ب] العشب و هو سبيكة ٦ الذهب منظرا
 و منفعة . فتبارك الله أحسن الخالقين .

١٠ و وصف بعضهم مصر فقال : نيلها عجب ، و أرضها ذهب ، و هي
 لمن غلب . و نهرها النيل من سادات الانهار ، و أشرف ٧ البحار ، لانه
 يخرج من الجنة .

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصول ، و لا بد منه لاكتمال العبارة .

(٢) في بن : رائحة .

(٣) في بن : المسكة .

(٤) في بن : و تلمع .

(٥) في بن : أرضها .

(٦) في بن : كسبيكة .

(٧) في بن : و أسرات .

- أقال المؤلف رحمه الله تعالى : وقفت على كتاب الحيوان لأرسطاطاليس
 فرأيت فيه ذكر فيه كل شيء (يتبع) فمن ٢ يتولد من عفونته الحيوان ، ولهذا
 صار ما يتولد من الدود و الفأر ٣ و الثعابين و العقارب و الزناير
 و الذباب و غيرها بأرض مصر شيء كثير ، فقد استبان أن المزاج الغالب
 على أرض مصر الحرارة و الرطوبة الفضلية و أنها ذات أجزاء كثيرة ه
 و أن هواءها و ماءها ريان ٤ . وقفت في كتاب حيلة البرء لجالينوس
 في دفع مضار الابدان بمصر للشيخ الحكيم علي بن رضوان بن جعفر
 المصري رأيت فيه ذكر فيه أن السكنى بمصر ينبغي أن تؤثر [على - ٥] غيرها لأن
 المضار التي تعرض للابدان فيها يمكن زوالها لأن شرور ٦ أنفس المصريين
 سريعة القبول للعلاج لأن شرورهم ٦ ضعيفة غير مستعصية ٧ ، و جعل هذا ١٠
 [١٣٩ : بن باء] الكتاب خمسة عشر بابا ، الأول في صفة أرض مصر ،
 الثاني في اختلاف هواء مصر و ما يتولد فيها ، الثالث في الأسباب المحيطة
 بالصحة و المرض بأرض مصر ، الرابع في فصول الستة بأرض مصر ،
- (١) هذا الجزء من هنا إلى « و روى ابن عباس » ساقط من بر ، و أخذناه عن
 بن [بن ١٣٩ : الف - ب] . (٢) الكلمة مطموسة جزئيا في الأصل .
 (٣) في الأصل : النار - و هو خطأ قلبي أحللتنا فيه الفاء محل النون .
 (٤) كذا في الأصل ، و تتلوها كلمة « يم » وهي زائدة و غير مفهومة فتجاوزنا
 عن ذكرها .
 (٥) ساقطة من الأصل ، و لزومها واضح لاستقامة السياق .
 (٦) و ربما كان المقصود بالكلمة المساوي بمعنى الأمراض .
 (٧) في الأصل : مستعصية ، و واضح أنها خطأ قلبي .

الخامس في أن أكثر ما قاله ابن الجزار الحكيم من أسباب مرض مصر ليس بصحيح ، السادس في اختصاص المدينة اليوم بمصر و هوائها وجميع أحوالها ، السابع في الوقوف على أسباب الوباء ، الثامن في شرح أمر الأسباب ، التاسع في حفظ الصحة و مداواة الأمراض ، العاشر فيما ينبغي للطبيب أن يفعله في الأبدان بأرض مصر ، الحادى عشر في تدبير الأبدان بمصر ، الثانى عشر فيما يصلح رداة الهواء و الماء و الغذاء بأرض مصر ، الرابع عشر فى نسخ أدوية تستعمل فى دفع المضار و حفظ الأبدان ، الخامس عشر فى أنه ينبغى أن تختار السكنى بمصر و إن كانت تفعل فى الأبدان رداة فان قيل إن أسعار مصر مرتفعة فالجواب أن المكاسب فيها كثيرة و أيضا فان أرض مصر قليلة الفتن و الحروب لسكون أنفسهم إلى من يسوسهم و ضعفهم عن الجهاد - انتهى .

[فى الخمسة الأنهار]

فلنذكر الآن ما قيل فى الخمسة الأنهار ٢ . روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنزل الله من الجنة خمسة أنهار ، ١٥ سيحون و جيحون و دجلة و الفرات و النيل ، و النيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فى أسفل درجة من درجاتها ، فاستودعها الجبال و أجراها فى الأرض .

(١) يلاحظ أن الكاتب ذكر « الرابع عشر » بعد « الثانى عشر » مباشرة فهو إما خطأ فى التوالى أو سقط منه « الباب الثالث عشر » سهوا .
(٢) ها ينتهى القسم الذى أخذناه عن بن لسقوطه من بر حيث يستأنف الكلام فيه بعد ذلك .

قال المسعودي^١ في تاريخه^٢: فأما سيحون^٣ فهو نهر أدنة^٤ ومخرجه من نحو ثلاثة أميال^٥ من مدينة^٦ ملطية ويجرى في بلاد الروم ويصب في البحر الرومي. وأما جيحون^٧ فهو نهر المصيصة وهو من أعين تجرى في بلاد السرمند حتى يأتي بلاد خوارزم وغيرها ويستمر جريه إلى بلخ وهو يصب في البحر الرومي. وأما الفرات^٨ فبدؤه^٩ من بلاد قالى قلا^{١٠} من ثغور أرمينية ومصبه في دجلة. وأما الدجلة^{١١} فانها تخرج من بلاد آمد من ديار بكر وينتهي^{١٢} جريانها^{١٣} إلى تكريت وسامرا وبغداد ومصبها في^{١٤} البطائح. قال بعضهم في ضوء الهلال في ماء دجلة: وكان دجلة حين ألتقى^{١٥} ضوءه ما بين جسرهما الهلال الغارب

(١) انظر «مروج الذهب» ج ٢ ص ٣٥٨.

(٢-٢) ساقطة من بر، و واردة في بن.

(٣) في هامش بر: سيحون.

(٤) في بن: أدنه.

(٥-٥) في بن: بمدينة.

(٦) وأيضا في هامش بر: جيحون.

(٧) وأيضا في هامش بر: الفرات.

(٨) في بر: فبدأؤه، وفي بن: فبدأوه.

(٩) في هامش بر: الدجلة.

(١٠) عن بن، وفي بر: تنتهى.

(١١) في بن: جريها.

(١٢) في بن: من.

(١٣) في بن: القا.

دَرَجُ كَتَبْن به ثلاثة أسطر ومداد أسطرهن تبر ذائب
 ولبعضهم مواليا في القمر وقد ألقى ٢ جرمه في الماء :
 لما بدا البدر شبه النقدة الغضة ٣ كسوسته عطرة في نرجسة غضة
 عاينت أنواره في الماء منقضة سيل ٤ من التبر ٥ يلعب في سمك فضة
 ٥ وأما النيل ٦ فان منبعه من تحت جبل القمر من اثني عشرة عينا
 فتجتمع في بحيرتين كالبطائح ٧ ، ثم تتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار
 تجتمع مع جميعها إلى بطيحة ، فيخرج من هذه البطيحة نيل مصر .
 ثم ينبعث بين رمال و جبال ، ثم يخترق ٨ أرض السودان مما يلي بلاد
 الزنج ويطوف ٩ بأرض النوبة و يأتي إلى بلاد أسوان فيقطع النيل الصعيد
 ١٠ ثم يمر ١ بفسطاط مصر ثم ١١ بأرض الفيوم .

[الفيوم]

١١ وقيل : إن الفيوم ١٢ عمر في ألف يوم ، فلذلك قيل له الفيوم .

- (١) في بن : درجا .
- (٢) في بن : القا .
- (٣) في الأصل بر : النضة . و هو خطأ قلبي صحته من بن .
- (٤ - ٤) في بن : شمس القبر .
- (٥) في هامش بر : النيل .
- (٦) في بن : كالبطائح .
- (٧) في بن : يخترق .
- (٨) في الأصلين : و يطيف .
- (٩) ساقطة من بن .
- (١٠) زيد في بن : يمر .
- (١١) هذا القسم (الفيوم) بكامله ساقط من بن .
- (١٢) في هامش بر أيضا : الفيوم .

وقيل إن بنت فرعون كانت تنزل بلدا به يقال شأنه ، و حجر اللاهون
من بناء يوسف الصديق عمره بالوحي . وكانت ملوك فارس تأتي إليه
لتبصره لأنه بنى بالحكمة . وللقيوم أخبار عجيبة . من أراد الوقوف عليها
فليطالع كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله القرطبي .

[فروع النيل]

نعود^١ ، ثم يمر النيل هابطا^٢ فينقسم خليجانا إلى أرض تنيس
و دمياط و إلى الاسكندرية [١٩٤ : الف] كل يصب في البحر الرومي
مذبي^٣ الاسكندر^٤ الاسكندرية ، فيتصل بأسواقها ، ويمر^٥ في سككها
وقد بلطت مجاريه بالمرمر . ثم صار النيل الآن^٦ منهم على نحو يوم ،
وصار شريهم من الآبار المسرّة التي يأتي إليها النيل من خليجها^٧ ، فتلا^٨
منها^٩ صهاريجها التي بديارها و شوارعها . و النيل يتشعب دون^{١٠} فسطاط
مصر شعبتين ، فتصير شعبة إلى رشيد بالقرب من الإسكندرية ، و تصير

(١) من هنا يستألف الكلام في بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : بنا .

(٤) في بن : الاسكندرية . مكررة بدل الاسكندر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، و « من خليجها » ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : فتمل .

(٨) في بن : مه .

شعبة أخرى إلى دمياط . و النيل إذا زاد غاضت له الأنهار و العيون
و الآبار ، و إذا ^١ غاض زادت ^٢ ، فزيادتها ^٣ من غيضة و غيضا من
زيادته . و كل نهر في الأرض مخالف للنيل لأنه يستقبل الشمس .
قال الشاعر :

مصر ومصر شأنها عجيب و نيلها تجري به الجنوب
و قال بعضهم يتشوق لأحبابه :

ان رام غير حاكم أو ألم به أو راق في سمعه من غيركم قيل
أوبات يرعى ^٤ جمالا غير حسنكم فلا سقاء على حر الظما نيل

و اختلف الناس في الأنهار ^٥ فقالوا : إنها كالعروق في البدن ، و قال

١٠ آخرون : حق الماء أن يكون على سطح [الأرض ^٦] . فلما اختلفت الأرض
فكان منها العالي ^٧ و الهابط ، انحاز الماء إلى أعماق الأرض ، فلما انحصر

(١) في بن : فاذا .

(٢) في بر : زاد . و صحتها من بن .

(٣) في بن : فريدها .

(٤) في بن . كل .

(٥) في بن [١٤٠ : الف] وشأنها .

(٦) في بر : يرعا .

(٧) في هامش بر : الأنهار .

(٨) ساقطة من الأصلين ، ولزومها واضح من السياق .

(٩) في بر : العال . و صحتها من بن .

في الأعماق طلبت التنفس بضغط الأرض من أسفل ، فتنبثق حيثئذ
عيونا وأنهارا .

[فيضان النيل والمقياس]

وليس في الأرض نهر يزيد و ينقص بترتيب غير النيل ^١ . وإذا
أردت أن ^٢ تعلم عيار النيل فاحسب من يوم عيد ميكائيل وهو ثاني
عشر بؤونه ^٣ كم يكون في الشهر العربي من يوم وزد فوقه تسعين يوما ،
وخذ سدس الجميع ^٤ يكون ذلك * عدة أذرع النيل ^٥ في تلك السنة .
وفي سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة نودى على النيل بمصر سنة أصابع
من ذراع العشرين ، ثم سكت المتأدى بعد ذلك عن ذكر الزيادة ،
و صار يقول كل يوم : يا قوم اتقوا الله من الجبل الى الجبل ^٦ . وقيل ^٧
إن في بعض السنين زاد النيل عن ذراع العشرين فهدم بتلك الزيادة

(١) في هامش بر : زيادة النيل .

(٢) زيد في بن : ان .

(٣) في بن : بؤنه .

(٤) في هامش بر : مطلب ، قاعدة يُعلم منها زيادة النيل كل سنة و مقدار أذرع .

(٥) في بن : تلك . و قد زيد عليها هنا ما يلي : الأيام التي هي سدس الدد
المذكور .

(٦) في بن من .

(٧) زيد في بن : ولا ينطق بزيادة أصلا .

المظيمة رباطا وديارا بمصر والقاهرة^١ و البلاد^٢ .
 حدثني رجل من أهل إيبار قال : كان بها رجل عنده في تلك
 السنة من القمح ثلاث مائة^٣ اردبا مخزونا^٤ بداره ، فسئل أن يبيعها
 للناس حين غلاء الحب^٥ ، فلم يرض و طلب^٥ الزيادة^٦ في السعر الواقع^٦ .
 ه فلما زاد^٧ النيل احتاط الماء^٨ بتلك الدار^٩ و دخلها ، فأنحل طوبها اللبن^{١٠} ،
 فوقعت و أخذ الماء القمح الذي بها و مضى به^{١١} ، فلم ينتفع صاحبه منه
 بثمان قدح واحد مع سقوط داره .^{١٢} و كان المسكين طلب الزيادة فوقع
 في كفه الخسران ، فالشفقة على خلق الله تعظيما لأمر الله فبعدم شفقتة
 لم ينظر الله له برحمته و أراهم فيه عبرته^{١٣} .

(١) زيد في بن : التي نفضه النيل .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٤) في بن : اردب مخزونة .

(٤) زيد في بن : قيل و ماء النيل ستة عشر ذراعا .

(٥) زيد في بن : فيها .

(٦-٦) في بن : عن ذلك السعر العالي .

(٧) عن بن ، و في بر : على .

(٨) عن بن ، و كلمة « الماء » ساقطة من بر .

(٩) زيد في بن : التي فيها القمح المخزون .

(١٠) زيد في بن : بالماء .

(١١) زيد في بن : عائما على وجهه .

(١٢-١٢) واردة في بن ، و ساقطة من بر .

قال المسعودى فى كتاب ' مروج الذهب و معادن الجواهر ' ،
 إن النيل [١٩٤ : ب] فى خلافة^٢ عمر بن عبد العزيز^٣ وصل عدة
 أذرع فى عمود المقياس بمصر ثمانية عشر ذراعا ، فتعجب الناس من
 تلك الزيادة العظيمة^٤ . وهذا يدل على أنه كان مقصرا عن هذه الزيادة
 فى السنين الماضية حتى حصل التعجب منه وأرّخ^٥ . وفى سنة خمس^٥
 وسبعين و سبعمائة قصر النيل عن ذراع ستة عشر فحصل بالديار المصرية
 فى تلك السنة^٦ غلاء حتى وصل^٧ القمح بالإسكندرية^٨ ثلاثمائة سودا
 بدراهمها و الخبز كل رطل جروى بدرهم ونصف و ثمن أسود بدراهمها
 و الرطل الجروى زنة ثلاثمائة و اثنى عشر درهما^٩ ، و ازداد سعر الحبوب
 كلها و حصل للناس الضرر الكبير بذلك ، و كذلك سائر بلاد مصر^{١٠}
 حصل بها الغلاء ، و حصل لخزان القمح فى تلك السنة فوائد كثيرة
 فيه . ولم يزرع بأرض مصر إلا الأماكن المنخفضة ، و العلاوى التى

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : أمير المؤمنين .

(٣) الخليفة الأموى و حكمه ٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م .

(٤) زيد فى بن : حتى كتبت فى التواريخ .

(٥) كذا فى بن ، وهى فى بر : وورخ .

(٦) زيد فى بن : و السنة التى بعدها .

(٧) فى بن : وصل ثمن .

(٨-٨) كذا فى بن ، و العبارة أوفى من بر حيث نصها : بالورق مائة و ستين

الأردب و الخبز بدرهم أسود الرطل الجروى .

لم يركبها الماء شرقاً^١ كلها وجاءت الصعاليك ووقع فيهم الفناء فماتوا
جوعاً إلى أن تداركهم الله عزّ وجلّ برحمته في ستة سبوع و سبعين و سبعمائة
بلغ النيل فيها^٢ ثمانية عشر ذراعاً فانحط السعر كثيراً^٣ - انتهى .

[النهر في اللغة و الأدب]

٥ ٣ نعود الى ما قيل في الأنهار^٤ . النهر مفرد و الجمع نُهر و أنهار .
و يقال أن النهار^٥ يجمع على النُهر ، واستنهر النهر إذا أخذ مجراه ،
و أنهرت الدم أسلته ، و أنهر الماء جرى ، و نُهر نَهر * كثير الماء * .
قال الشاعر .

أقامت به فابتنت خيمة على قصب و فراتٍ نُهر

١٠ و نَهَرْتُ الرجل و انتهرته مِثْل زجرته ، و النهار ما بين طلوع الفجر
إلى غروب الشمس ، و رجل نَهر صاحب نهار . قال الشاعر .
و قد لبس النهر الدروع توقياً مخافة رعى القطر من سحبه نبلا
و لبعضهم فيه^٦ .

و النهر سلسلة النسيم أظنه لم يستطيع^٧ الرقص صار يصفق

(١-١) إوردت العبارة في بن ، و سقطت من بر .

(٢) في الأصل : فيه .

(٣-٣) في بن : فلنذكر الآن الأنهار و ما قيل فيها .

(٤) في بن : انهار .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) كذا في الأصلين ، و ربما كان صوابها : ما يستطيع .

١ ولبعضهم :

والنهر قد رقت غلالة صيفه وعليه من ذهب الأصيل طراز
تترقق الأمواج فيه كأنما عكن الحصور نعيمها الإعجاز
وبما قيل في النهر و يوم الغيم :

والجو بين تغيم وتخميم وتبسم وتنسم وتستر
والنهر بين تفجر وتموج وتلجج وتلجلج وتكسر
ولبعضهم في غدير ماء :

وفي صفو رقراق الغدير إذا حكي وقد جعدته الريح ٣ صفحة مبرد
ونهر النيل يتكدر في الزيادة و يصفو في النقل . قال الشاعر :
أما ترى النيل يصفو في تنقصه * وما تكدر إلا في الزيادات ١٠
وقال الآخر في معناه :

والخِ كالماء يبدي لى ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
أى إذا صافاك خليلك أظهر ما عنده ، و إذا داجاك ٦ أخفاه كالماء
إذا صفا رؤى ما تحته و إذا تكدر خفى .

(١-١) البيتان واردان في بن ، و ساقطان من بر .

(٢) في بن : رقرق .

(٣) في بر : النيل . و الأصح جاء في بن كما في النص .

(٤) في بن : نهر - بسقوط و او العطف .

(٥) في بن : نقصه .

(٦) في بن : دجاك .

حكى أن أبا الطيب المتنبى سمع عند انصرافه من صلاة الجمعة أعمى

خارج باب الجامع يقول : واضيعة الأدب ! هذا المتنبى يقول :

و من نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد
فقال المتنبى لبعض أصحابه : سله عن ذلك و قل له فكيف ، كان يقول .

قال ٢ : كان يقول : ما من مداجاته بد ، لأن الصفاء لا يكون إلا مع

الصداقة ، و المداجاة لا تكون إلا مع العداوة ، فالعدو أبدا لا يضاف ٣

بل ليسلم بمداجاته من شره . قال بعضهم [١٩٥ : الف] في معناه ٤ :

إنه الولد المشوم ٥ ، لأنه ما منه ٦ بد ، فلا يكون خلاص الوالد منه

إلا بموته عنه .

١ وقد ٧ جاء في الخبر ، تقول المرأة لزوجها : إن لم تطعمني ٨

و إلا طلقني ٩ ، و يقول العبد لسيده : إن لم تطعمني و إلا بغى أو اعتقى ،

و يقول الولد لو الده : إلى من تتركني ؟ و ينبغي لكل واحد أن يكثر من

حمد الله و شكره في السراء و الضراء ، ففي ذلك صلاحه إذا حمده و شكره ١٠ .

(١) في بن : وكيف .

(٢) في بن : فسله فقال .

(٣) في الأصلين : بصيافا .

(٤-٤) في بن : بعض الفضلاء .

(٥) في بن : المشؤم .

(٦) في بن : من ملازمته .

(٧) في بن : فقد .

(٨) في بن : تعطني .

(٩) مطموسة في بن .

(١٠) في بن : فإن من شكر الباري عز وجل زاده من فضله و كرمه لقوله =

قال داود عليه السلام : يا رب ! كيف أشكر نعمك ؟ فأوحى الله إليه :
 إذا علمت أن النعم التي عندك هي مني ، فقد شكرتني . كتب عدى بن
 أرطاة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما حفر لأهل البصرة 'نهر
 عدى : يا أمير المؤمنين إنى حفرت لأهل البصرة 'نهرًا عُدْبَ لهم مشربه ،
 واحازت به أموالهم ، فلم أر لهم على ذلك شكرًا ، فإن رأى أمير المؤمنين ه
 أن يأذن لي فأقسم عليهم ما أنفقته على النهر . فكتب إليه عمر : إنى
 لأحسب أهل البصرة حين حفرت لهم هذا النهر خلوا من أحد ؟ قال
 الحمد لله ، و أن الله عز و حل رضى به ٣ شكرًا من أهل حنته ٥ فارض
 بها شكرًا من نهرك ، والسلام ٦ .

قال بعض العلماء ٧ : من اكترى على متاع دواب إلى موضع ، فاعترضه ١٠
 نهر في الطريق لا يحاز إلا على المركب قد عرف ذلك كالنيل ٨ وشبهه
 = تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم" ومن شكرا لله تعالى وجب عليه شكر ثان اذ
 وفقه الله لشكره و هذا شكر الشكر .

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) في بن رجل .

(٣-٣) في بن : تعالى قد .

(٤) في بن : بها .

(٥) زيد في بن : حين قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .

(٦) زيد في بن : انتهى . نعود ، [١٤١ : الف] .

(٧) في هامش بر : مسألة فقهية .

(٨) في بن : كالنهر .

أن جواز المتاع منه على صاحبها ، وإن كان يُخاض في المخاض فاعترضه حملان لم يعلوا به فحمل المتاع على صاحب الدواب . وتلك جائحة نزلت به ، وكذلك إن كان^١ النهر شتويا يحمل الأمطار إلا أن يكون وقت الكراء^٢ قد علوا جريه ، وعلى ذلك دخلوا ، فيكون كالنهر الدائم .

وقد ذكر الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل مصر ، واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه . ذكر ذلك في كتابه المترجم لكتاب^٣ الأمصار و عجائب البلدان . انتهى .

[السمك المعروف بالاول]

١٠ قال المسعودي^٤ : وبحر الزنج فيه السمك المعروف بالاول^٥ ، طول السمكة نحو^٦ من أربعمئة ذراع إلى خمس^٧ مائة ذراع بالذراع^٨ العمري ، وهو ذراع أهل ذلك^٩ البحر . والأغلب من هذا السمك طوله

(١) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٢) في بن : الكرى .

(٣) في بن : بكتاب .

(٤-٤) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٥) في بن : بالاولال .

(٦) في الأصول : نحو .

(٧) عن بن ، وفي بر : الخمس .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : ذا .

مائة ذراع . ' وربما يمد البحر فيظهر طرفا من جناحيه ، فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع ' . وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء ، فيذهب الماء في الجو أكثر من ممّ السهم . والمراكب تفزع منه بالليل والنهار ، ويضرب له بالخشب والدياباب لينفر من ذلك . ويحشر بذنبه وأجنحته السمك إلى فيه ، وقد فغر فاه ، وذلك يهوى إلى جوفه جريا ، فاذا نَغَتْ هذه السمكة بعث الله ٢ إليها سمكة نحو الذراع تسمى اللشيك ، فتلتصق بأصل أذنهما ٣ فلا يكون لها منه خلاص ، فتطلب قعور البحار وتضرب نفسها حتى [١٩٥ : ب] تموت ، فتطفو فوق الماء ، فتكون كالجبل العظيم . وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشيك بالمركب ، فلا يدنو^٤ الأوال مع عظمها من المركب ، وتهرب ١٠ إذا رأت الصغيرة منها إذ كانت آفة عليها وقاتلة لها . قال الشاعر :

لكل شيء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عايه المبرد

[التمساح وآفته]

وكذلك للتمساح^٦ آفة من دوية تكون في ساحل النيل وجزائره ،

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) ريد في بن : تعالى .

(٣) في بن : ذنبها .

(٤) في الأصليين : فتطفوا .

(٥) في الأصليين : تدنوا .

(٦) في هامش بر : التمساح .

وهو أن التماسيح لا تُدبر له وما يكون في بطنه يتكون دوداً ، فإذا أذاه ذلك خرج إلى البر فاستلقى^١ على قفاه فاغترأ فاه ، فينقض طير الماء كالطيئوى والخضاري وغيرها من أنواع الطيور ، وقد اعتادوا منه ذلك ، فتأكل ما يظهر في جوفه من ذلك الدود العظيم ، وتكون^٢ الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه ، فتشب إلى حلقه وتلج جوفه ، فيخط بنفسه الأرض ويطلب^٣ قعر النيل . ثم تخرق جوفه وتخرج^٤ ، وربما قتل نفسه قبل أن تخرج ، فتخرج بعد موته من جوفه . وهذه الدويبة تكون من ذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب . وفي بحر الزيج أنواع من السمك ذو صور شتى .

[أنهار الأندلس]

١٠

وبالأندلس من الأنهار المنصة في البحر الرومي والبحر المحيط سبعة أنهار^١ ، منها نهر قرطبة وهو المعروف بنهر ييطى^٢ ، ومساقفه ثلاثمائة ميل وعشرة أميال . نهر أنه^٣ ومخرجه بشرقي الأندلس ومصبه

(١) في بر: فاستلقا . وهي بالياء المقصورة في بن .

(٢) زيد في بن: تلك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن: منه .

(٥) في بن: أنهر .

(٦) في الأصول: نييطى ، وصحته « ييطى من الاسم القديم Baetis باللاتينية

أو Baetis باليونانية واسمه الآن Guadalquivir والعربية « الوادى الكبير » .

(٧) في الأصول: أبه ، وصحته « وادى أبه » وهو Guadiana .

في البحر المحيط باكشونيه ١ و عدة أمياله ثلاثمائة ميل و عشرون ميلا .
 نهر تاجه و مخرجه من جبال شرقى الأندلس بناحية تطيله ٢ و مصبه في
 البحر المحيط و عدة أمياله ستمائة ميل و عشرة أميال . نهر دويره ٣
 و مخرجه من جبال البريونه ٤ و مصبه في البحر المحيط بجليقية ٥ بين قلبرية ٦
 و برطفال ٧ و عدة أمياله خمسمائة ميل و ثمانون ميلا . نهر ديوييه ٨
 و هو وادى أرطه و مخرجه من جبال النش من بلاد إفريقية و عدة أمياله
 تسعمائة ميل و عشرون ميلا ، و يقال : إن هذا النهر أكبر أنهار الدنيا

(١) اكشونيه في التاريخ القديم هي Oesonoba و هي الآن Estombar في البرتغال .

(٢) في بن : قسطيله ، و قد يقصد بها طليطله و هي تقع على ذلك النهر داخل
 الأندلس .

(٣) نهر Douro أو Duero قديما Durius .

(٤) في بن [١٤١ : الف] : البرنونه ، و هي غالبا جبال Sierra deurbion في منبع
 نهر Duero .

(٥) مقاطعة Galicia - انظر حاشية سابقة ، و هي تمتد من شمال غربي الأندلس -
 إلى البرتغال و المحيط .

(٦) لا يمكن أن تكون Almeria لأنها واقعة في شرق الأندلس و لا نعرف بلدة
 بهذا الاسم عند مصب النهر في البرتغال .

(٧) المقصود بها طبعاً Portugal .

(٨) في بن : ديوييه - لم نستطع تحقيق هذا الاسم بين أنهار الأندلس ، و الغالب
 أن المؤلف يقصد نهر الدانوب باعتباره من أكبر أنهار الدنيا ، و منبعه طبعاً
 في أواسط أوروبا بما يمكن تسميته في ذلك الوقت بلاد الفرنجة .

و أكثرها ماء . نهر ابره ١ و مخرجه من جبل البينثو ٢ فوق ارنيط ٣
و مصبه في البحر الشامي ٤ القبلي بناحية طرطوشه ٥ و عدد أمياله مائتا
ميل و عشرة أميال . نهر مينوه و مخرجه من جبال انثية و مصبه في
البحر المحيط بجليقية ٦ و عدد أمياله ثلاثمائة ميل و عشرون ميلا -
٥ انتهى .

[الماء العذب و المالح]

٨ قال المؤلف غفر الله له و للسلين أجمعين ، و سأذكر ٨ الآن ما قيل

- (١) و هو نهر Ebro .
- (٢) في بن [١٤١ : ب] : بينو - و يغلب أن تكون جبال Pena Labra و هي
من الجبال المعروفة باسم Cantabrian Mts .
- (٣) ربما كانت مدينة Arnedo بمقاطعة Legrono و هي واقعة على أحد فروع
نهر الأبرو و اسمه Cidacos .
- (٤) المقصود القسم الغربي من البحر الأبيض المتوسط أي الروم آنثذ و شرقه
ينتهي إلى بلاد الشام حيث يسمى باسمها .
- (٥) مدينة Tortosa قديما Dertosa بمقاطعة Tarragona في شمال شرق
الأندلس .
- (٦) المنطقة المعروفة باسم Galicia في شمال غربي الأندلس و اسمها بالتاريخ
القديم Gallaecia .
- (٧) واردة في بن و ساقطة من بر .
- (٨-٨) في بن : فلنذكر .

في الماء العذب و المالح أيهما أثقل ، ولما من أخبار النيل إن شاء الله تعالى . قالوا : إن الماء المالح ١ أثقل من الماء العذب ، ٢ والدليل على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ ٣ ، و الماء العذب صاف رقيق [١٩٦ : الف] وأنه إن أخذ جزء من الشمع يعمل ٣ منه إناء ، ثم سُدَّ رأسه وصيّر في ماء مالح من البحر ، وجد ذلك الماء الذي وصل إلى داخل الإناء ٥ عذبا في الطعم خفيفا في الوزن ، و وجد الملح المحيط به على خلاف ذلك قد ازدادت مرارته واشتدت ملوحيته ٤ . وكل ماء جار فهو نَمِيرٌ و حيث ينبع الماء فهو عين ، و حيث يكون معظم الماء فهو بحر .

[ما قيل في بحر النيل و اصوله]

و أما ٢ ما قيل في بحر ٢ النيل ، فذكر أن عمران بن جابر صعد ١٠ فيه فأدرك غايته ، و عبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها ، و هي دابة البحر منها إلى أن ٦ يسير ٧ إلى قوائمها تحاذي قرص الشمس من مبدأ ٧

(١) زيد في بن : كدر غليظ .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : فعمل .

(٤) في بن : ملوحته .

(٥) في بن : نهر .

(٦) عن بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٧) كذا في بن ، و في بر : مبدء .

طلوعها إلى حال^١ غروبها فاجرة فاجها لتبتلع عند نفسها الشمس بزعمها . وإنه^٢ عبر على ما ذكرنا من تعلقه بشعرها عند دورانها ، فرأى النيل ينحدر في^٣ قصور الذهب من الجنة ، وأعطاه الملك العنقود ، وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ، ووصف له^٤ كيف^٥ يفعل في وصوله إلى مبدأ^٥ النيل فوجده ميتا وخبر إبليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية أصحاب الحديث ، وما روى أن قبة من الذهب وسط البحر^٦ الأخضر على أربعة^٦ أو كان من الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق ، ينحدر^٧ من كل ركن من هذه الأركان ماء عظيم من رشحته ، فينقسم ذلك الماء^٨ إلى جهات أربع في ذلك البحر الأخضر غير مختلط ولا مائع فيه ، ثم ينتهي^٨ إلى جهات من البر من سواحل ذلك البحر ، أحدها النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات . وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على^٩ النيل

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : فانه .

(٣) في بن : من .

(٤-٤) في بن : كيف له .

(٥) كذا في بن ، وفي بر : مبدء .

(٦-٦) في بن : الأربعة على أربعة .

(٧) في بن : وينحدر .

(٨) في بن : ينسقي .

١ بالسوانح والسواقي ، فالسوانح تسقى بها الأراضى بالترع وما أشبهها
والسواقي تسقى بها أحواض البساتين والأقصاب الحلوة وما شابهها ، فيسمع
لها في دورانها حنيناً وأنيناً وطرباً وشجوناً ، وقد قال شرف بن أسد
الماجن المصرى لغزاً ٢ في ساقية :

- وما شئ طویل الرأس ضخم له رأس بيكرة وحزّه ٥
إذا ما جاء جحراً سدّ فاه ويسكب ماءه في كل لكزه
وكم غنّاجة ركزت عليه ووافق ركزها في [البال ٣] ركزه
لها عقد من المرجان قان بسلك أحكم النساج طرزه
فيخرقها إذا ما جاز فيها وتبكي بالدموع المسترّه
ترخم غنجها طوراً وطوراً ترققه بأخماس وفزّه ١٠
تراها في تشوّقها إليه تدلّ لقربه من بعد عزّه
تصلب فوقه الساقات حتى تسكنه فلا يستطيع رهزه
وبينهما شويخ ذو قرون عليه إن مشى خفر وبزه
يغمض عينه عن كل شيء ويظهر فيهما عين المعزه
ترى في بيته "جمعا كثيراً" يناكهم بأوعاد وهزه ١٥

(١) هذا القسم ساقط من بر ، و وارد في بن [١٤١ : الف - ١٤٢ : ب]

أخذنا به في النص لطرافته وربما كان تجاوز ناسخ برعته راجعاً لطبيعة اللغز فيه .

(٢) في الأصل : لغز .

(٣) الكلمة مطموسة في الأصل .

(٤) كذا في الأصل ، وينكسر وزن البيت معها .

(٥ - ٥) في الأصل : جمع كثير .

فيخرج ذا و يدخله^١ فؤادى و مثنى ثم بعض القوم جرزه
[بن ١٤٢: الف] فإدام الشويخ النحس باقى فأحوال الجماعة مسئلة
ولان أسد الغاز كثيرة من هذا النوع فسا^٢حه الله تعالى .

[عود لفيضان النيل و المقياس]

٥ فلندكر الآن ابتداء النيل بالنقص و الزيادة^٣، و ابتداءه بالتنفس
و الزيادة^٤ بقية أيب و مسرى ، فإذا كان الماء زائدا زاد^٥ شهر توت
كله إلى انقضائه^٥ . فإذا انتهت الزيادة إلى ذراع ستة عشر فقيه تمام
خراج السلطان و خصيب الناس الكافى^٦، و هو ضار بالبهائم لعدم المراعى
و الكلا^٦. ثم الزيادات كلها^٧ النافعة للبلد كله^٧ سبع عشرة ذراعا، و فى
١٠ ذلك كفافها و رى^٨ جميع أرضها، و إذا زاد على^٨ السبع عشرة الذراع^٨
و بلغ^٩ ثمانى عشرة^٩ ذراعا كانت^٩ العاقبة فى انصرافه حدوث و باء بمصر .

- (١) فى الأصل : يدخل . و بتصحيح الكلمة يستقيم الوزن .
(٢) فى النص « با » و بالهامش « يساعه » و قد أدجنناهما فى « فساعه » و طاهر
أن الكلمة هى المقصود .
(٣-٣) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .
(٤-٤) فى بن : ابتداء النيل بالزيادة .
(٥-٥) فى بن : إلى آخر شهر توت .
(٦-٦) الجملة ساقطة من النص فى بر ، و وردت مضافة بهامشه .
(٧-٧) فى بن : العامة النافعة لجميع البلاد .
(٨-٨) فى بن : السعة عشر ذراع .
(٩-٩) فى بن : ثمانية عشر . (١) فى الأصين : كان .

والذراع من جملة أذرع بالعمود الرخام الذى هو قائم ١ فى وسط ١
 فسقية المقياس ، وكل ذراع منقوش عليه أصابع معدودة عدتها أربعة
 وعشرون إصبعاً تعرض الذراع القائم يقاس بتلك الأصابع ٢ ، فإذا بلغ
 المائة ستة عشر ذراعاً ذهب الغلاء عن الناس و تباشروا ٣ بالرخاء وأخرجت
 ٤ خزان القمح ٥ القمح للبيع ، وإذا أقصر ٦ عن ذراع ستة عشر ذراعاً ٥
 أمسك خزان القمح أيديهم على مخازنهم ٧ و امتنعوا من بيعه ٨ يطلبون
 فيه السعر الكثير ٩ . قال الشاعر فى بلوغ النيل ستة عشر ذراعاً فصاعداً
 على لسان حال النيل ، قال وقوله ملا ١٠ مسامعى :

أذكر لمن طلب الغلاء عمّ البلاد منافعى
 و عيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعى
 ١٠ أى عيون خزان القمح الذين يطلبون فيه ٩ [١٩٦ : ب] السعر قلعتها ١٠

- (١ - ١) فى بن : توسط .
- (٢) زيد فى بن : المحفورة فيه .
- (٣) فى بن : واستبشروا .
- (٤ - ٤) فى بن : الخزان .
- (٥) فى بن : قصر .
- (٦) زيد فى بن : و مطاميرهم .
- (٧ - ٧) فى بن : يطلبوا فيه الغلاء .
- (٨) زيد فى بن : لكل .
- (٩) زيد فى بن : زيادة .
- (١٠) فى الأصلين : قلعتها .

أصابع الوفاء^١ بتغليق الستة عشر ذراعا^٢ من أذرع عمود المقياس ،
فتنفس^٣ حيثئذ الفقراء^٤ وتعيش عيالهم^٥ بالرخاء .

[في القناعة]

قال بعض الصالحين : لو لم يكن من فضيلة الفقير إلا إرادته^٦ الرخاء
للناس ليجد بينهم ما يتبلغ به هو وعياله ، لكانت هذه الفضيلة والنية الحسنة^٧
كافية ، لأن الشفقة على خلق الله تعظيم^٨ لأمر الله . قال العتيبي : سمعت أعرابيا
كنا نختلف إليه فسمع من وعظه ، فكان إذا فرغ من خطبته قبض على
لحيته وقال : مسكين ابن آدم مكتوم العلل ، مستور الأجل ، أسير الجوع ،
صريع الشبع ، ثم ينشد :

١٠ يا ميتا في كل يوم بعضه سدّد فيوشك أن تموت جميعا
فأهل القناعة رضوا بما قسم الله^٩ لهم ، فاستراحوا من التعب و النصب

(١) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٢) في بن : بأصابع .

(٣) في بن : فتتنفس .

(٤ - ٤) في بن : ويفرحون هم وعيالهم .

(٥) في بن : اختياره .

(٦) « والنية الحسنة » عن بن ، وهي ساقطة بر .

(٧) في الأصلين : تعظيما .

(٨) زيد في بن : تعالى .

والمهموم والغموم . والله در القائل حيث يقول :

إذا رضيت بميسور من القوت بقيت في الناس حرا غير بمقوت

ياقوت يومى إذا ما فر خلقك لى فليس آسى على در وياقوت

وقال ٢ بعض الصابرين ٢ :

نوائب الدهر أدبتنى وإما يوعظ الأريب ه

قد ذقت حلوا وذقت مرا كذلك عيش الفقى ضروب

ما مرّ بؤس ولا نسيم إلا ولى فيها ٢ نصيب

(١ - ١) ورد مكان هذين البيتين ما لى فى بن [١٤٢ : الف] :

رضيت بما قسم الله لى وفوضت أمرى على خالقى

كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ألا فاصبر على الحدث الجميل وداو جواك بالصبر الجميل

ولا تحزن فإن أعسرت يوما فقد أسرت فى الدهر الطويل

فلا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

فإن العز يتبعه بسار وقول الله أصدق كل قيل

فلو أن العقول تجر رزقا لكان الرزق عند ذوى العقول

فكم من مؤمن قد جاع يوما سيروى من صحيح السلسيل

كان أبو موسى الأشعرى فى اليوم الشديد الحر و يقول (الواو زائدة كذا

فى النص) : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله فى يوم حار كان

حقا على الله أن يرويه يوم القيمة .

(٢ - ٢) فى بن : بعضهم .

(٣) فى بن : فيها .

ولقاسم القصاب ١ البجاي :

لا تجزعن من الخطوب و اصبر على نوب النوائب
فلربما ورد السرو ربحيث تنتظر المصائب
قالدهر قد ما لم يزل يبدى الغريب من العجائب
هـ فالعاقل من يعبر الدنيا و لم يعمرها و يتزود منها للآخرة بزاد التقوى ،
فان الليل و النهار يقرضان في عمر الإنسان . قال الشاعر :

يا عامر الدنيا تعمر منزلا لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شيء أنت تعلم أنه حق ٢ وأنت بذكره متهاون ٢
إن المنية لا تؤامر من أتت في نفسه يوما و لا تستأذن
واعلم بأنك ٢ لا أبالك ٣ في الذي أصبحت تجمع له غيرك مخازن
١٠ و قال بعضهم :

خذ ترائك ما استطعت فانما شركاؤك الأيام و الوراث ٤
المال مال المرء ما بلغت به الشهوات و اندفعت ٦ به الأحداث
ما كان منه فاضلا عن قوته فليوقنن بأنه ميراث

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن [١٤٢ : ب] : و تذكره بتهاون .

(٣-٣) في الأصل بر : لا بالك ، و صحتها واضحة من بن .

(٤) هذا القسم بقصيدته ساقط من بر ، و وارد في بن .

(٥) في الأصل : الوارث . و صحتها « الوراث » لاستقامة الوزن بها .

(٦) في الأصل : و دفعت . و صحتها كما ذكرنا لاستقامة الوزن بها .

مالى إلى الدنيا الغرور بحاجة فليخز ساخر كيدها النفاق
 طلقته ألفا لأحسم داءها و طلاق من عزم الطلاق ثلاث
 أم المصائب لا تزال تروعننا منها ذكور نوائب و أناث
 أنى لا عجب من أناس أمسكوا بعلائق الدنيا و هن رثاث
 كنزوا الدور و أعلقوا شهواتهم فالأرض نبع و البطون غراث ٥
 أترام لم يعلموا أنت التقي هو زادنا و ديارنا الاجداث
 قال فائد بن سميع : سمعت أعرايا بمكة و قد أبرز زندا قِيحَلَةً كأن جلد لها
 جلد ضبّ و هو يقول : عصيتك و أملود الشيبية يعتصر ٢ ، و أطعتك
 و قوس الكبر قد انحنى ، نزل المشيب فورد ، و بان الشباب فذهب و قهقهة
 الايضاض ساميا لتقضى أيامى ، و ضحك أشرا (١) لتقريب حامي ، فيا من ١٠
 يستور الآكام بوابل الرباب ، و أحيى مظلوم موات الربا بجود السحاب ،
 لا تقتنى بعدق* (١) الدنيا و لا توردنى موارد الأشقياء ، فلست أصل سببا
 إلا بمعوتك يا رب العالمين ٦ .

قال القعقاع الضبعي : ذُكر لى أن أعرايا من بنى زيد مناة انقطع
 إلى ربه ، فخرحت في طلبه ، فوقعت عليه في نصف نهار و قد استظل ١٥

(١) الكلمة غير واضحة تمام الوضوح لانطماس بعضها .

(٢) في بن : معتصر .

(٣) كذا في بر ، و هي في بن : أثرا .

(٤) في بن : واحيا . (٥) كذا في الأصاين .

(٦) زيد في بن : فانظر يا هذا إلى فصاحة هذا الأعرابي في منطقته .

بقىء عصاه ١ و هو يقول : الأرض بساطى و السماء سقنى ، و أنا أسير
 بين يدى عدوى ، يا مدهق فلاة الفلاة برُهام ٢ منخرق الصفاة ، أـجرُننى
 من لُهب شواظ احتدام ٣ الحريق ، و قفى على أخذود مدرجة [١٩٧ :
 الف] الطريق . قال فسَلِّمت عليه ، فردَّ علىَّ السلام و قال : من أنت ؟
 ه فقلت : رجل قصدك أراد إيناسك . فاقتر مبتسما و قال : ما أصنع
 بأنيسك و قانص الأرواح و سائق الأرزاق معى ؛ يحفظ الواحد منهما
 علىَّ ؟ أجلى إلى انقضاء مدته ، و يأتينى الآخر برزقى عند بلوغ غايته ؟
 فقلت : عسى الله أن ينفعنى بعلم من عندك . فقال : و لم ؟ فقلت :
 ضَعُف يقينى و قلَّ صبرى . فقال : ادن منى . فدنوت فجعل يضرب
 ١٠ يده صدرى و يقول :

غلبتك نفس غير متعظه نفس مفرعة بكل عظه
 نفس مُدبرة مصرفة مطلوبة فى النوم و اليقظه
 الله حسبك من سواه كفى راعى الرعاة وحافظ الحفظه

(١) فى بن : عضاة .

(٢) فى بن : و برهام .

(٣) فى بن : احتكام .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٦) كذا فى الأصلين ، و حائز أن تكون الكلمة : مفرغة ، و هى فى بن : مفرعة .

قال: فسرت و عرت برهة ، ثم قصدت موضعه فلم أجد أثره .
اعلم يا أخى أن الدنيا دار زوال و ارتحال ، فالعاقل يزهد فيها
على كل حال ، لأنه لا بد له من الانتقال ، لم يتخلد فيها أحد لكثرة ماله ،
ولا نخوله و رجاله ، بل يموت كما يموت الفقير ، و يحمل على نعش السرير ،
و يتساوى فى الثرى هو و العبد الحقير .

٥

[حكاية جعفر البرمكى و الرشيد]

حكى أنه لما هم جعفر بن يحيى البرمكى التغير من الرشيد عند حجه ،
و وصلا إلى مدينة الحيرة ، ركب جعفر إلى كنيسة بها لبعض الامر ،
فوجد فيها حجرا عليه كتابة منقوشة لا تفهم ، فأحضر تراجمة الخط و قال
فى نفسه : قد جعلت ما فيه فالأى لما أخافه من الرشيد و أرجوه ، فقرئ ١٠
فاذا فيه :

إن بنى المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعة الراهب
أضحوا ولا يزجرهم راغب يوما ولا يرهبهم راهب
تنفح بالمسك دفاريهم و العنبر الورد له قاطب
فأصبحوا أكلا لدود الثرى ٣ و انقطع المطلوب و الطالب ١٥
فحزن جعفر لذلك . و كانت تجرى على لسانه تلك الآيات مع الأحيان
و يقول : ذهب و الله أمرنا . فلما قتل هارون الرشيد جعفر و أوقع القتل

(١) فى بن : و أعلم

(٢) فى بن : فالزاهد .

(٣) فى بن [١٤٣ : الف] : الفلا .

يقول ربى الله وقد جاءكم بالبَيِّنَات من ربكم - وهى اليد البيضاء والعصا .
 وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم به من
 العذاب^١ . ثم قال : " يا قوم لكم الملك اليوم " . يعنى فى الارض أى نعمة
 أنعمها الله عليكم ، فيجب عليكم أن تشكروه ولا تكفروه ففرع فرعون
 ه من قول المؤمن ثم قال المؤمن : " ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل
 الرشاد^٢ " . ثم خوفهم بعذاب قوم نوح و عاد و ثمود والذين من بعدهم^٣
 وأن الله أهلكتهم بأنواع العذاب حين^٤ كذبوا رسلهم^٥ . ثم قال :
 " و يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله
 من عاصم^٦ " يعنى من مانع . فلما سمع فرعون كلامه غضب عليه وقال :
 ١٠ كأنك يا حمويل ممن يؤمن بموسى فارجع عن ذلك وإلا عاقبتك بأنواع
 العذاب . قال حمويل : " مالى أدعوكم إلى النجوة و تدعونى إلى النار ،
 تدعونى لا كعرب الله وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم إلى
 [١٩٨ : الف] العزيز الغفار لا جرم إنما تدعونى إليه ليس له دعوة فى
 الدنيا ولا فى الآخرة وأن مرّدتنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار

(١) قرآن كريم : ٤٠ :

(٢) قرآن كريم ٤٠ : ٨

(٣) نفس الآية فى الحاشية ١١ قة . ويريد بعدها فى بن : يعنى الحق .

(٤) نفس الآية السابقة .

(٥) فى بر : حق ، وصحتها من السياق فى بن كما أوردناه فى النص .

(٦) عن بن : وهى فى بن : رسواهم .

(٧) قرآن كريم : ٤٠ : ٢٩ - ٣٠ ، ووردت فى بن بعد « التناد » جملة اعتراضية

يوم القيامة .

فستذكرون ما أقول لكم و أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ١
يعنى عند معاينة العذاب تذكرون نصحي ثم قام من عند فرعون فلحق
بموسى و هارون و تبعهما على دينهما - انتهى .

[قصة قتل ابن البقي سنة ٧١٨]

- ٥ قيل لما أراد قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف النويرى المالكي
قتل الفقيه زين الدين بن البقي لما ثبت عنده كفره ، جلس خارج باب
المدرسة الصالحية بين القصرين بالقاهرة المعزية معه نوابه و أمير حاضر
معه٣ بسببه أيضا ٣ . قال قاضى القضاة المذكور للسياف : اضرب عنقه .
فقال ابن البقي : " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله " قال قاضى القضاة :
لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، اضرب عنقه . فضرب السياف عنقه . ١٠
و البقي منسوب إلى قرية من عمل ماردین يقال لها بقة * وكان قتل
ابن البقي المذكور فى سنة ثمانى عشر ٦ و سبعمائة ، و فيها توفى قاضى
القضاة المذكور و دفن بقراة مصر - رحمه الله تعالى ٦ .

[من أخبار مصر]

نعود إلى ذكر أخبار مصر . يروى أن أباذر الغفارى ٨ قال : مصر ١٥

- (١) قرآن كريم : ٤٠ : ٤١ - ٤٤ .
- (٢-٢) فى بن [١٤٣ : ب] : بالقاهرة .
- (٣-٣) فى بن : بسبب قتله .
- (٤) قرآن كريم : ٤٠ : ٢٨ .
- (٥) فى بن : بققه (٦) فى الأصليين : عشرة
- (٧) زيد فى بن : انتهى . (٨) فى بن : الغفار .

أطيب الأرضين تراباً . روى ابن طبيعة عن ابن عباس أن كعب الأحبار سأل رجلاً يريد السفر إلى مصر ، فقال له : اهدأ لى تراباً من سفح جبلها المقطم . فأتاه^٢ بجراب ، فلما حضر كعب^٣ الوفاة^٤ أمر به ففرش في لحده تحت جنبه . و المقطم تحت مقطع الحجارة ، وأن موسى عليه السلام كان يناجى ربه بذلك الوادى . و روى أسد بن موسى قال : شهدت جنازة مع ابن طبيعة ، فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر إلى الجبل المقطم فقال : إن عيسى بن مريم عليهما السلام مرّ بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شدد وسطه وأمه إلى جانبه ، فالتفت إليها وقال : يا أمه هذه مقبرة أمّة محمد* . وينا عمرو بن العاص يسير في سفح^٥ المقطم معه^٦ الملك المقوقس القبطى^٧ صاحب مصر^٨ بعد مصالحة المقوقس لعمرو على مصر ، فقال له عمرو : ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام ، ولو شققنا في سفحه نهراً من النيل

(١) فى بن : اهدى . وكلمة « لى » بعدها ساقطة .

(٢) زيد فى بن : منه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : لوفاة .

(٥) زيد فى بن : عليه السلام .

(٦) زيد فى بن : الجبل .

(٧) فى بن : و معه . وكلمة « المقوقس » وردت قبل « الملك » .

(٨-٨) ساقطة من بن .

و غرسناه أتلا؟ فقال له المقوقس : [١٩٨ : ب] وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال اشجارا ونباتا و فاكهة ، وكان هو منزل المقطم بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى^١ ، أوحى إلى الجبال إني مكلم نبيا من أنبيائي^٢ على جبل منكن ، فسامت^٣ الجبال كلها و تشاхت^٤ إلا جيل بيت المقدس فانه هبط و تضاعل^٥ فأوحى الله^٦ إليه . لم فعلت ذلك ؟ و هو به أعلم . فقال^٧ : إعظاما و إجلالا لك يا رب . فأمر الله^٨ الجبال^٩ أن يحبوه كل جبل بما عليه من النبات ، و جاد^{١٠} له المقطم بكل ما عليه من النبات حتى بقى كما ترى ، فأوحى^{١١} الله تعالى^{١٢} إليه إني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^{١٣} . رضى الله عنه ، فكتب إليه عمر : إني لا أعلم شجر الجنة غير المسلمين ،

(١) في بن : وبقا .

(٢-٣) في بن : موسى فيها .

(٣) في بن : الأنبيا .

(٤) في بن : فسمت .

(٥) في بن : و تفاحت .

(٦) زيد في بن : تعالى .

(٧) في بن : قال .

(٨) زيد في بن : عز وجل .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : بخاد .

(١١-١٢) واردة في بن ، و ساقطة من بن .

فاجعله لهم مقبرة . ففعل فغضب المقوقس و قال لعمر و ابن العاص :
ما على هذا صالحتي . فقطع له عمرو قطيعة يدفن فيه النصارى^٢ .
اتهى .

[من دخل مصر من الأنبياء]

٥ و دخل مصر من الانبياء^٣ عليهم السلام يعقوب و أولاده الاثنا^٤
عشر و هم يوسف و يهودا و روييل و لاوى و زبالون^٥ و شمعون و سحرة
ودنيا و دانا و نفتائيل^٦ و جاد^٧ و بنيامين . و دخلها موسى و هارون
و عيسى بن مريم عليهم السلام .

[من دخل مصر من الصحابة]

١٠ و دخل مصر^٨ من الصحابة^٩ رضوان الله عليهم^٩ الزبير^١ بن
العوام^١ و المقداد^{١٠} بن الاسود و عبادة بن الصامت و أبو الدرداء
و فضالة بن عبيد و عقبة بن عامر و أبو ذر الغفارى و رافع بن مالك

(١ - ١) ساقطه من بن .

(٢) في بن : القبط .

(٣) في هامش بن : الأنبياء الذين دخلوا مصر .

(٤) في الأصول : الاثنى .

(٥) في الأصل بن : زبالون ، و في بن [١٤٤ : الف] : زياتون .

(٦) في « بر » : دعنايل ، و في « بن » : رعنايل .

(٧) في الأصول : حار .

(٨ - ٨) في بن : و دخلها . و في هامش بر : من دخلها من الصحابة .

(٩ - ٩) في بن : رضى الله عنهم .

(١٠) في بن : المقداد . بدون و او العطف .

وعمر بن علقمة و شرحبيل بن حسنة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة بن محمد بن مسلمة وأبو رافع ومحمد بن مخلد وأبو أيوب ورويفع بن مالك ومعاوية بن خديج وعمار ابن ياسر وعمر بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم ممن صحب النبي عليه السلام ١ .

ووقف على إقامة^٢ قبلة المسجد الجامع بمصر ثمانون رجلا من أصحاب النبي عليه السلام ٣ .

[من دخل مصر من العلماء]

^٤ ودخل مصر من العلماء الإمام الشافعي . سئل الأوزاعي : أيما أفضل * أنت أم الشافعي ؟ فقال : الشافعي أفضل . فقيل له : أيما أفضل * ١٠ الشافعي أم مالك بن أنس ؟ فقال :

و ابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
يعنى أن مالكا أفضل من الشافعي^٦ . وجد^٧ على حائط مسجد مكتوب

(١-١) في بن : صلى الله عليه وسلم .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الصلاة والسلام .

(٤-٤) في بن : ودخلها .

(٥-٥) ريدت الجملة في بن ، وهي ساقطة من الأصل بر .

(٦) في هامش بر بقلم غير قلم الناسخ : في اسناد هذه الحكاية للأوزاعي نظر يعلم

من تاريخ زيارة الشافعي وموت الأوزاعي ولعل السؤال لغيره .

(٧) في بن : و وجد .

[١٩٩ : الف] مناقب الشافعى و فضله ، فكتب تحته أحد المغاربة ،
و كيف لا يكون كذلك و هو تليذ^١ لمالك ؟

و دخل مصر من العلماء الشعى و ابن عليه و يزيد بن حبيب و الليث
ابن سعد ، و له مذهب منفرد ، و هو الذى أخرج^٢ هارون الرشيد من
هيمنه التى عجز عنها^٣ فقهاء الدنيا^٤ . و ذلك أن الرشيد حلف أنه من
أهل الجنة ، فاستقى الفقهاء فى ذلك ، فكل توقف و لم يجبه^٥ بشىء
تبرأ به يمينه^٦ . فأتاه الليث بن سعد و قال له : هل قدمت قط^٣ على
معصية و امتنعت من فعلها ؟ قال الرشيد^٣ : نعم قدمت فى بعض الأيام
على معصية و نهيت نفسى عنها فلم أفعلها .^٧ قال : لم يقع^٧ عليك
١٠ حنث . قال : بماذا ؟ قال : قال الله تعالى : ” و أما من خاف من مقام
ربه و نهى النفس عن الهوى ه فان الجنة هى الماوى ه “ . ففرح الرشيد
بذلك و شكره و وصله بصلته^٩ .

(١) فى بر : تليذا . و صحته فى بن كما أو ردناه بالنص .

(٢) زيد فى بن : أمير المؤمنين .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد فى بن : فيه .

(٥) فى بن : يجب .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧-٧) عن بن ، و فى بر : فقال ليس وقع .

(٨) قرآن كريم : ٧٩ : ٤٠ - ٤١ .

(٩) فى بن : بصلة .

ودخل مصر من العلماء عبد الرحمن بن وهب إمام في الفقه والحديث والأخبار . ودخلها ابن القاسم^١ وأشهب وابن عبد الحكم وريبع المؤذن وأحمد بن محمد الطحاوي والمزني ، كل واحد منهم^٢ ٣ قد برع في مذهبه ، ونجم على أهل عصره ، ولكل واحد ٣ من الكتب المصنفة ما يعجز عن نظيره سائر أهل الدنيا .

[من دخل مصر من الأولياء]

وكان بمصر من الأولياء والزهاد حياة^٣ بن شريح وسليمان بن عمير وأبو الريبع الزهراوي وأبو إدريس الخولاني وسعيد الأدمي وإبراهيم بن أدهم ومنصور بن عمار والقاضي بكار^٤ بن قتيبة بن أسد ابن أبي بردعة بن عبيد الله بن بسر بن أبي بكرة تقيع بن الحارث مولى ١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . وكان القاضي بكار من البكامين التاليين لكتاب الله سبحانه وتعالى ، وكان قاضيا بمصر ، فاذا فرغ من الحكم خلا بنفسه ، وعرض على نفسه قصص جميع من تقدم إليه وما حكم به وبكى . وكان كثير الوعظ للخصوم إذا أرادوا اليمين

(١) في بن : القسم .

(٢) زيد في بن : له .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : حيوة .

(٥) في هامش بر : القاضي بكار . وزيد في بن : وكنيته القاضي بكار أبو بكرة وهو بكار .

يتلو عليهم قوله تعالى: "إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" . و كان يحاسب أمناه في كل وقت ويسأل عن الشهود في كل وقت . ولما كتب أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله^٢ إلى مصر يأمر ببناء المقياس الجديد من ٣ الجزيرة المعروفة بالروضة^٣ [١٩٩ : ب] سنة سبع وأربعين و مائتين ، و كان الذي يتولى أمر المقياس النصارى ، ورد كتاب أبي^٤ جعفر إلى القاضي بكار بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره ، فاختار لذلك رجلا^٥ يقال له أبو الرداد^٦ ، و كان مؤذنا محدثا ، وأجرى عليه الرزق ، فاستمر ذلك ١٠ في ولده ، فصار العوام يقولون لمن يلى أمر المقياس من ذريته ابن أبي الرداد^٧ ، والله أعلم .

(١) قرآن كريم : ٣ : ٧٧ . و بالآية في بن أخطاء لفظية مثل « يكلم » بدلا من « يكلمهم » و أيهم » بدلا من « أليم » .

(٢) الخليفة العباسي وحكمه ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م

(٣-٣) في بن : جزيرة الروضة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بر : رجل . و صحته في بن كما في النص .

(٦) في بن : ابو الرداد .

(٧) في الأصل : أبو . و الكلمة مصححة إلى « أبي » بقلم أحدث ، و الصواب

في بن وزيد فيها : أبي الرداد كذا قيل - والله تعالى أعلم .

[أحمد بن طولون والقاضي بكار]

و كان أحمد بن طولون^١ واليا على مصر من قبل خلفاء بني العباس،
 وكان كثير الصدقة و العفو عن المملوك و الحلم على الجاهل^٢، وكان يعظم
 القاضي بكارا و يكرمه و يميزه في كل سنة بألف دينار سوى الرزق الذي
 كان يتأوله على القضاء في كل شهر . فلما فسد ما بينهما قال له أحمد^٣
 ابن طولون : أين جوائزك ؟ قال : بحالها . فأرسل أحمد بن طولون إلى منزل^٤
 بكار ، فوجد فيه ستة عشر كيسا فيها ستة عشر ألف دينار بخواتم ابن
 طولون ما مسها^٥ . و انتهى أمر ابن طولون إلى أن سجن القاضي بكار
 بسبب أن ابن طولون^٦ جمع الفقهاء على خلع الموفق طلحة^٧ لما ولي الخلافة
 إلا القاضي بكار ، فانه لم يوافق على خلعهم . فلذلك سجنه ابن طولون ،^٨
 و أخذ منه تلك الجوائز . ولما اعتل ابن طولون راسل بكارا^٩ و قال له :

(١) و حكمه ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٢ م .

(٢-٢) ساقطة من بر ، و واردة في بن [١٤٤ : ب] .

(٣) زيد في بن : القاضي .

(٤) في بن : مساهما .

(٥-٥) نقلا عن بن ، و العبارة في بر بها تكرار و خيل .

(٦) أبو أحمد طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله و كان في سنة ٢٥٨ هـ /

٨٧١ - ٨٧٢ م بدمشق .

(٧) في بن : القاضي بكار .

أنا أردك إلى منزلك^١ وأدفع عنك ما أردت منك . فقال القاضي بكار
 لرسول ابن طولون : قل له شيخ فان^٢ ، وعليل مدنف ، والملتقى قريب ،
 والقاضي الله عز وجل^٣ . فلما عاد الرسول إليه قال له : ما قال لك
 القاضي بكار ؟ فذكر له ما قال ، فصار ابن طولون يقول : شيخ فان^٤ ،
 وعليل مدنف ، والملتقى قريب ، والقاضي الله عز وجل . ويكرر^٥
 هذا الكلام كالتعظ بهذا القول لما انزعج وخاف منه ، فأمر بنقله
 إلى دار اكترية له . فلما توفي أحمد بن طولون لعشر خلون من ذي
 القعدة سنة سبعين ومائتين^٦ ، قيل للقاضي بكار : قد مات ابن طولون .
 ثم قيل له : انصرف إلى منزلك ، فأتى إلى منزله ، وأقام بكار بعد ابن
 طولون أربعين^٧ يوما ومات رحمه الله تعالى . وقبره بقراة مصر يعرف
 عنده باجابه الدعاء . و كانت ولايته لقضاء مصر أربعاً وعشرين سنة
 وستة أشهر وستة عشر يوماً . وأقامت مصر بعده بغير قاض^٨ ثلاث
 سنين . ويقال إنه أحصى من قتله ابن طولون ومات بحبسه فكان

(١) في بن : منزلتك .

(٢) في بر : فاني . وصحتها كما في بن والنص .

(٣-٣) في بن : فلما بلغ قوله ذلك ابن طولون كان يبكي ويكرر - الخ .

(٤) الموافق ١٠ مايو سنة ٨٨٤ م .

(٥) في بر : اربعون . وصحته في بن كما في النص .

(٦) في الأصل بر : قاضي . وصحة الكلمة في بن كما أوردناها بالنص .

مبلغهم ثمانية عشر ألفاً ١ .

وقيل : إن المزني ٢ أدى شهادة عند القاضي بكار ، فقال له القاضي بكار : من أنت ؟ قال : أنا المزني [٢٠٠ : الف] قال : أنت صاحب الشافعي ؟ قال : نعم . قال : ومن يشهد لك بذلك ؟ قال : هؤلاء الحاضرون ٣ . فشهدوا له فقبل القاضي شهادته من غير أن يكلفه لتزكية ٥ لأن طلب القاضي منه التزكية سقوط منزلته ٤ . * فلما خرج من عنده قال : سترني القاضي ستره الله . *

(١) زيد هنا في بن : قال بعضهم رأيت أحمد بن طولون في النوم بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال لي : لما قبضت سائقى سائق عفيف فموتت على جهنم و قد فتحت أبوابها و ارتفع دخانها فحفتُ خوفاً شديداً و أيقنت بالهلاك و اذا بجارية طيبة الرائحة جميلة المنظر قد أتت الىّ و هى تقول : لا تخف يا أحمد ! فإن الله سبحانه و تعالى وهبك ثم وقفت بيني وبين النار ، ثم أقبلت جارية أخرى فقالت : أبشر يا أحمد ثم زجرت النار عني فكف طيبها ، فقلت للأولى : من أنت ؟ قالت : أنا عفوك عن المملوك و بحملك على الجاهل ، و قلت للثانية : من أنت ؟ قالت : أنا صدقتك التي كنت تخفيها يميناً و شمالاً و صباحاً و مساءً ، ثم نادى مباد من تحت العرش : أدخلوه من باب المغفرة فأدخلت الجنة . فقلت له : فما هذه الكتابة التي ظهرت عليك ؟ فقلت : حيا بما كان (كذا في الأصل) .

(٢) و أيضاً في هامش بر : المزني .

(٣) في بر : الحاضرين . مصححة بقلم آخر و هى صحيحة في بن .

(٤) في بن : لمنزلته .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بن .

و المزنى هذا هو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمر بن إسحاق، صاحب ١ الإمام الشافعى من أهل مصر، و كان ٢ عالما زاهدا مجتهدا محججا غويصا ٣، و هو ٣ رئيس الشافعيين ٣ و أعلمهم بطرقه و فتاواه ٤ و ما ينقله عنه، صنف كتبا كثيرة منها الجامع الكبير و الجامع الصغير ٥ و مختصر المختصر و غير ذلك. و قال الشافعى فى حقّه: المزنى ناصر مذهبي. و كان المزنى إذا فرغ من مسألة و أودعها مختصره قام إلى المحراب فصلى ركعتين شكراً لله. °

[من دخل مصر من الأدباء]

و دخل مصر من الأدباء و الشعراء نصيب و جميل بثينة و ابن قيس ١٠ الرقيات ٦ و الأحوص و أبو ذؤيب معلّا ٧ الطائى ٨ و دعبل الخزاعى ٩ و أبو صعصعة و أبو نجاد و كثير عزّة و أبو نواس ٩.

(١) فى بن: صاحب.

° (٢-٢) فى بن: زاهدا عالما - و بقية الجملة مطموسة.

(٣-٣) فى بن: امام الشافعية.

(٤) عن بن، و فى بر: فتاويه.

(٥) زيد فى بن: تعالى.

(٦) فى بن: الرقيات.

(٧) فى بن: و معلّا.

(٨-٨) و رد الاسم فى بن بعد أبى نجاد.

(٩) وردت هنا زيادة طويلة فى بن [١٤٥: الف - ١٤٦: ب] و هى ساقطة =

١ قال أبو العباس : كان أبو محمد عبد السلام الملقب ديك الجن ماجنا خليعا عاكفا على اللهو و القصف مُتلفا لماله ٢ ، فلما ٣ قصد أبو نواس السفر من بغداد إلى مصر اجتاز بجمص ، فأتى إلى دار ديك الجن المذكور ٣ فطرق الباب و استأذن عليه ، فقالت الجارية : ليس هو هنا . فقال لها أبو نواس : قولي له اخرج فقد فتنت أهل العراق ٤ .

= من بر . و تشمل هذه الزيادة بعض قصص التيمين مثل قصة جميل و بثينة ثم قصة كثير و عزة ثم قصة قيس بن ذريح و لبنى كما وردت بها أيضا قصيدة في هجو الخليفة المأمون من دعبل الخزاعي حيث يقول :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك و شرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول نحوه واستنقذتك من الحضيض الأوهـد
غير أن أكثر الأشعار الواردة في بقية القصص بها نقص و سقط و خبل في المعنى و الميزان فأثرنا التجاوز عنها و الإبقاء على ما اكتفى به ناسخ بر .
(١-١) العبارة ساقطة من .

(٢) في بن [١٤٦ : ب] : و أما أبو نواس فانه لما قصد - الخ .

(٣) في بن : المشهور .

(٤) وردت هذه الحكاية بوفيات الأعيان (ج ١ ص ٤١٥) في ترجمة ديك الجن و الأبيات كالآتي :

بها غير معدول فداو نهارها و صل بحبالات الغبوق ابتكارها
ونل من عظيم الوزر كل عزيمة اذا ذكرت خاف الحفيظان نارها
و بقية الأبيات كما وردت في النص مع اختلاف لفظي طفيف مثل (ققام تكاد الكأس) و كذلك (و ظللنا بأيدينا ننتعج روحنا) . و ديك الجن ولد سنة ١٦١ هـ و توفي سنة ٢٣٥ هـ أو ٢٣٦ هـ أي ٧٧٧ - ٧٧٨ / ٨٤٩ - ٨٥٠ م .

بقولك :

موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده ١ فأدارها
فلما سمع ديك الجن خرج إليه واجتمع به فأضافه ٢ . وهذا البيت من
جملة أبيات وهي :

ه بها غير معدول فداو ٣ خمارها وصل بجبال الغبوق ٤ ابتكارها
وقم أنت فاحث ٥ كأسها غير صاغر ولا تسق إلا خمرها وعقارها
فقام يكاد الكأس يحرق كفه من الشمس أو من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتتع رُوحنا ٦ فتأخذ من أقدامنا الروح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها
١٠ [٢٠٠ : ب] فتشبهه ٧ الساقى بالظبي لحسن لفته و تكحيل مقلته .

[الاصمعي والاعرابي و خبر ظيبتين]

٨ وسأذكر هنا ٩ خبر ظيبتين أصيدتا ٩ بالسعي على القدمين لا يبازين
ولا بكليين . وهو ما ذكره الاصمعي قال : حدثنا بعض مشايخنا قال :

(١) عن بن ، وى بر : خدها .

(٢) فى بن : وأضافه .

(٣) فى بن : فداوى والكلمة فى ابن خلكان : فداو .

(٤) فى بن : البروق .

(٥) فى الأصل : فاحث (٦) فى بن : روحها .

(٧) فى بن : فشبه .

(٨-٩) فى بن : فلذكر الآن - وبهامش بر : نكتة حسنة .

(٩) فى بن : اصطيدتا .

خرجنا إلى بعض المنازل ، فاذا نحن بأعرابي قد أقبل و معه ظبية له فقال :
 بكم تبتاعونها مني ؟ قلنا : بكذا . قال : بل بكذا . فوافقناه من ثمنها
 على ستة دراهم ، ثم نظرنا فاذا ليس بها أثر صيد ، وكأنا اتهمناه أنه
 سرقها من بعض البيوت ، فقلنا : يا أعرابي والله ما نرى بها أثرا ،
 ولا نرى معك كلابا ولا جوارح ، فنقول إنك اصطدتها^٢ بها ، وكأنك
 أرسلت التهمة في قلوبنا ، إنك سرقتها من بعض البيوت .^٤ قال : لا والله
 يا بني عم ما سرقتها ، ولكني سعت عليها بأقداى فصدتها يدي ،
 فهل لكم أن تبتاعوا مني غيرها ؟ قال فنظر بعضنا إلى بعض و قلنا : والله
 ما نظرنا منظرا أحسن من هذا . فضى بنا إلى أكمة ، ثم أشرف منها
 على قطيع من ظباء^٦ ، فاذا فيها ظبية جماء ، فقال : اختاروا أيها^٧ شتم .^{١٠}
 قلنا : الجماء . قال : والله لقد اخترتموها أوسعها منخرا وأرحبها جوقا ،
 فبكم^٨ تبتاعونها مني ؟ قلنا : بعشرة دراهم . قال : فاجمعوا العشرة في

(١) في بن : وكأنا .

(٢) في بن : من أثر .

(٣) في بن : اصططتها .

(٤-٤) مطموسة في بن .

(٥) في بن : عمي .

(٦) في بن : الظبي .

(٧) في بر : أيهم ، صححت بقلم آخر وهي كذا في بن .

(٨) في بن : أفبكم .

كف رجل منكم. ففعلنا ، فلما نظر إليها أخرج إزارا له ١ فأتزر به ، ثم أرسل نفسه ١ كأنه البرق الخاطف ، ثم لم نر شيئا ، ثم إذا نحن به قد ١ أقبل بالظية وهي تصغو ٢ ، وهو يقول :

كيف ترى الجماء تزدى جدها تروم شدى وأروم شدها
لا تعد من شد غلام ردها

هلم ٣ العشرة دراهم . ثم قال : أتعجبون ؟ والله ما ضمت اليباء ولا حوت
الآخية أيسر ولا أغنى منى لاصطيادى للظباء ، ويعى لها على رؤس
الملاء . قال فعجبنا من صيده للغزلان على أقدامه ٤ وسعيه خلقها برجليه
٥ وقبضه عليها يديه ٥ . وكذلك كان يصطاد بجريه المهة ٦ . والمهة بقرة
١٠ الوحش ، وقد شبهت المرأة بالمهة ، أى كأنها مثلها وحشية لنفارها
بسبب صيانتها ، قال الشاعر :

أردنا أن نصيد به ٧ مهة ٧ فقطعت الحبال والجبالا

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى الأصلين : تصغوا . [بن ١٤٧ : الف] .

(٣) فى بن : فلم .

(٤) فى بن : قدميه .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : المها .

(٧-٧) عن بن ، وفى بر : نصيب بها .

[أفصح من سبحان وائل وأعيا من باقل]

و سأذكر^١ ما قيل في باقل و ظييته ، و ذلك أن باقل كان رجلا من العرب معروفا بالعى^٢ ، اشترى ظيية بأحد عشر درهما و جاء بها [٢٠١: الف] إلى أمه ، فسألته عن ثمنها ، فنثر^٣ يديه ، و فرق بين أصابعه و أخرج^٤ لسانه ، و خلا^٥ عن الظيية ، فهربت^٦ بسبب فعله ذلك يريد^٥ أحد عشر^٧ درهما ، فضربت العرب به المثل فقالوا : ^٨ أفصح من سبحان وائل^٩ و أعيا من باقل^٩ .

سبحان وائل اسمه زفر الوائل يقال إنه وفد إلى أمير المؤمنين معاوية ابن أبي يوسف (كذا) فدخل عليه و عنده خطباء القبائل ، فلما رأوه خرجوا لعلهم بقصورهم عنه ، فقال سبحان :

١٠

لقد علم الحى اليماون أننى إذا قلت أما بعد أتى خطيبها

(١) فى بن : فلندكر أيضا .

(٢) فى بر : بالسعى و فى بن : بالمعى . وهو خطأ قلبى واضح فى كليهما .

(٣) فى بن : فنشر . (٤) فى بن : و حرج .

(٥) فى بن : و خلى . (٦) فى بن : فزرت .

(٧) فى بن : عشرى .

(٨-٨) واردة فى بن . و ساقطة من بر .

(٩) زيد فى بر : انتهى . - و قد أسقطنا الكلمة لننقل عن بن [١٤٧: الف - ١٤٨: ألف]

قسما مطولا بدأ بالكلام عن سبحان ثم انتهى عند استئناف الحديث فى بر عن مكيين الدارمى - و هذا الاسم برمته ساقط من بر و قد آثرنا إيرادها فى النص لاحتوائه مادة لها طابعها التاريخى .

فقال معاوية : أخطب . فقال : انظروا لى عصا أقيم بها من أودى .
 قالوا : ما تصنع بالعصا و إنا بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع
 بها موسى و هو يخاطب ربه عزّ و جلّ ؟ و أخذها و تكلم من الظهر إلى
 أن قارب العصر ما ينحنح و لا ابتداء فى معنى نخرج منه و قد تعثرت
 عليه بقية . فقال معاوية : الصلاة . فقال سبحان : إن الصلاة أمامك ٢٠٠٠ .
 فى تحميد و تمجيد ، و عظة و تذكير و وعد و وعيد . فقال معاوية : أنت
 أخطب العرب . فقال : العرب وحدها ، بل أخطب الجن و الإنس .
 قال معاوية : كذلك أنت . و توفى ستة أربع ٣ و خمسين من الهجرة -
 رحمه الله تعالى .

١٠ [من اخبار الامويين الأول و بعض الصحابة]

و كان صخر بن حرب الاموى أبو معاوية لم يزل على الشرك يقود
 الجيوش لقتال النى صلى الله عليه وسلم إلى أن أسلم يوم فتح مكة ،
 و كان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه و شهد اليرموك تحت راية
 ابنه يزيد ، و ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و توفى
 ١٥ عليه السلام و أبو سفيان عامله على نجران . و كان أبو سفيان من أشرف
 قريش و شهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و روى يوم
 ذلك بسهم فذهبت عينه الواحدة ، فقال له النى صلى الله عليه وسلم

(١) فى الأصل : معاوية .

(٢) هنا كلمة مطموسة جزئيا و جائز قراءتها « المنا » أو « السنا » أو « العنا »
 و يصعب استقامه السياق بأياها فأثرنا ترك مكانها بياضا بالنص .

(٣) فى الأصل « أربع » ساقطة ، و المعروف أن سبحان توفى سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م

فأدخلها فى النص . (٤) فى الأصل : سفين .

وعينه في يده : أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك ؟ فقال : بل عين في الجنة . ورمى بها إلى الأرض ، وأصيب عينه الأخرى يوم اليرموك . وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية ذهب وزنها له بلال ، وأعطى ابنه معاوية مثل ذلك . فقال أبو سفيان ١ : فانك لكريم فذاك أبي وأمي لقد هـ حاربتك فتعم المحارب كنت ، ثم سألته فنعى المسلم كنت حزاك الله خيرا . وقال ثابت البناني : إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن" لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أودى بمكة دخل دار أبي سفيان ٢ فأمن . وكان أبو سفيان قاضي الجماعة يوم اليرموك يسير فيهم ويقول : الله ! الله ! ١٠ عباد الله ! انصروا الله ينصركم ، اللهم أنزل نصرك على عبادك ، يا نصر الله اقترب ، يا نصر الله اقترب . وتوفي (و) سنة ٣ هـ وضع وتسعون سنة ، [ن ١٤٧ : ب] وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان أسلمت قديما وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتتصر زوجها هناك وبقيت هي على دين الإسلام ، ومات زوجها هنالك ، فلما تأيمت ١ من ١٥ زوجها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة أن يزوجه إياها فزوجه إياها وبعث بها إليه . وقيل : إن النجاشي أنقدها من ماله ثلاثمائة دينار وبعث بها إلى النبي

(١) في الأصل : معاوية . (٢) في الأصل : سفين .

(٣) واو المعطف ساقطة من الأصل و لزومها واضح .

(٤) بمعنى أنها مكنت زمانا بدون زوج .

صلى الله عليه وسلم في ستة سبع من الهجرة . و يروى أنه لما جاء أبوها
عام الفج إلى المدينة و كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيد في
هدنة الحديبية . فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فدخل
على ابنته أم حبيبة ! فثنت عنه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال لها : والله يا بنية ! ما أدري أرغب بهذا الفراش أم بي عنه ؟ فقالت :
بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس . فقال :
والله يا بنية ! لقد لقيت بعدى شراً . وكانت هذه أم حبيبة من العابدات
الورعات رضى الله تعالى عنها . قالت عائشة رضى الله عنها : دعنى أم حبيبة
عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله
١٠ لى و لك ما كان من ذلك كله و يتجاوز ٣ عنك و يحاللك من ذلك . فقالت :
سررتينى * أسرك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك . وتوفيت
في ثالث عشر المحرم . و أما عبد الرحمن بن عوف الزهرى القرشى فانه أسلم
قديما على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما و هاجر إلى الحبشة وإلى
المدينة و آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه و بين سعد بن الربيع
١٥ و شهد بدر و ما بعدها ، و هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة و أحد
الثمانية السابحين إلى الإسلام و أحد الستة أصحاب الشورى . قال معمر
عن الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشطر ماله فكان أربعة آلاف درهم ، ثم تصدق بأربعين ألف
دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله و خمسمائة راجلة في سبيل الله

- (١) في الأصل : لقيتى . (٢) في الأصل : حبيب (٣) في الأصل : يجاوز .
(٤) في الأصل : وحاللك . (٥) في الأصل : سررتينى . (٦) في الأصل : و آخا .
(٧) في الأصل : له .

وكان عامة ماله من التجارة. وقال الامام ابن حنبل في مسنده قال بينما عائشة رضي الله تعالى عنها في بيتها إذ سمعت رجلة في المدينة فقالت: ما هذا؟ قالت: قافلة لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء وكانت سبعمئة بعير، فقالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا»، فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: إن استطعت لدخلها قائما، فجعلها بأقاربها وأحبالها في سبيل الله. ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار و كانوا مائة نفر حتى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كبير. وكانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسيل. وأعتق جميع ماله ثم ترك بعد ذلك ١٠ مالا جزيلا وذلك ذهب قطع بالفؤس حتى كلت أيدي الرجال، وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة، وكن نساؤه أربعا فصولت إحداهن عن ربع الثمن بثمانين ألف دينار، ولما مات صلى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة، كان عبد الرحمن بن عوف أبيض مشربا ١٥ بحمرة حسن الوجه رقيق البشرة أعين [ن ١٤٨: الف] أهدب أشفار العينين لا يغير شبهه - رضي الله تعالى عنه.

وكان عقيل بن أبي طالب أحسن ولد أبي طالب بعد طالب، وكان بينه وبين طالب عشر سنين، ثم بينه وبين جعفر بن أبي طالب عشر سنين، ثم بين جعفر وبين علي بن أبي طالب عشر سنين وكان ٢٠

(١) في الأصل: عثمان. (٢) في الأصل: أربع.

أصغرهم سنًا وأقدمهم إسلامًا . خرج عقيل يوم وقعة بدر مع المشركين
مُكرَّمًا فشهداها وأسر فقدها عمه العباس ثم أتى مسلما قبل وقعة الحديبية
وشهد غزوة موتة . وكان عقيل بن أبي طالب أنسب قریش وأعلمهم
بآبائهم ، ولكنه كان مبغضا إليهم لأنه كان يعدّ مساويهم ، وكان له
دار بالمدينة المذكورة ، وكان له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلون عليها ، ويجتمع إليه في علم النسب وأيام
العرب ، وكان أسرع الناس جوابا وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم
في ذلك ، وكان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عندهم في علم النسب أربعة :
عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وأبو جهم بن حذيفة وحويطب بن
١٠ عبد العزّي وعقيل أكثرهم ذكرا لمثالب قریش فعادوه لذلك وقالوا فيه
الباطل ونسبوه إلى الحق واختلقوا عليه أحاديث مزورة ، وكان مما اعلمهم
عليه مغاضبته لأخيه عليّ وخروجه إلى معاوية وإقامته عنده بدمشق ،
وقال معاوية ٣ يوما بحضرته : هذا أبو يزيد لولا عليه بأتى خير له من
أخيه عليّ لما أقام عندنا وتركه . فقال عقيل : أخى خير لى فى دى
١٥ وأنت خير لى فى دنياى وقد آثرت دنياى وأسأل الله عاتمة خير .
وكان عقيل لما التحق بمعاوية بالغ معاوية فى بره وإكرامه إرغاما لعل
ان أبى طالب ، فلما قتل عليّ وأستقل معاوية بالامر ثقل عليه أمر عقيل
فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه ، فبينما هو فى مجلس حفل بأعيان
الشام إذا قال معاوية ٣ : أتعرفون أبا لى الذى أنزل الله فى حقه "تبت
٢٠ يدا أبى لى" من هو ؟ فقال أهل الشام : لا ! فقال : هو عم هذا

(١) فى الأصل : الذى . (٢) فى الأصل : عبد القوى . (٣) فى الأصل : معاوية .

وأشار

وأشار إلى عقيل . فقال : عقيل : أتعرفون امرأته التي قال الله تعالى في حقها " و امرأته حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد " . فقالوا : لا ! قال : هي عمة هذا . وأشار إلى معاوية ١ ، وكانت عمة أم جميل بنت حرب بن أمية - انتهى ٢ .

٥ [خبر مسكين الدارمي]

فلنذكر الآن خبر مسكين الدارمي ٣ مع بعض التجار بأكساد بضاعته ٣ . وذلك أن بعض التجار قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حمل من الخمر السود فلم يجد لها طالبا فكسدت عليه وضاق صدره ، فقيل له ما ينفقها لك إلا مسكين الدارمي وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة ، فقصده فوجده قد تزهد وانقطع في ١٠ المسجد ، فقص عليه القصة فقال : وكيف أعمل * وأنا قد تركت الشعر وانعكفت على هذا الحال ؟ فقال له التاجر : أنا رجل غريب وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل ، وتضرع إليه ، فخرج من المسجد وأعاد لباسه الأول ، وعمل هذين البيتين وأشهرهما وهما :

(١) الأصل : معاوية .

(٢) هنا ينتهي القسم المستخرج من بن ، ويبدأ بعدئذ استئناف الكلام من بر [٢٠١ : الف] .

(٣-٣) ساقطة من ر ، وواردة في بن .

(٤) في بن : تنزه .

(٥) في بن : أصنع .

قل للليخة في الخمار الأسود ماذا أردت بناسك متعب
قد كان شمر للصلاة إزاره حتى وقفت له يباب المسجد
فشاع بين الناس أن 'مسكينا الدارمي قد رجع' إلى ما كان عليه
وأحب واحدة ذات خمار أسود، فباع التاجر الحمل الذي كان معه
ه بأضعاف ثمنه لكثرة رغباتهن فيه، فلما فرغ منه عاد مسكين إلى تعبد
وانقطاعه .

١ و مسكين الدارمي إسمه ربيعة و لقب بمسكين لقوله :
أنا مسكين لمن أنكرني و لمن يعرقي جد نطق
لا أبيع الناس عرضي لو أبيع الناس عرضي مانق
و إذا الفاحش لاقى ٣ فاحشا فهناك وافق شر الطبق
١٠ إنما الفحش و من يعنى به كغراب الشر ما شاء نطق
أو حمار السوء إن أشبعته رمح الناس و إن جاء نهق
[بن ١٤٨ : ب] أو غلام السود إن جوعته سرق الناس و أن يشبع فسق
أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق ٢
١٥ و من شعر التوخي في الخمار المذهب :

قل للليخة في الخمار المذهب أفسدت نسك أعما التقي ٢ المترهب
نور الخمار و نور خدك تحته عجا لوجهك كيف لم يتذهب
و جمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن مذهبيهما ٥ من مذهب

(١-١) في بن [١٤٨ : الف] : مسكيناً عاد .

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر ، و وارد في بن [١٤٨ : الف - ب] .

(٣) في الأصل : لا قا . (٤) في الأصل : التقا .

(٥) في بن : مذهبيهما .

و إذا أتت عين لتسرق نظرة قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي
من أحسن ما سمعت^١ في هذا المعنى لبعض الشعراء :

لها في سماء الوجه سبع كواكب من الحسن حراس على كل مرقب
فإن رام إنسان ليسرق نظرة كلحمة برق أحرقته بكوكب

[من أخبار القاضي التنوخي] هـ

^٢ قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان في تاريخه ٢ : و كان
القاضي أبو علي التنوخي من أعيان أهل العلم و الأدب و أفراد الكرم
و حسن الشيم و كان كأقرانه في فضل الصاحب بن عباد إن [٢٠١ : ب]
أردت فسيحة ناسك ، و إن أحببت^٣ قفاحة فاتك ، و إن اقترحت^٤
فدرعة راهب . و كان تقلد قضاء البصرة و الأهواز بضع سنين ، ١٠
و كان هـ الوزير المهلبى و غيره من وزراء العراق يميلون إليه و يتعصبون له
و يعدونه ريحانة الندماء و تاريخ الظرفاء ، و كان من جملة الفقهاء و القضاة^٥ ،
الذين ينادمون الوزير المهلبى و يجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على

(١) في بن : قيل .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) في بن : أردت .

(٤) في بن : افتخرت .

(٥) في بن : فكان .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن .

اطراح الحشمة والبسط في القصف والخلاعة، وهم القاضي أبو بكر بن قريعة وابن معروف والتنوخى المذكور^١ وغيرهم وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها، وكان كذلك الوزير المهلبى، فاذا تكامل الأنس، وطاب المجلس، ولذّ السمع، وأخذ الطرب منهم مأخذه، وخلعوا هـ ثوب^٢ الوقار للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش^٣، وضع في يد كل واحد منهم طاس ذهب زنته ألف مثقال مملوءا شرابا عتيقا قطربيا أو عكبريا^٤ ممزوجا^٥ بالسكر الطبرزد، فيغمس كل واحد منهم لحيته فيه وينقعها حتى تقشرب ويرش بها بعضهم بعضا، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخاق المتثور، فاذا أصبحوا^٦ عادوا ١٠ كهيتهم^٧ في التوقر والتحفظ بأبهة^٨ القضاء وحشمة المشايخ الكبراء.

قال السرى الموصلى فيهم :

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا في مخارق البرم^٩

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : اثواب - أو : أبواب .

(٣) فى بن : والطين، والصواب بهامشه .

(٤) فى بن : عكريا .

(٥) فى الأصلين : ممزوج .

(٦) ساقطة من بن، و واردة فى بن .

(٧) فى بن : كهيتاتهم .

(٨) عن بن ، وفى بن : بأبهة .

(٩ - ٩) ساقطة من بن، و واردة فى بن .

١ من صاحب يخلط المجنون لنا نصيبه خلوة من الغنم
 يخضب الراح شبيه عشا حتى يرى مثل حمرة الغنم
 وقد ذكر ابن الريب في تاريخه أن هؤلاء المشايخ يعرفون بشيوخ
 الهرهرة ، فانهم كانوا إذا طربوا يقولون هرهر . وكان منهم أبو الفرج
 الاصبهاني صاحب كتاب الاغانى و ابن حجاج الشاعر المحتسب ببغداد ٥
 و من شعر التنوخى أيضا قوله :

و راح من الشمس مخلوقة بدت لك فى قدح من نهار
 كأن المدير لها باليمين إذا مال للسقى أو باليسار
 تدرع ٢ ثوبا من الياسمين له ٣ فردكم ٣ من الجلنار
 و مما قاله يزيد بن معاوية فى الخمر :

١٠

مدام كتبر فى إناء كفضة وساق كبدر والندامى ٤ كأنجم
 لها حجب من فوق شباك لؤلؤ كنقشة دينار على دور درهم
 نشير إليها بالبنان كأنما نشير إلى البيت العتيق المحرم
 فان حُرمت يوما على دين أحمد نخذها على دين المسيح بن مريم

١٥

و لبعضهم فيها ٥ :

(١-١) ساقطة من بر . و واردة فى بن .

(٢) فى بن : تدرج .

(٣-٣) فى الأصل بر : فن دكم . و هو فى بن مع مطابقة على ما ورد بوفيات

الأعيان كما فى النص .

(٤) فى الأصلين : و النداما . (٥) فى بن : فى الخمر .

أسقياني حتى أموت مكاني وادفني في طين روس الدنان^١
واكتبوا من دمي على لوح قبري رحم الله ميتا سكران
[٢٠٢: الف] فانظر إلى هذا التغالي في الخمر المحرمة . فلو كانت حلالا
ما تغالوا فيها هذا التغالي ، ولكن لما منعوا منها تولعوا بها كما
٥ قال بعضهم :

منعت شيئا فأكثرت الولوع به أحب شيء على الإنسان ما منعا
وسياتي ما قالته الشعراء فيها من الشعر و امتحان بعضهم بها و تهاقهم
عليها و ما قاله صاحب كتاب زهر القريش في الحشيش . انتهى ٢ .

[من دخل مصر من الحكماء]

١٠ و دخل مصر من الحكماء اعاثيمون و فيثاغورس^٢ تلامذة
هرمس الحكيم ، لهم من العلوم صناعة الكيمياء . قال بعضهم في محبوه
المتولع بصناعة الكيمياء :

تعلمت علم الكيمياء^٣ لجه بجسمي ماء أضحي بعيني من سقم
أخذت قراع الحب لطمت نارها وركبت إنيق الغرام على رسم
١٥ فصعدت أنفاسي و قطرت أدمعي فصح من التدبير تصفيرة الجسم^٤

انتهى .

(١) في بن : الدنان .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن [١٤٩ : الف] : فيثاغورث .

(٤-٤) في بن : نظمت .

(٥) في بن : لجسم .

ولهم أغنى الثلاثة الحكماء من الغلوم أيضًا النجوم و السحر و علم
الروحانيات و الرأى و الطلسمات و أسرار الطبيعة و أحضار الجن
بالمنازل المنصوبة ١ .

[بعض ما قيل فى الجن و الشياطين]

- ٢ و سأذكر هنا ٢ ما قيل فى الجن و الشياطين و إبليس و عرشه ٥
و شعره إن شاء الله تعالى . عن عبد الله بن عباس قال : سمعت على بن
أبى طالب يقول : خلق الله الجان من نار السموم و خلق من جنبه زوجته
الجنية ، فغشيها فاضت إحدى و عشرين بيضة ، فحضنت واحدة فخرجت
منها قطربة فهى أم القطارب . و قالت : يا قطربة . قالت : إيه . قالت :
احضنى هذا البيض . قالت : لذلك خلقت . فحملت خمساً فحضنت عليها ١٠
بجناحها بين مسقط عين الشمس و مطلع سهيل ، فخرجت منها أمة من
الجن يقال لها الدهارس ٣ ، ثم حملت خمساً فحضنت عليها بين مسقط
سهيل و مطلع عين الشمس يقال لها الدهارس ، و حضنت خمسة ٤ فى
البر فخرجت منها أمة يقال لها * التكار ، و حضنت خمسة فى البحر يقال لها *

(١) فى هامش بن : الجن و الشياطين .

(٢-٢) فى بن : فلنذكر الآن .

(٣) فى بن : الدهارس .

(٤) فى بن : خمساً .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بن .

التكاثر . فمثل عن الجن فقال : كانوا قبل الجن أظهروا غرورا فسلط الله عليهم الملائكة فأبادتهم إلا الأقل . و سألت ^١ عفعان نسابة الجن : هل تحفظ لأبليس شعراء ، فأنشدت :

لما ذا ^٢ سلامة من أضحت مطيبة ^٣ موقوفة بين أهل ^٤ الحرص والحسد

ه فأوحشت جنة الفردوس من شبهي وأوحش الخلد مني آخر الأبد

٢٠٢/ ب / يا ليتني قبل إدباري بمعصيتي كنت النفسى خلال الروح والجسد

^٥ و كان عبد الله بن عباس راوى هذا الخبر قد شاب مقدم رأسه

وشابت لفته ، و كان جسيما إذا قعد أخذ مكان رجلين ، و كان جميل

الوجه له وفرة تخضب بالحناء ، و قيل لسواد حسن الوجه يلبس ملبوسا

١٠ حسنا و يكثر من الطيب بحيث أنه كان إذا مرّ في الطريق تقول النساء

هذا ابن عباس جاز ، و لما عمى اعترى لونه صفرة يسيرة . و يروى أنه

رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم (قال) : أ رأيتك ؟ قال : نعم !

قال : ذاك جبريل أما أنت ستفقد بصرك ، و في ذلك تقول :

إن يأخذ الله من عيني نورهما فني لسانى و قلبي منهما نوره

١٥ قال قلبي ذكى و عقلى غير ذى دخل و فى فى صارم كالسيف مأثور ^٦

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : لما .

(٣) فى بن : مطيته .

(٤) فى بن : هذا .

(٥) هذا القسم تقلا عن بن ، و هو ساقط من بر الى « قال صاحب كتاب العجائب » .

(٦) فى الأصل : مأثور - و تقضى القافية اضافة الهاء .

ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل . قال عكرمة: لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش ثغرت به لكان لما نفرا . رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستمائة وستين^٢ حديثا . عن مسروق أنه قال: كنت إذا رأيته قلت أحلم الناس ، وإذا تكلم قلت أفصح الناس ، وإذا حدث قلت أعلم الناس . ولما وضع في نعشه ليصلى عليه رأى ابن مهران طائرا أبيض وقع على اكفانه ، ثم أدخل القبر فالتمس فلم يوجد ، فلما سَوَى عليه التراب سمعنا من سمع صوته ولا يرى شخصه يقرأ: ” أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي [بن ١٤٩ : ب] عبادي و ادخلي جنتي ٣ “ - انتهى .

١٠

فلنذكر الآن ما قاله^٤ صاحب كتاب العجائب: زعموا أن في البحر الأخضر عرش إبليس يحمله نفر من الأباليس^٥ و العفاريت العظام ، ويحيط به سائر أصناف الجن ، فمنهم من لا يفارقه من حجابيه ونوابه^٦ ،

(١) في الأصل: جميعا .

(٢) في الأصل: وستون .

(٣) قرآن كريم ٨٩ : ٢٧ - ٣٠ .

(٤) ها ينتهي القسم المأخوذ عن بن والساقط من بر وفيه يبدأ الكلام بلفظة « قال » استبدلناها بلفظة « قاله » من بن لربط الجملة بما سبقها .

(٥) في بن [١٤٩ : ب] : الأبالس . و بهامش بر: مكان عرش إبليس .

(٦) في بن : و خدمه .

ومتهم من يتصرف بأمره في فتنة الناس و كيدهم و تضليلهم ،
 وله جزيرة اتخذها سجناً لمن يخالف من الجن أمره . ولما حشرت الجن
 والشياطين لسليمان عليه السلام أقبلوا يقولون : لييك ! لييك ! فجعل
 ينظر إلى اختلاف صورهم ، فمنهم صفر و شقر و بيض و بلق ،
 ٥ و منهم ' ما هو على صورة الخيل و البغال و الحمير و المواشي و الوحوش
 و السباع و الكلاب ، فلما نظرت إليه الجن خرّت ساجدة ، فحتم سليمان^٢
 على أعناق الجن بحنائه و فرّقهم إلى مساكنهم ، و صدّد مرّدتهم بالحديد
 و فرّقهم في الأعمال المختلفة من قطع الأشجار و الصخور و بناء القرى
 و المدن و الحصون ، و أمر نساءهم أن يغزلن الإبريسم و الشعر و القطن
 ١٠ و نسج البُسُط و التصاوير و التماثيل ، و أمرهم باتخاذ القدور الراسيات
 و الجفان التي هي كالجوابي يأكل من كل قدر ألف إنسان . و اشتغل طائفة
 منهم بالغوص في البحر و إخراج الأصداف و الجواهر ، و أمر بعضهم
 بحفر الأنهار و الآبار و بعضهم بإخراج الكنوز من تحت الأرض .
 و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ذكر مطابخ سليمان و موائده^٣ وصفة
 ١٥ كرسيه^٢ - ان شاء الله تعالى .

[خبر أمية بن أبي الصلت و الساحرة]

فلنذكر الآن خبر أمية بن أبي الصلت الثقي مع العجوز الساحرة^٤ ،

- (١) في بن : و منها (٢) في بن : سليمان .
 (٣-٣) ساقطة من بر ، و واردة في بن .
 (٤) ساقطة من الأصليين ، و أمية بن أبي الصلت شاعر مرموق من بني ثقيف .
 (٥) الكلمة واردة في بن و ساقطة من بر . وفي هامش بر : قصة العجوز الحنية .

وهو أنه خرج إلى الشام في نحو من ثيف و قريش وغيرهم ، فلما قتلوا
 راجعين نزلوا منزلاً واجتمعوا لعشائهم إذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت
 منهم ، فصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت ، وشدوا سفرتهم ثم
 قاموا فعدوا على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل
 أشرفت عليهم عجوز من كتيب رمل متوكتة على عصا لها^١ فقالت : ما منعكم
 أن تطعموا رحيمة الجارية اليثيمة التي جاءكم عشية ؟ قالوا : وما أنت ؟
 قالت : أم العوام أريمت^٢ منه منذ أعوام أواماً ورب العباد لتفرقن في
 البلاد . ثم ضربت بعصاها الأرض فأثارت بها الرمل وقالت : أطيلي
 لإيابهم ، و تفرى ركايبهم [٢٠٣ : الف] فوثبت الإبل كأن على ذروة
 كل بعير شيطاناً^٣ ما نملك منها شيئاً حتى تفرقت في الوادي . فجمعناها
 من آخر النهار إلى ما^٤ غد ولم نكد بجمعها ، فلما أنخناها لنرحلها طلعت
 علينا العجوز فمادت بالعصا كفعلها أولاً وعادت لمقاتلتها الأولى ، فخرجت
 الإبل ما نملك منها شيئاً فجمعناها من غد^٥ . فلما أنخناها^٦ لنرحلها فعلت
 مثل فعلتها في الأولى والثانية فتفرت الإبل وأمسينا في ليلة مقمرة

(١) في بن : أشرفت .

(٢) عن بن ، والكلمة ساقطة من بر .

(٣) ي بن : أوتمت .

(٤) في بن : شيطان .

(٥) في بن : من .

(٦-٧) ساقطة من بن .

وَمَنْسَنَا مِنْ ظَهْرِنَا^١ . فقلنا لامية بن أبي الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك ؟ فتوجه إلى ذلك الكتيب ، الذي تأتى فيه منه العجوز حتى هبط من ناحية أخرى ، ثم صعد كتيباً آخر حتى هبط منه ، ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل ، وإذا رجل مضطجع معترض على بابها ، وإذا رجل جالس أيضاً^٢ الرأس واللحية^٣ . قال أمية : فلما وقفت عليه رفع رأسه فقال : إنك لمتبوع^٤ . قلت : أجل . قال : فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذى اليسرى . قال : فأى الثياب يأمرك ؟ قلت : بالسواد^٥ . قال : هذا خطب الجن كدت ولم تفعل و لكن صاحب هذا الأمر تكلمه فى أذنه اليمنى و أحب الثياب إليه البياض ، فما حاجتك ؟ فقدمته حديث العجوز فقال : صدقت و ليست بصادقة ، هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام ، و إنها لا تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت . قال أمية : فما الحيلة ؟ فقال^٦ : اجمعوا ظهوركم فإذا جاءكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من أسفل^٧ باسمك اللهم . ففعلوا ذلك فلم تضرهم . فلما رأت العجوز الإبل لا تتحرك قالت : قد عرفت صاحبكم لَيْسَبِيْقْضُ أعلاه و إِيْسُوْدُ أسفله . و سارو ، فلما أدركهم الصبح نظروا إلى أمية و قد تبرص

(١) فى بر : طهرنا ، و الأصح فى بن كما أوردناه فى النص .

(٢) ساقطة من الأصلين . راجع الحاشية ٤ ص ٣٠٨ .

(٣-٢) فى بن . اللحية و الرأس .

(٤) فى بن : متبوع .

(٥) فى بن : السواد .

(٦) عن بن [١٥٠ : ٩] ، و فى بر : قال .

في عذاريه وزقبتة و صدره و اسود أسفله ١ - انتهى .

[سقراط و أرسطاطاليس و بطليموس من حكماء مصر]

نعود إلى ذكر ٢ الحكماء . و من حكماء مصر ٢ سقراط صاحب الحكمة ،

و منهم أفلاطون صاحب السياسة و النواميس ، و كان أرسطاطاليس

معلم الإسكندرية أحد تلامذته . ٣ و منهم ارسطاطاليس صاحب المنطق ٥

و الآثار العلوية و الحس و المحسوس و الكون و الفساد ٣ . و منهم

بطليموس الصعدوني صاحب الرصد و المساحة و الحساب و تركيب

الأفلاك و حركة الشمس و القمر [٢٠٣ : ب] و الكواكب المتحركة

و الثابتة و صور تلك البروج و كتاب جغرافيا في مساحة الأرض و أقاليمها

و البحار و ألوانها و الأنهار و العيون ٥ و ابتدائها و انتهاؤها ٥ و صفة الأمم ١٠

(١) زيد في بن عبارة بعضها غير واضح لا يؤدي معنى و هي : ابكرحوّا من

الأولاد ، و أقدم العالم في البلاد ، عرك ممدود إلى التناد ، فخيرتنا بمحدث عاد ،

و مبتدأ و عون ذو الأوتاد ، يحوز عظمة الأكباد ، قد سحرت أمية في الواد ،

و برصته و أثر السواد . لعنت لعنا يشبه الحداد ، و صيرت في خزي و أنكاد ،

ملعونة بالسنة العباد .

(٢-٢) في بن : من كان بمصر من الحكماء منهم .

(٣-٣) كذا في بروهي ساقطة من بن . و الجملة في مجموعها بحاجة إلى تعديل

و لكن تركناها كما هي في النص ، و ربما كان الأصح فيها نقل « أحد تلامذته »

إلى ما قبل بطليموس و حذف « و منهم أرسطاطاليس » زائدة .

(٤) مكررة في بن .

(٥-٥) في الأصلين : و ابتدائها و انتهائها .

الذين يعمرّون وجه الأرض وأن المسور في الأرض أقل من الثلث وأكثر من الجمع، فأما الذي لا يعمر من الأرض ولا يكون فيه حيوان ولا نبات فهو ما كان من الجنوب عرضه عن خط الاستواء تسع عشرة درجة ٢، لأن الشمس إذا صارت في السنبلة في خمس درجات ٣ إلى أن تبلغ خمس درجات ٣ من الحوت قربت منه و ثبتت عليه فأحرقت كل شيء. وكذلك كل ما كان في الشمال بعده عن مدار رأس السرطان تسعون درجة لأن الشمس إذا صارت إلى البروج الجنوبية لا تطلع عليه ستة أشهر، فتعقد البخارات هناك ولا ترتفع، فلا يكون هناك حيوان ولا نبات، وفي نهاية العمران من خلف معدل النهار في الجنوب المسمى 'يمين معدل النهار' على المواضع المتساوية ١٠ الأبعاد تكون الحيوانات الشاذة الخلق العجيبة التركيب كالقيلة والطير. قال رجل من قريش: كنت على ضفة البحر المحيط بأرض المغرب فأصبح على أحد بيوت ذلك الموضع طائر قد وقع على البيت فانهدم البيت بوقوعه عليه، ودخلت في حوصلة خشبة من خشب البيت فمات، وكان من طرف جناحه إلى طرفه الآخر 'ثمانون' شبرا - انتهى.

(١) في بن: وأما.

(٢) في بن: درج.

(٣-٣) ساقطة من بن

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥) في بن: هـ.

(٦-٦) في بن: الشارة.

(٧) في بن: الثاني.

(٨) في بر: ثمانين. وصحتها من بن.

(٩) ساقطة من بن، وبعدها زيد فيها: وكان سرموق ملك مصر كاهنا وكان =

[ما أحدثه ' حكاء الهند]

فلنذكر الآن هنا ما أحدثه ١ حكاء ٢ الهند، وذلك أنهم أحدثوا في أيام البرهمن وهو الملك الأكبر كتاب السندهند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرعت الكتب ٣ ككتب الازجهر والمجسطى، فقرع من الازجهر الاركنند ومن المجسطى كتاب بطليموس ٥. ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات وأحدثوا التسعة أحرف المحيطة بالحساب الهندى. وكان بطليموس أول من تكلم في أوج الشمس وذكر أنها سبعون ألف هازروان، وأن العالم إذا قطع هذه المدة عاد الكون وأظهر النسل وسرحت البهائم وتغلغل الماء وكذب الحيوان = قاضيا على الكهنة وعمل الصور فيها صورة منها البراغيث من مدينة مصر وعمل صورة الطير المدعو بشروط وكان يؤذى أهل مصر في زروعهم، وكان إذا غزا أحد من الملوك أخذه الرعاف هو ومن معه حتى يموت فإن ذهب قبل أن يحل به الرعاف فامتنعت المملوك من غزوه وهابته ملوك الصين والنبط على بعدها منه وكان عليه طلسم الرعاف ودفته بمصرفم له ذلك له المهابة والمحبة في قلوب الرعية فاطاعته الروحانية بتلك النواحي ومن أراد الوقوف على صنيعه التي عملها حكاء مصر في اليرابى وغيرها فليطالع كتاب المدخل رسالة الطلاس لباليئاس الحكيم.

(١) في الأصلين : أحدثته .

(٢) زيد في بن [١٥٠ : الف] : قال السعوى في كتاب مروج الذهب .

(٣) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٤) في الأصل : المجسطى . والجملة بين « المجسطى » و « من المجسطى » ساقطة من بن .

(٥) في بن الأحراف .

(٦) في بن : ظهر .

و توبل العشب و خرق النسيم الهواء . فأما أكثر الهند فأنهم قالوا بكور منصوبة على دوائر تبتدى^١ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك ' أصلا ضربه^٢ ' و وقتا [٢٠٤ : الف] نصبوه ، و جعلوا الدائرة العظمى و الحادثة الكبرى و سموا ذلك ٣ بعمر العالم ، و جعلوا المسافة ٥ بعد البدء و الانتهاء ستا^٤ و ثلاثين ألف سنة مضروبة في اثني عشر ألف عام ، و هذا عندهم الهازروان و أنه^٥ الضابط بقوى الأشياء و المدر لها ، و أن الدوائر تقبض و تبسط جميع المعاني التي تستودعها^٦ ، و أن الأعمار تطول في أول الكرة^٧ لانفساح الدائرة و تمكن^٨ القوى من المجال ، و تقصر الأعمار في أواخر الكرة^٩ لضيق الدائرة و كثرة ما يعرض فيها من ١٠ الاكدار البائرة للأعمار . و ذلك أن قوى الأجسام و صفوتها في أول الكرة^{١٠} تظهر^{١١} و تسرح^{١٢} لأن الصفو يسابق الكدر و الصافي يبادر الثقل ،

(١) في بن [١٥٠ : ب] : تبتدى .

(٢ - ٣) مطموسة بترميم هامش بن .

(٣) عن بن : و في بر : بذلك .

(٤) في بن : البدء و الانتهاء ، و في بر : « و الانتهاء » ساقطة .

(٥) في بن : ستة .

(٦) في بن : وان .

(١) في بن : تستوعبها .

(٨) في بر : الكر - و صوابها في بن كما أوردناه في النص .

(٩) في بر بياء المضارعة ، و في بن بالتاء و هو الأصح .

والأعمار تطول بحسب صفاء المزاج و تكامل القوى المؤدية إلى الأخلاط
الكائنات الفاسدات المستحيلات الباديات ، وأن آخر الكرة^١ الأعظم
و غاية البدء الأكبر تظهر الصور متشوهة و النفوس ضعيفة و الأمزجة
مختلطة ، و تتناقص القوى و ترد المواد في الدائرة منعكسة مزدحمة
فلا يحض^٢ ذوا الأعصار بتمام الأعمار . و ذكر بطليموس أيضا أن هـ
مدن الأرض في عهده^٣ أربعة آلاف مدينة و مائتين و ثمانين مدينة -
انتهى^٤ .

نعود إلى ذكر ولد البرهمن الملك الهندي ؛ و ذلك أن ولده
يعرفون^٥ بالبراهمة و الهند تعظمهم و هم أعلا أجناسهم و أشرافهم ،
ولا تتغذى بشيء من الحيوان ، و في رقاب الرجال و النساء منهم خيوط ١٠
صفر متقلدين بها كحماثل السيوف فرزاً^٦ بينهم و بين غيرهم^٧ من أنواعهم
و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع^٨ من أخبارهم ان شاء الله تعالى^٩ .

(١) في الأصول : الكر .

(٢) في بن : يحض - و اعلمه « يحظى » .

(٣) في بر : عدة . و هي كذلك في بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بر : يعرفوا . - و الصواب في بن .

(٦) في بن : تميزا .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) في الأصلين : لمعا .

فلنرجع إلى ذكر حكماء مصر . فتنهم أيرن^١ وله الهندسة والحيل
الروحانية وعمل التنكيات^٢ والآلات لقياس الساعات . ومنهم فيلون^٣
وله عمل الدواليب والآرجية والحركات بالحيل اللطيفة . ومنهم
ارشميدس^٤ صاحب عمل المجانيق ورعى الحصون والحيل على الجيوش
و العساكر برًا وبحرًا ، وكل هؤلاء الحكماء كانوا يسكنون مصر في الدهور
الماضية والآنم^٥ السالفة ، فما غيرت ذهن واحد منهم ولا أضرت بعقله .

[قارون و هامان و بخت نصر]

ومن أهل مصر قارون وكان ابن عم موسى عليه السلام . فقال الله
تعالى : ” واثبتنه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة “ .
١٠ و كان قارون [٢٠٤ : ب] أيسر أهل الدنيا . ومنهم هامان^٦ قال
فرعون : ” ياها الملا ما علمت لكم من إله غيري فاوقد لي يها من على
الطين فاجعل لي صرحًا “ . ومنهم يديس^٧ والد بخت نصر من أهل

(١) في بن : ايزن . . وجاثر أن الصواب « ايزون » .

(٢) في بن : التنكيات . ومعناها غير واضح على كل حال .

(٣) في بن : فيلون . - و هو Philon .

(٤) في الأصلين : ارمسيدس . والمقصود واضح في Archimedes .

(٥) في بن : والأمور . وصوابه في بن .

(٦) قرآن كريم ٢٨ : ٧٦ .

(٧) قرآن كريم ٢٨ : ٣٨ . وزيد على بن : وسيأتي ذكر الصرح وهدمه إن

شاء الله تعالى .

قرية يقال لها سيسروا من كورة أرمنت ، وكان رجلا من أهل العلم
فنظر في علمه فاذا هو يخرج من صلبه رجل يخرب مصر و أرضها ،
فأعطى الله عز وجل موثقا أن لا ينكح امرأة أبدا ، و خرج إلى الشام
ثم إلى العراق فأقام بقرية يقال لها نصر ، و كان لملك تلك القرية ابنة
بها جنون ، فوصف ٢ المصرى لدوائها فدخل عليها فجري بينهما أسباب د
إلى أن حملت منه فوضعت بخت نصر ، فجري خراب مصر على يديه ،
و أقامت مصر مدة أربعين سنة يحزى نيلها و يذهب ولا يتفجع به لعدم
من يزرع أرضها . و في عصره ٣ كان دانيال ، فسار البخت نصر و هو
مرزبان العراق من قبل ملك فارس إلى بيت المقدس ، و كان يومئذ يبلخ ،
و كانت بلخ قصبة الملك ، فأمعن البخت نصر في القتل لبنى إسرائيل إلى
العراق ، و أخذ التوراه و ما كان في هيكل بيت المقدس من كتب و الأسر
وحملهم الأنبياء و سير الملوك فطرحه في بئر . و عمد إلى تابوت السكينة
فأردعه بعض المواضع من الأرض . فيقال : إن الذي كان عدة من سبا

(١) في بن : به .

(٢) ريد في بن [١٥١ : الف] : له .

(٣) في بن : عصر .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : هذه .

(٦) في بنى : سى .

من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفاً ، وقيل : كان البخت نصر 'مرزباناً ليستأسف' الملك الفارسي ، والمرزبان عند الفرس ملك على ربع من أرباع الملك ، وكان قد دَوَّخ الأرض و ذل الملوك من كل أرض ٣ أمة للملك فارس . وسار البخت نصر إلى مصر فقتل فرعون الأعرج ، وسار نحو المغرب فقتل بها ملوكاً وافتتح بها مدائن ، وقد كان ملك فارس تزوج 'جارية من' بني إسرائيل فأولدها ولداً ، فلما كبر الولد قالت له أمه : قل لأبيك الملك يرد أسارى بني إسرائيل إلى أرضهم . فردهم إليها ، ولما رجع ٥ بنو إسرائيل إلى بيت المقدس ملكوا ٨ عليها زربابيل بن سلساب ، فابتنى ١ مدينة بيت المقدس

- (١) نبوخذ نصر (Nebuchadnezzar Nebuchadrezzar) الثاني الذي ورد بالعهد القديم وقد عاش في القرن السادس ق الميلادي ملكاً على بابل .
- (٢) يغلب أنه هستابس Hystapes وهو ابن Arsames ووالد دارا الأول Darius I ملك فارس وجاء ذكره في هيرودوت حاكماً على Parthia وملحقاً بها في أيام قبيز في القرن السادس قبل الميلادي .
- (٣) ساقطة من .
- (٤) في بر : زوج ، والأصح في بر .
- (٥) زيد في بن : سبايا .
- (٦-٧) العبارة ساقطة من بن .
- (٧) في الأصلين : رجعت .
- (٨) في الأصلين : ملكت .
- (٩) في : بن فاشتا - وهي كذلك في بن .

و عمر ما كان خرباء، وأخرج^١ بنو إسرائيل التوراة التي أوردتها موسى عليه السلام، و تلك سُجِّرت، و بُدلت، و أن المحدث لهذه التوراة بأيديهم هذا الملك المذكور لأنه كان^٢ جمعها بمن كان يحفظها^٣ من بني إسرائيل، و أن التوراة الصحيحة هي ما في أيدي^٤ السامرية دون غيرهم. [٢٠٥: الف] و كان سبب مسير بخت نصر إلى بيت المقدس^٥ و سببه لبنى إسرائيل أنه كان يبابل ملك يقال له حزقيا^٦، فأظهر عبادة الرحمن و أمر بكسر الصليان، و في ملكه سار سنحاريب^٧ من بابل^٨ إلى بيت المقدس، فكانت له حروب كثيرة مع بني إسرائيل، فسبى^٩ من الأسباط عددا كثيرا، ثم ملك بعد حزقيا^{١٠} ولد له يقال له منسا^{١١}، فعم شره سائر

(١) في بن: أخرجت .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن، يحفظه .

(٤) ساقطة من بر: و واردة في بن .

(٥) زيد في بن: و أخرا به لها .

(٦) في الأصلين: حزقيل - من ملوك اليهود المذكور بأسفار العهد القديم

. Hezekiah

(٧) ملك أشمور Sennecharih و حكمه من ٧٠٥ إلى ٦٨١ ق م .

(٨) في بن: باب .

(٩) في الأصلين: فسبا .

(١٠) في الأصلين: ميشا، و الغالب أن صحته منسا Manasseh كما أوردنا بالنص

وهو من ملوك اليهود الطغاة حوالي القرن الثامن وأوائل السابع قبل الميلاد =

أهل مملكته وهو الذي قتل شعبا النبي عليه السلام ، فبعث إليه قسطنطين^١
 ٢ ملك الروم يتوعدده ، فسار إليه في الجيوش فهزم قسطنطين^٢ جيوشه
 وأسره . فأقام أسيرا في أرض الروم عشرين سنة ، وأقلىع عما كان
 عليه و عاد إلى ملكه فأقام إلى أن مات . ثم ملك بعده ولد له يقال
 له امون بن مَنَسَا^٣ ، فأظهر الطغيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والأصنام ،
 فلما اشتد بغيه سار إليه فرعون^٤ الأعرج^٥ من مصر^٦ في الجيوش ، فأمن
 في القتل وأسره فرعون و مضى به إلى مصر فهلك هنالك . و ملك بعده
 أخ له^٧ يقال له^٨ فوقيم^٩ ، و في عصر هذا الملك سار البخت نصر إلى
 بيت المقدس فعل بها ما تقدم ذكره . و قيل أن بخت نصر عاش سبعمائة
 ١٠ سنة ، . الله أعلم . انتهى .

= ومعروف أن حكمه كان أطول حكم في تاريخ مملكة اليهود حيث بلغ طوله
 ٥٣ عاما .

(١) ربما كان هنا خلط في الأسماء والعصور في تاريخ الرومان ، كما حدث بعدئذ
 في عرضه لتاريخ الاسكندر و وضعه بعد المسيح .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن .

(٣) في الأصلين : امور ابن ميسا - وهو من ملوك اليهود بالعهد القديم وحكمه
 تقريبا . ٦٤٠ - ٦٢٨ ق . م .

(٤) ليس من السهل تحقيق اسم هذا الفرعون و لكن المفهوم أنه أحد ملوك
 الأسره السادية الثانية و العشرين و تاريخها ٦٦٤ إلى ٥٢٠ ق . م على وجه
 التقريب .

(٥) لم تستطع تحقيق هذا الاسم وهو كذلك في الأصلين .

(٦) زيد في بن : تعالى .

[الإسكندر و تأسيس الإسكندرية]

و من^١ أهل مصر الإسكندر ، وكان بعد المسيح في الفترة . وهو
الذى بنى مدينة سمرقند و بنى الأبراج و المناظر على بحيرة طابس في آخر
العمارة التى بالشمال و فعل بالعراق الأفاعيل غضبا لما فعل^٢ بخت نصر
بمصر و أرضها . و هو الذى بنى الإسكندرية ، و ذلك أن الإسكندر ه
لما استقام ملكه فى بلاده صار يختار أرضا صحيحة الهواء و التربة و الماء ،
فسار^٣ إلى موضع الإسكندرية فأصاب فى موضعها أثر بنيان و عمد كثيرة
من الرخام ، و فى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند ، و هو
القلم الأول من أقلام حمير و ملوك عاد : أنا ه شداد بن عاد بن شداد
ابن عاد ، شددت^٤ ساعدى البلاد ، ب قطعت عظيم العماد ، من الجبال ه
و الأطواد ، و أنا بنيت إرم ذات العماد ، التى لم يبن مثلها فى البلاد ،
أردت أن أبى مدينة ههنا^٥ كإرم ، و أنقل إليها كل ذى قدم و كرم ،
من جميع العشائر و الأمم . و ذلك أن لا^٦ خوف و لاهرم ، و لاهتمام

(١) زيد قبلها فى بن : نعود ، و بهامش بر : الإسكندر .

(٢) فى بن : فعله .

(٣) عن بن ، و فى بر : فصار .

(٤) فى الأصلين : كثير .

(٥) فى بن [١٥١ : ب] : ابن .

(٦) فى بن : شدد .

(٧) عن بن ، و فى بر : هاهنا .

(٨) ساقطة من بن ، ولا يمكن قراءتها « بلا » .

ولا سقم ، فأصابني ما أعجلني ، عما أردت وهي حال مع وقوعها طال
 همي وشغني ، وقلّ نومي وسكني ، فارتحلت بالأمس عن داري لا لقهر
 ملك جبار ، ولا خوف جيش جرار ، ولا على رغبة ولا على ٢ صغار ،
 [٢٠٥ : ب] ولكن لتمام المقدار ، وانقطاع الآثار ، وسلطان العزيز
 ٥ الجبار ، فن رأيت أثرى ، وعلم خبري ، وطول عمري ، ٣ ونفاذ بصري ،
 وأشد حذري ، فلا يغتر بالدنيا بعدى - وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع
 من الاغترار بها ، والسكون إليها . فترى الإسكندر مفكرا يتدبر هذا
 الكلام ويعتده ، ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الأساس وجعل
 طولها وعرضها أميالا ، وحشر إليها العمود والرخام وأنت المراكب
 ١٠ فيها الرخام وأنواع المرمر والأحجار من جزيرة صقلية وبلاد إفريقية
 وإقريطش وأقاصى بحر الروم . وأمر الإسكندر الفعلة والصناع أن
 يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة ، وجعل على كل قطعة من
 الأرض خشبة ، ثم جعل من الخشبة إلى الخشبة جبالا مربوطة بعضها
 إلى بعض ، وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام ، وكان أمام مضروبة ،
 ١٥ وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا ، وأمر الناس والقوام على الصناع
 والبنائين والفعلة أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الجبال

(١) في بن : ابجيني . (٢) في بن : عن .

(٣-٢) كذا في الأصلين ، ولعل الجملة : ونفاذ بصري .

(٤) عن بن ، وفي بر : منوطة .

(٥) كذا في بر ، وفي بن : مضربه عمودا .

وقد علق على كل قطعة منها ١ جرسا صغيرا ١ حرصوا على أن يضعوا
 أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها . وأحب الإسكندر أن
 يجعل ذلك في وقت يختاره ، وطالع سعد يأخذه ، تخفق^٢ نوما برأسه ،
 وأخذته نمسة في حال ارتقابه الوقت المحمود ليأخذ فيه الطالع ، فجاء
 غراب فجلس على جبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج ٥
 صوت الجرس ، وتحركت الحبال و خفق ما عليها من الأجراس الصغار ،
 وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية^٣ وحيل حكيمة^٤ ، فلما رأى الصناع
 تحرك^٥ الحبال و سمعوا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة
 و ارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس ، فاستيقظ الإسكندر عن رقدته
 و سأل^٦ الخبر ، فأخبر بذلك و عجب وقال : أردت أمرا و أراد الله ١٠
 غيره و يأبى الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها ، و أراد الله سرعة
 فنائها و خرابها و تداول الملوك إياها . و إن الإسكندر لما أحكم بناءها
 و ثبت أساسها ، و جنّ الليل عليهم ، خرجت دواب^٦ البحر فأتت على
 جميع ذلك البنيان فأخربته^٧ ، فقال^٨ الإسكندر حين أصبح : هذا

(١-١) في الأصلين : جرس صغير .

(٢) زيد في بن : الإسكندر .

(٣-٣) في بن : و حكم جليلة .

(٤) زيد في بن : تلك .

(٥) زيد في بن : عن . (٦) زيد في بن : من .

(٧) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٨) في بن : قال .

بدء^١ الخراب في عمارتها ، وتحقق مراد الباري في زوالها ، و تطير
 من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم [٢٠٦ : الف]
 ويوكل به من يمنع الدواب إذا خرجت من البحر فيصبحون وقد أخرج
 البنيان . فقلق الإسكندر لذلك وراعه ما رأى ، فأقبل يفكر ما الذي
 ٥ يصنع وأية حيلة يوقع في دفع الأذى عن المدينة ، فسنحت له الحيلة
 في ليلة عند خلوه بنفسه وإيراده الأمور وإصدارها . فلما أن أصبح
 دعى^٣ بالصناع ، فآخذ^٤ له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع في
 خمسة^٥ . وجعل فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها^٦ حشب التابوت ،
 وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الأطلية الدافعة للآفة حذرا
 ١٠ من دخوله إلى التابوت ، وقد جعل فيها^٧ مواضع للجبال ، ودخل^٨
 الإسكندر التابوت ورجلان من كتّابه ممن علم باتقان التصوير ومبالغة
 فيها (كذا) ، وأمر أن يُسد عليه الأبواب^٩ وأن تطلى بما ذكرنا

(١) في الأصول : بدو .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : دعا .

(٤) في بن : فآخذ .

(٥) في بر : خمس ، وفي بن : عرض خمسة .

(٦) في بن : به .

(٧) في بن : [١٥٢ : الف] : فيه .

(٨) في بر : وذكر . وصحته في بن كما أوردناه بالنص .

(٩) في بن : التابوت .

من الاطلية ، و أمر فأتى بمركين عظيمين فأخرجا إلى لجة البحر ، و طلق
على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص و الحديد و الأحجار لتهوى
بالتابوت سفلا ، إذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء
ولا يرسب^١ سفله ، و جعل التابوت بين المركبين ، و ألصقهما بحسب
ما^٢ بينهما لتلا يفترقان^٣ ، و شد حبال التابوت إلى المركبين و طولها ، ه
فغاص التابوت حتى انتهى إلى قسار البحر ، فنظر إلى دواب البحر
و حيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفه ماء البحر ، فاذا بصور
شياطين على مثال الناس رؤوسهم^٤ على مثال رؤوس^٥ السباع ، و في أيدي
بعضهم الفؤوس^٦ ، و في أيدي بعضهم المناشير و المقامع ، يحكور بذلك
صُنَاع المدينة و الفَعَلَة و ما في أيديهم من آلات البناء . فأثبت ١٠
الإسكندر و من معه تلك الصور و حكوها بالتصوير في القراطيس على
اختلاف أنواعها و نشأة خلقها و قدودها و أشكالها ، ثم حرك الحبال ،
فلما أحس بذلك من في المركبين اشتقوا^٧ التابوت ، فلما خرج الإسكندر
عن التابوت و سار إلى مدينة الإسكندرية ، أمر صنّاع الحديد و النحاس

(١) كذا عن بن ، و الكلمة في بر : يرب . و زيد بعدها في بن : في .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا عن بن ، و الكلمة في بر : يفترقا .

(٤) في الأصلين : رؤوسهم .

(٥) في الأصلين : رؤوس .

(٦) في الأصل : الفؤوس .

(٧) في بن : استقوا .

والحجارة، فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورته الإسكندر
 وصاحبه . فلما فرغوا منه وضعت تلك التماثيل^١ على العمدة بشاطئ^٢
 البحر، ثم أمرهم فبنوا . فلما جنّ الليل وظهرت تلك الدواب والآفات
 من البحر،^٣ فنظرت إلى صورها على العمدة^٤ مقابلة للبحر، رجعت إلى
 البحر ولم تعد . [٢٠٦: ب] فعند ذلك تم بناء^٥ الإسكندرية وشيدت^٦،
 وأمر الإسكندر^٧ أن يكتب على أبوابها: وهذه الإسكندرية أردت
 أن أبنيها على الفلاح والنجاح واليمن^٨ والسرور، والثبات على الدهور،
 فلم يرد الباري عز وجل ملك السماوات والأرض أن أبنيها لذلك فبنيتها
 وأحكمت بناءها وشيدت سورها، وأتاني الله من كل شيء علما وحكما
 ١٠ وسهّل لي وجوه^٩ الأسباب فلم يتعذر عليّ في العالم شيء مما أردته^{١٠}،
 ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفًا من الله عز وجل وصنعًا لي وصلاحًا

(١) في بن: الصور والتماثيل .

(٢) عن بن، والكلمة في بر: لشاطئ .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن: فسر ذلك ثم بنى .

(٥) في بن: وشيد .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) زيد في بن: واليه .

(٨) عن بن، وفي بر: وجود .

(٩) في بن: أردتها .

لعباده^١ من أهل عصرى ، و الحمد لله رب العالمين لا إله إلا هو رب كل شئ^٢ .

[أخبار أهل الفترة^٣]

فلنذكر الآن من كان فى الفترة^٤ إن شاء الله تعالى . قال المؤرخون : كان فى الفترة أصحاب الكهف ، و قد تقدم ذكرهم^٥ فأغنى عن اعادتهم ، و سيأتى أيضا ذكرهم^٦ فى أخبار الروم^٧ بخلاف ما تقدم . و قد كان فى الفترة جرجيس عليه السلام^٨ ، و قد أدرك بعض الحواريين فأرسل إلى ملك الموصل يدعوهُ إلى الله فقتله ، فأحياه الله فأمر بنشره^٩ فى الثالثة^{١٠} و إحراقه و أدراهُ فى الدجلة ، فأهلك الله ذلك الملك و جميع أهل مملكته . و قد ذكرت خبره ههنا^{١١} مجملًا ، و سأذكر^{١٢} خبره مفصلا فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . و ممن كان فى الفترة حبيب النجار ، و كان يسكن مدينة أنطاكية من أرض الشام ، و كان بهاملك مُتَجَبِّر يعبد التماثيل و الصور ، فسار إليه إثنان من تلاميذ

(١) فى بن : أخباره .

(٢) زيد فى بن : انتهى ما قيل فى الإسكندرية . و بهامش بر هنا : من كان فى زمن الفترة .

(٣) و اضح أن المقصود بالفترة « الجاهلية » أو بالتدقيق الفترة الواقعة بين ظهور المصحية و الإسلام .

(٤-٤) هذه الجملة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : و ادرايه . و يلاحظ أن بهذا القسم سقطا كبيرا فى اللفظ و المعنى من بن . (٦) فى الأصل : هاهنا .

المسيح ، فدعواه إلى الله ، فحبسهما وضربهما فعزهما الله^١ بثالث اسمه بالرومية بطرس و اسمه بالعربية سمعان و بالسريانية شمعون الصفاء ، و قيل اسمه بولس^٢ و الاثنان المتقدم^٣ ذكرهما اللذين أودعا الحبس هما توما و بطرس ، لهما مع ذلك الملك خطب طويل فيما أظهرهما من الإعجاز و البراهين و من إراء الأكمة و الأبرص و إحياء الموتى ، و حيلة بولس عليه لمداخلته إياه و استنقاذ صاحبيه من الحبس ، فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله ، و قد أخبر الله بذلك من أمرهم في كتابه بقوله : ” إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزنا بثالث^٤ “ - إلى قوله : ” جاء من أقصى المدينة رجل يسعى “^٥ . و قتل بطرس و بولس بمدينة رومية^٦ ١٠ و صلبا منكوسين ، و كان لهما فيها خير طويل مع الملك ، ثم جعلوا بعد ذلك في [٢٠٧ : الف] أخزته السلور و ذلك بعد ظهور النصرانية . و قد تقدم^٧ خبر الكيستين اللتين هما بهما مدفونان^٨ بمدينة رومية^٩ ، الواحد بالكنيسة الشرقية مها^{١٠} و الثاني بالكنيسة الغربية فأغنى ذلك عن

(١) زيد بن : تعالى .

(٢-٣) في كل من بروين [١٥٢ : ب] : و الاثنان المتقدمين .

(٣) قرآن كريم ٣٦ : ١٣ .

(٤) قرآن كريم ٣٦ : ١٩ .

(٥) زيد بن : في هذا الكتاب .

(٦) في الأصلين : مدفونين .

(٧) في بن : رومه .

(٨) في بن : منها .

الاعادة .

وكانوا هؤلاء تلامذة المسيح من الخواريين ، وكانت الخواريون^١
 اثني عشر ، وهم شمعون و بطرس وتوما ومتى ويوحنا ويعقوب وبولس
 و جرجيس و ماسرجيس و جرجس و أيوب و يوحنا أيضا . و سألت
 بنو إسرائيل عيسى عليه السلام يوما أن ينزل عليهم مائدة ، فلبس^٥
 عيسى عليه السلام المسوح و فرش^٢ و دعا الله و هو قائم يصلي فقال
 في دعائه : " اللهم رنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا
 و آخرنا^٣ " الآية . فأنزل الله عز وجل مكتلاً فيه ثلاث سمكات و ثلاثة
 أرغفة ، و السمكات مشويات ليس عليها شوك و لا فلوس . فقال له
 بنو إسرائيل : لو دعوت الله فأحي^٤ لنا هذا السمك ا فدعى عيسى ربه^{١٠}
 فاضطربت سمكة و عاد لها فلوس ، ثم دعى^٥ الله عز وجل فعادت إلى
 حالتها الأولى فقالوا : يا روح الله ا كن أنت أول من يأكل^٦ منها . فقال
 عيسى : إنما يأكل منها من سال ذلك . فأكلوا فصدر عن الارغفة
 و السمك ألف إنسان و هي لم تنقص شيئاً ، و رفعت المائدة و هم ينظرون
 و استغنى كل فقير أكل^٧ منها ، و استشفى كل مريض ، و بقيت المائدة^{١٥}

(١) في هامش بر: عدة الخواريين و أسماءهم .

(٢) زيد في بن : الرماد .

(٣) قرآن كريم : ٥ : ١١٤ .

(٤) في بن : فأحيا .

(٥) في بن : دعا .

(٦) في بن : أكل .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

تنزل عليهم أربعين يوما صباحا فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا كان المساء ارتفعت إلى السماء و هم ينظرون . و شك فيها جماعة من الناس و وقعت الفتنة و ارتابوا و مسح الله منهم خمسة آلاف و خمس مائة على فرشهم و نساءهم فأصبحوا قردة و خنازير .

و عن كان في الفترة أصحاب الأخدود^١ ، فكانوا في مدينة بنجران اليمن في ملك ذي نواس^٢ الحميري ، و كان على دين اليهودية ، فبلغه أن قوما بنجران على دين المسيح ، فسار إليهم بنفسه ، فحفر لهم أخاديد في الأرض و ملأها جحرا و أضرمها نارا ، ثم عرضهم على اليهودية ، فمن تبعه تركه ، و من أبى قذفه في النار ، فأتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر ، فأبت أن تتخلي عن دينها ، فأدريت من النار فجزعت ، فأنطق الله الطفل فقال : يا أماء^٣ أمضى على دينك فلا نار بعد هذه .
فألقاهما في النار^٤ ، و كانوا مؤمنين موحدين [٢٠٧ : ب] لا على رأى النصرانية في هذا الوقت ، فمضى رجل منهم يقال له ذو ثعلبان إلى قيصر ملك الروم يستنجده ، فكتب له إلى^٥ التجاشي ملك الحبشة لأنه كان

(١) زيد بن : عند .

(٢) في هامش بن : مطلب يذكر فيه أصحاب الأخدود .

(٣) في بن : ذنواس .

(٤) في بن : فاحتفر .

(٥) في بن : يا أمة .

(٦-٦) في بن : فألقاهما في النار و ابنها .

(٧) الكلمة ساقطة من .. و بها يتغير المعنى .

أقربهم دارا ، فكان من^١ أمر الحبشة و عبورهم إلى أرض اليمن و تغلبهم عليها إلى أن كان من أمر سيف بن ذى يزن الحميري و استنجاهه المملوك إلى أن أنجده أنوشروان^٢ ، فكان من أمره ما تقدم ذكره في هذا الكتاب .

- و من كان في الفترة قس بن ساعدة^٣ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وكان حكيم العرب ، وكان مقرا بالبعث و النشور ، و هو الذى يقول : من عاش مات ، و من مات ، فات و من فات كانت له الأرض كفات ، و كل ما هو آت آت . و قد ضربت العرب بحكمته و عقله الأمثال و قدم على النبي صلى الله عليه و سلم وفد من إياد فسألهم عنه فقالوا : هلك . فقال : رحمه الله كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل^٤ .
- أحر و هو يقول : أيها الناس اجتمعوا و اسمعوا^٥ و عوا ، من عاش مات ، و من مات فات ، و كل ما هو آت آت ، أما بعد فان فى السماء لخبرا ، و أن فى الأرض لعبرا ،^٦ أبجر تموج ، و نجوم تغور^٧ ، و سقف مرفوع ، و مهاد موضوع ، أقسم بالله قس^٨ قسما أن الله دينا هو ارضى

(١) فى بن : بمن .

(٢) زيد فى بن : ملك الفرس .

(٣) فى بن : و كان .

(٤) فى هامش بر : مطلب يذكر فيه خبر قس بن ساعدة .

(٥) الكلمة ساقطة من بن [١٥٣ : الف] .

(٦-٦) فى بن : بحر يمور ، و نجوم تغور .

(٧) ساقطة من برو واردة فى بن .

من دين أتم عليه ، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أو تركوا فناموا ؟ سبيل مؤتلف ، وعمل مختلف . وقال أحياتا لا أحفظها ، فقال أبو بكر الصديق ٣ : أنا أحفظها يا رسول الله ! فقال : هاتها . فقال :

٥ في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للوت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأوائل والأواخر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

١٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن يبعث الله أمة وحده ٤ .

[ذكر ملوك مصر الكفار]

فلنذكر الآن بعض ملوك مصر الكفار ٥ . فمنهم فرعون موسى عليه السلام ، اسمه الوليد بن مصعب ، وهو الرابع من فراعنة مصر السبعة ، ذكرهم أبو عبيد القرطبي في كتاب المسالك والممالك ، وذكر كل

(١) في بن ٠ ما .

(٢) في بن : فقام

(٣) زيد في بن : رضى الله تعالى عنه فقال .

(٤) عن بن ، وفي بر : واحدة ، وزيد هنا في بن : انتهى .

(٥) في هامش بر : مطلب ذكر ملوك مصر الكفار .

[٢٠٨ : الف] فرعون وسيرته ١ في جملة ملوك مصر قبل الطوفان وبعده . و من ملوك مصر الكفار تقراوش الجبار ، وهو أول من اتخذ المصانع وعمل الطلسمات والأقرونيات ٢ ، وأقام الأساطين ورمز التواريخ عليها ، وبنى المدن ، وهو الذي حفر النيل و كان من قبل ينقطع ويستنقع . ومنهم قرناش ، حارب أمة من الجن حتى دخلوا في ٥ طاعته بالعزائم الشداد . ومنهم مصرم الجبار ٣ الذي ذل الأسد فركبها وركب الوحوش الصعبة ، وهو أول من عمل الحمام . وبمصرم هذا سميت مصر ، وبلغ بسحر كهاته ما لم يبلغ أحد من ٤ قبله ولا بعده . ومنهم غرناق ٥ ، وفي وقته نزل هاروت وماروت ٦ ، وكان من حديثهما ما رواه ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشرفت الملائكة على الدنيا فرأت بنى آدم يعصون ، ما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك ! فقال الله عز وجل : لو كنتم في سلاحهم لعصيتموني . قالوا : كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : فاختاروا منكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت ، ثم أهبطا إلى الأرض ، وركبت فيهما شهوة بنى آدم

(١) وردت الجملة من « وذكر » في بن بعد « الطوفان وبعده » .

(٢) في بن : الأقرونيات .

(٣) في هامش بر : مصرم الجبار أول من عمل الحمام .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : غرقاق .

(٦) في هامش بر : مطلب وذكر هاروت وماروت .

فما عُصِمَا حتى واقعا المعصية ، فخيِّرا بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة ،
 فاختراروا عذاب الدنيا وهما مسلسلان منسكسان في بئر بأرض بابل إلى يوم
 القيامة . . وفي رواية أخرى : وركبت فيهما شهوات بني آدم ، و مثلت
 لهما فمأعصما حتى واقعا المعصية ، فخيِّرا بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة ،
 فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال : ' ما تقول ؟ فقال : أقول : عذاب الدنيا
 ينقطع و عذاب الآخرة لا ينقطع . فاخترارا عذاب الدنيا ، فهما اللذان
 ذكرهما الله تعالى ٢ في كتابه ٢ : " وما أنزل على الملكين ببابل هاروت
 و ماروت ٣ " . وفي رواية أخرى قال الله لهما : إني أرسل رسولا إلى
 الناس و ليس نبي و بينكما رسولا ، انزلا و لا تشركا بي شيئا و لا تقتلا
 ١٠ و لا تزنيا و لا تسرقا . قال كعب : فما استكملا يومهما الذي نزلا فيه حتى
 أتيا ما حرم الله عليهما - انتهى ٤ .

٥ . كان من ملوك مصر الكفار الملك غرناق ، عمل بمصر عجائب
 كثيرة ، و كان منهمكاً في الشراب و الفسوق ، و يشرب في كل ليلة
 مائة رطل ، و يغتصب النساء على أنفسهن ، و لا يسمع بامرأة حسنة ٦

(١) زيد في بن : له .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) قرآن كريم ٢ : ١٠٢ .

(٤) ساقطة من بن ، و واردة في بن [١٥٣ ب] .

(٥) زيد قبل هذه العبارة في بن : نعود إلى ذكر ملوك مصر الكفار .

(٦-٦) في بن : بامرة حسنها .

إلا نقلها إليه . و منهم هرصال^١ و في أيامه ولد نوح عليه السلام ،
 [٢٠٨ : ب] و بعد سنة من ملكه تجلّت عليه روحانية الكواكب
 فيما يزعمون^٢ ، فحجّته^٣ عن أعين الناس فلم يُعلم خبره^٤ . و منهم شهلوق ،
 و هو الذي قسم ماء النيل أقساما ، و أقام لأسباب^٥ الضرر طلسمات
 يرفعها^٦ ، و كنز من الكنوز خمسة^٧ و أربعين كنزا . و تفسير الطلسمات^٨ هـ
 عقد لا تنحل ، و مفردا طلسم و هو عقدة^٩ لا تنحل^{١٠} . و منهم سويد بن
 صاحب الأهرام^{١١} - و الأهرام قبور الملوك . و بناء الأقرونيات المهلكات^{١٢}
 للعالم ، و أبقى من الحكمة و العلم ما لم يُسبق إليه ، و كان أكثر اهتمامه

(١) في بن : هرمال .

(٢) في بن : زعموا ، و في بر : يزعموا .

(٣) في بن : بجمته .

(٤) في بن : خبر .

(٥) في بر : أسباب ، و صحتها في بن كما أوردناه بالنص .

(٦) في بن : يدفعها .

(٧) كذا في بن ، و هي في الأصل بر : خمس .

(٨) في هامش بر : مطلب ، الطلسم .

(٩) في الأصل : عقد .

(١٠) في الأصل : ينحل .

(١١) في هامش بر : مطلب ، الأهرام .

(١٢) في بن : المهلك .

بجعل الادوية و العقاقير و النواميس و دفع المضرات^١ بالطلسمات^٢ وكل ما^٣ فيه صلاح للناس . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب صفة بناية الأهرام^٤ إن شاء الله تعالى . و منهم مناوش ، فظلم و سفك الدماء و اغتصب النساء و استخرج كثيرا من كنوز الملوك^٥ فبنى بها قصورا و رصعها بالجواهر ، و عمل فساقى و صب فيها الجواهر و أرسل عليها المياه^٦ و منهم أقروش ، فعل عجائب منها قبة لطخها بطوخت ، فاذا كان الليل اشتعلت نارا ترى على البعد و اتقدت إلى الصبح . فاذا طلعت الشمس ارتفع ذلك الوعيد ، و طلب هذا الملك النسل من ثلاثمائة امرأة ، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقمت .

[خبر نوح و الطوفان]

و فى زمنه شاع خبر نوح عليه السلام و إنكاره للأصنام . و كان من أمر الطوفان ما كان ، و ذلك أن الفساد لما كثر فى الأرض و اشتدت

(١) فى بن : المضار .

(٢) فى بن : و الطلسمات .

(٣) زيد فى بن : كان .

(٤) زيد فى بن : و الأقرونيات و النواميس و غير ذلك . أنظر أيضا مخطوط

القاهرة (ق ١٦٨) : ذكر ملوك الكفار الطغام و عبادة التماثيل و الأصنام فى البرابى و الأقرونيات و النواميس و الهياكل و الأهرام و الطلاسم . وكذلك

(ق ١٧١) : صفة الأهرام و النواميس و الهياكل و البرابى صنعتها الأوائل .

(٥) فى بن : الأرض .

طياغي^١ الكفر، فقام نوح في الأرض داعيا إلى الله، فأبوا إلا طغيانا وكفرا، فدعى الله عليهم، فأوحى الله إليه: أن اصنع الفلك بأعيننا. وحيناً، فلما فرغ من السفينة أتاه^٢ جبريل بتابوت آدم فيه رّمته، وأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء، وقد غرق الله^٣ الأرض خمسة أشهر، ثم أمر الله الأرض أن تفيض الماء والسحاب أن تطلع، واستوت^٤ السفينة^٥ على الجودي - والجودي جبل من بلاد الموصل بينه وبين الدجلة ثمانية فراسخ، وموضع السفينة على هذا الجبل إلى هذه الغاية، ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده سام وحم ويافث، وأزواج أولاده الثلاثة وأربعون رجلاً وأربعون امرأة، فساروا إلى سفح هذا الجبل فابتنوا مدينة وسموها: ثمانين. ودثر عقب هؤلاء الثمانين نفسا، وجعل^{١٠} نسل الخليفة من أولاد نوح الثلاثة، وقد [٢٠٩: الف] أخر الله تعالى ذلك بقوله: "وحملنا ذريته هم اليقين"^٦، . وقسم نوح الأرض بين ولده أقساما . وخص كل واحد منهم بموضع، ودعا على ولده حام

(١) كذا في الأصلين، ولعل المقصود « طغاة » .

(٢) في بن: فأتاه .

(٣) زيد في بن: جميع .

(٤) في بن: فاستوت .

(٥) ساقطة من بن .

(٦ - ٦) في بن: عز وحل بذلك .

(٧) قرآن كريم ٣٧ : ٧٧ .

لأمر كان معه مع أبيه فقال: ملعون حام عبد عبيد يكون لاختوته .
 وقال: مبارك سام ، و يكثر الله يافث و يحل يافث في مسكن سام .
 وانطلق حام و تبعه ولده ، فزلوا في مساكنهم من البر و البحر ، فأما
 سام فسكن وسط الأرض من بلاد الحرم إلى حضر موت إلى عمان
 ه إلى عالج . ٢ و من ولده إرم بن سام و أرغش بن سام ٢ . و من ولد إرم
 بن سام عاص بن عوص بن إرم . و كانوا ينزلون الأحقاف من الرمل ،
 فأرسل الله إليهم هود ٣ فكان من أمرهم مع هود ما اتضح أمره ، و اشتهر
 خبره ، و ثمود بن عاد بن إرم ، و كانوا ينزلون الحجر بين الشام و الحجاز
 فأرسل إليهم أخاه صالح ، فكان من أمرهم مع صالح ما اتضح أمره ،
 ١٠ و اشتهر خبره . و طسم و جدیس أباء لأولاد إرم ، و كانوا ينزلون
 اليمامة و البحرين . و سياي خبرهما فيما يرد من هذا الكتاب إن
 شاء الله تعالى .

و كان أخوه طسم و جدیس يقال له عمليق بن إرم في قبيلته ، فزل
 بعضهم الحرم و بعضهم الشام . و منهم العماليق تفرقوا في البلاد . و كان
 أخو عمليق و طسم و جدیس يقال له أميم بن لاود ، نزل أرض فارس ،

(١) في بن : الأرم .

(٢ - ٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن : عليه السلام .

(٤) زيد في بن [١٥٤ :] : وفتاؤها عن السيف .

(٥) في بن : اخوهم .

و نزل بنو عميل بن عوص 'أخو عاص بن' عوص مدينة الرسول عليه السلام . ومن ولد سام بن نوح ماش بن إرم بن سام ، نزل بأرض بابل فولد^١ نمرود بن ماش ، وهو الذي بى^٢ الصرح ببابل و جسر بابل على شاطئ الفرات ، و ملك خمسمائة سنة^٣ و هو ملك^٤ النبط . و في زمانه فرق الله الألسن^٥ ، فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا ، و في ولد حام سبعة عشر لسانا ، و في ولد يافث ستا و ثلاثين^٦ لسانا . و تشعبت بعد^٧ ذلك^٨ اللغات و تفرقت الألسن . و قحطان بن غابر أبو اليمن كلها ، و هو أول من تكلم بالعربية لإعرابه عن المعاني و إباتته عنها . و يقظان بن غابر هو أبو جرهم^٩ ، و جرهم ابن عم يعرب^{١٠} و كانت جرهم عن سكن اليمن و تكلموا بالعربية . ثم نزلوا مكة فكانوا بها ، و قطورا بنو عم^{١١} جرهم . ١٠ ثم اسكن الله تعالى إسماعيل عليه السلام مكة فتزوج [٢٠٩ : ب] في جرهم

(١ - ١) في بن : اخي ابن .

(٢) في بن : فترك .

(٣) في الأصاين : بنا .

(٤ - ٤) مكررة في بن .

(٥) في هامش بن : مطلب تفرق الألسن .

(٦) كذا في بر ، وهي في الأصل بن : ثلاثون .

(٧ - ٧) في بن : بنو عم يعرب ، وفي هامش بر : مطلب أول من تكلم بالعربية .

(٨) في بن : بنو « فقط و » عم « ساقطة .

فهم أحوال ولده . و ما ذكرنا^١ من العرب فهم العرب العاربة ، و لهم أخبار^٢ يطول ذكرها^٣ ، و يتسع شرحها . و أما يافث بن نوح فولده الترك و غيرهم و قيل لما قسم نوح على أولاده البلاد أعطى^٤ سام الشام و جرأثر العرب و اليمن ، فهو أبو العرب ، الأنبياء و الروم . ه و أعطى^٥ حام السند و الهند و الحبشة و النوبة . . أعطى^٦ يافث بلاد المشرق ، فهو أبو الترك و الديلم و الصقالبة و ياجوج و ماجوج و فارس و الله أعلم - انتهى .

[ملوك مصر القبط]

[بن ١٥٤ : الف] يعود ، و كانت ملوك مصر من القبطيين ١٠ مرادهم العدل و الانصاف من أنفسهم - الطلب لمعانى الأمور و كراهية الجود و الغضب (كذا) . و سماون الملك الأول من ملوك القبط بمصر ، إذا وقف إليه رحلان يتحاكىان عنده علم الظالم من المظلوم منهما أخبرهما بالذي صنعا حتى كأنه شاهد حالهما . و كأن بالظالم يصرن من نفسه

(١) في س : ذكرها .

(٢-٢) في بن : مطولة ذكرتها .

(٣) في الأصول : أعطى

(٤) زيد في بن : تعالى .

(٥) واردة في بن وساقطة من بر .

(٦-٦) هذا القسم بأكمله ساقط من بر و وارد في بن ، وقد ادخلناه في النص

كما هو ، و واضح غرابة مادته .

ولا يتحاكم إليه خشية الفضيحة . و كان الملك سردون القبطي يحكم بين الخاصة والعامة ولا يتكل على أحد من أهل بيته ، ذلك انتهازا منه للعدل و طلبا للحق . وكانت بدورة أخت الملك يزدشير كاهنة ، وهى التى عملت الأصنام الناطقة ، و قد عملت طلسمات منعت الطير و الوحش أن يشرب من ماء النيل فأت أكثرها عطشا . وهى صاحبة البناء العظيم فى قصة هلاكها ، و يقال : إن الروحانية رجعت إليها فأهلكتها ، و إن قطنوا أحد ملوك مصر أكب على كتاب اقليموس الروحاني أربعين سنة و عرف ما فيه و لم يحتج إلى حكيم يفسر له المعاني . يخبره بالخصيات التى فيه ، و كان ذلك بتدبيره و فطنته و كثرة مواظبته درس كتب الحكماء .

١٠

[فضائل مصر]

[بر ٢٠٩ : ب] ذكر ٣ فضل مصر و كثرة خيرها ٣ و معادن

رزقها ، و طيب عيشها ، و رخص سعرها ، و غير ذلك من عجائبها .

() فى الأصل : هلكها .

(٢) بالنقط على الكلمة فى الأصل خيل ، و أغلب الظن أن صحته أوردناه بالنص .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) فى بن فقط : و رزقها .

(هـ - هـ) فى بن : و عجائبها .

مصر خزائن الله في الأرض^١ كلها ، و سلطانها سلطان الأرض كلها^٢ .
 قال الله عز و جل ٣ على لسان^٤ يوسف عليه السلام : " اجعلني
 على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " . و لم تكن تلك الخزائن بغير
 مصر فذكرها الله بخزائن الأرض . و أغاث الله بمصر و خزائنها كل
 ٥ حاضر و باد^٦ في جميع الأرض . و كان الغلاء أقام في زمنه سبع
 سنين^٧ ، و لولا تدبير يوسف عليه السلام هلك^٨ أهل مصر . و جعل
 الله عز و جل مصر متوسطة الدنيا في الأقاليم الثالث و الرابع ، فطاب
 هواها ، و ضعف حرها و بردها . و قد اكتفتها معادن رزقها ، و قرب
 تصرفها ، و طيب عيشها ، و رخص سعرها . و هي أم البلاد ، و غوث
 ١٠ العباد ، و ذكر أن مصر صورت^٩ في كتب الأوائل ، و سائر البلاد
 مادة أيديها إليها تستطعمها . و روى عقبه بن مسلم يرفعه : إن الله تعالى^{١٠}

(١) في بن : أرضه .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٢) في بن : تعالى .

(٤) زيد في بن : حال .

(٥) قرآن كريم ١٢ : ٥٥ .

(٦) في بن : و بادي .

(٧) في هامش بر : مطلب اقليم مصر .

(٨) في الأصل : هلكت .

(٩) في بن [١٥٤ : ب] : مصورة .

(١٠) في بن : تبارك و تعالى .

يقول يوم القيامة^١ لساكن مصر فيما يعدد^٢ عليه من نعمه: ألم
أسكنكم مصر تشبعون من خبزها^٣ و تشربون من مائها؟ وقال كعب
الأحبار: لو لا رغبتى فى سكنى الشام لسكنت مصر . قليل : ولم ذلك
يا أبا إسحاق؟ قال : لآنى أحب مصر و أهلها لأنها بلد معافاة من
الفتن و أهلها أهل عافية ، فهم بذلك معافون ، و من أرادها بسوء ه
كبه الله على وجهه ، و هو بلد مبارك لا علة^٤ فيه . و قيل : مكتوب فى
التوراة^٥ : بلد مصر خزانة الله^٦ من أرادها بسوء قصمه الله . و قال
سليمان^٧ السائح : نعم البلد مصر ، يحج منه دينارين ، و يغزى^٨ منه
بدرهمين . يريد الحج فى بحر القلزم و القزو إلى الإسكندرية و سائر
سواحل مصر . و قال [٢١٠ : ثقف] يحيى بن عثمان^٩ : جُلت الدنيا ١٠
و رأيت^{١١} بناء كسرى و قيصر و غيرهما من ملوك الأرض ، و رأيت

(١) فى بن : القيمة .

(٢) فى بن : يعدده .

(٣) فى بن : حيرها .

(٤) فى بر : لأهله . و صحته فى بن كما أوردنا بالنص .

(٥) فى بن : التوريه .

(٦) واردة فى بن و ساقطة من بر .

(٧) فى بن : سليمان .

(٨) كذا فى بن ، هو هى فى بر : يغزا .

(٩) فى بن : عثمان .

(١٠) زيد فى بن : آثار الأنبياء و الحكماء و رأيت .

آثار سليمان عليه السلام و ما بنته الشياطين فلم أرَ مثل بربات أهل مصر و لا على حكمتها و لا على مثل الآثار التي ملوكها و لحكائنها . قال عبد الرزاق بن عبد الله : أخبرني بعض من مرَّ بصعيد مصر أنه مرَّ بقبر عظيم عليه أرسام مخططة بالحيرية فسأل عن ذلك ، فقيل : هذا قبر الوليد الحميري ، و كان أحد ملوك حمير ، و إنه طاف البلاد شرقا و غربا ، و وزن المياه فلم يجد موضعا يصلح له ألا صعيد مصر ! فملكها ٢ و أقام برهة من الزمان ، فلما حضرته الوفاة أمر أن تخط هذه الآيات على قبره ، فاذا هي :

أنا الملك المعظم في البرايا ملكت الناس من حام و سام
١٠ و جلت الأرض أقطعها بليل إلى أن عاقى ريب الحمام
فلم أر مثل مصر لساكنيها لشيخ أو لكهل أو غلام
و من خواص مصر و عجائبها جبلها المقدس و نيلها المبارك ، و بها الطور
حيث كلم الله ٣ موسى عليه السلام . و بها كان ملك يوسف عليه السلام ،
٢ و بها ألقى موسى عصاه فاذا هي ١ حية تسعى ٤ . و بها كان سحرة فرعون

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : فملكها .

(٣) زيد في بن : تعالى .

(٤ - ٤) وردت الجملة في بن بعد « بردة » .

الذين أصبحوا كفرة فما أمسوا إلا وهم بررة . و بها ولد موسى و هارون^١
عليهما السلام . وفيها النخلة التي أرضعت مريم تحتها عيسى بأشمون .
و كان السبب في سفر مريم بعيسى إلى مصر أنه لما بلغ ملك^٢ بنى إسرائيل^٣
الجبار وضع عيسى عليه السلام همّ بقتله و بقتل^٤ مريم ، و ذلك أنه
دعى بنى إسرائيل فقال لهم : من هذه المرأة فيكم في بطنها ولد يكلمها ؟
ثم لما وضعت تكلم بكلام^٥ لم يتكلم به مرضع قبله ؟ قال تخافوا على مريم
منه فقالوا : أيها الملك إنها امرأة مجنونة و الذي في بطنها حتى ؟ فلذلك
يتكلم . تخاف زكريا و أرسلها من بيت المقدس إلى مصر مع يوسف
النجار ، و كان من ذوى محارمها ، فبينما هم في الطريق اذا^٦ هم بأسد عظيم
تخافوا منه فقال عيسى : قريوني إلى^٧ الأسد و لا تقربوا أنتم . فقرب^٨
إلى الأسد فقال له عيسى : أيها الوحش ما وقوفك على قارعة الطريق ؟
فقال الأسد : لئور يمر لا بد لي منه . فقال عيسى : [٢١٠ : انف] أيها

(١) في بن : و هرون .

(٢-٣) في بن : ساسان ، و بين السطور تصحيح جزئي إلى « بنى » و بقيت
« سان » كما هي .

(٣) في بن : و قتل .

(٤) الكلبة ساقطة من بن .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) في بن : فاذا .

(٧) في بن : من .

الأسد إن الثور لقوم مساكين ، ولكن انطلق إلى بيرة كذا فسترى
 جملا ميتا فكله . فضى الأسد نحو الميتة فأكلها . فساروا حتى بلغوا
 بلاد مصر وأقاموا هناك . ويقال إن عيسى عليه السلام لما اشتد
 نزل مع الصبيان يوما ، فوثب غلام منهم على آخر قتلته ، فجاء أهله
 ٥ تعلقوا بالصبيان وفيهم عيسى فرفعوا ٢ للقاضي فقال لهم القاضي : من
 قتل هذا الغلام ؟ فقالوا : عيسى . فقال لعيسى : لم قتلته ؟ فقال عيسى : أراك
 حاكما جهولا ، كان يجب أن تقول : أقتلت أم لا ؟ ثم دنى ٣ إلى الغلام
 وهو رميم ، فاستوى الغلام جالسا وقال له : من قتلك ؟ قال : فلان .
 فنزل عيسى عليه السلام ، ولم يزل هو وأمه مقيمين بمصر حتى هلك ملك
 ١٠ بنى إسرائيل . فبعث زكريا إلى مريم يأمرها بالرجوع إلى بيت المقدس
 فرجعت ٦ .

و بمصر مسجد أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوصت
 أن يبنى بها مسجدا فبنى . و بمصر من الآثار الحكيمة والبرابي
 والأهرام ، وليس على وجه الأرض بناء باليد حجرا ٦ على حجر أطول
 ١٥ منه ٧ ، وجاء في الأخبار أنها قبرا هرمس وأغاثيمون ، والصابئة

(١) في بن : فأقاموا .

(٢) في بن [١٠٥ : الف] : فرفعوه .

(٣) في بن : دنا .

(٤) في بن : فقال .

(٥) في بر : مقيما . وفي بن : مقيمان .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : منها .

تحتها من حران^١ ، و بأرض مصر منارة الإسكندرية والعمود الضخم القائم^٢ على قاعدته ظاهر الإسكندرية . و بها حائط العجوز من العريش إلى أسوان ، وهذه العجوز ملكت مصر بعد غرق فرعون وجنوده ، وهى التى صنعت البرابي^٣ وأحكمت آلات السحر ، ولها أخبار يطول ذكرها ، من أرادها^٤ فليطالع كتاب أخبار الزمان^٥ ، وبمصر يجمع البحرين^٥ وهو البرزخ الذى ذكره الله عز وجل فقال : ” مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغي^٦ “ . وقال عز وجل : ” وجعل بين البحرين حاجزا^٧ “ . وهما بحر الروم والقلزم إلى الصين ، والحاجز بينهما مسيرة ما بين القلزم والفرما ، وليس يتقاربان فى بلد من البلدان أقرب منها^٨ بهذا الموضع ، وبينهما فى السفر مسافة^٩ شهور . وليس^{١٠} فى الدنيا^{١٠} بلد يأكل أهلها^{١١} صيد البحر طريا غير أهل لـديار مصر . وبها الثياب

(١) فى بن : قائم . والمقصود عمود السوارى (Pompey's Pillar) .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) فى بن : من اراد الوقوف عليها .

(٤) قرآن كريم ٥٥ : ١٩ - ٢٠ .

(٥) قرآن كريم ٢٧ : ٦١ .

(٦) فى بن : منها .

(٧) فى بن : مسيرة .

(٨-٨) فى بن : بالدنيا .

(٩) فى بن : أهله .

الصوف و الأكسية المرعز العسلي و ليس هي بالدنيا إلا بأرض مصر .
و ذكر بعض أهل مصر أن معاوية أمير المؤمنين لما كبر كان لا يدفاً ،
فأجمعوا على ' أنه لا يدقته إلا أكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز
[٢١١ : الف] العسلي الغير مصبوغ ، فعمل له منه ' أكسية فما احتاج
ه منها إلا ' إلى واحدة .

و اعلم أن الصوف المرعزى صنف و فراء ٣ الخرفان صنف واحد .
و لا يضم في التسمية فراء ٣ معمولة إلى فراء ٣ غير معمولة لبعدها اختلافهما .
' و من الملابس أيضاً فراء ٣ السمور . الفلك و السنجاب و فراء ٣ الثعالب
و فراء ٣ الارانب ... و القطن و الكتان صنف . و الحرير و الخز صنف ،
١٠ و قد تقدم ذكر ' صفة الخز و الابرسم و الديباج و السقلاطون و العتابي
و الديبق و أسماء الحرير الشعر فأغنى عن أعادته - انتهى .

[عن الإبل]

نعود ، و العرب و البخاري * جنس لصدق اسم الإبل عليها ، وكذلك
الجواميس نوع من القر ، و الضأن مع المعز داخله ' تحت اسم الغنم .

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : منها .

(٣) في بن : و فرى .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن و بآخرها كلمتان مطموستان
جزئياً و يصعب تحقيقهما فتركنا آخر العبارة بإضمار .

(٥) في بن : و البخت .

(٦) في بن : داخلا .

والجوار لا يتصل سنه بسن^١ ابن المخاض بل بينهما سن الفصيل لأن ولد الناقة يسمى حوارا إلى أن يفصل ، فإذا فصل سمي فصيلا ، وابن المخاض بعده والدليل على بعديته قول الفرزدق الشاعر :

وجدنا نهشلا فضلت قفيا كفضل ابن المخاض على الفصيل
والقلائص جمع قلوص ، والقلائص من الإبل لا تكون إلا أنثى ،
واستشهد على تأنيثها بقول الشاعر :

لا تشربي لبن القلوص وعندنا ماء الزجاجة واكف المعصار
ولا يقال للذكر : قلوص ، و تبيين هذا^٢ أن يقال^٣ إن الجمل بمنزلة الرجل ،
والناقة بمنزلة المرأة ، والبعير بمنزلة الإنسان يقع على الذكر والأنثى ،
وفي كلامهم : صرعتني بعيري ، وحلبت بعيرا لي . قال ابو عمرو بن العلاء :
سمعت أعرابيا يمانية يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت :
تقول جاءته كتابي والكتاب مذكر وليس بمؤنث ! فقال : أليس
بصحيفة ؟ قلت : ما اللغوب ؟ قال : الاحق ، واللغوب أيضا التعب^٤ ،
قال :^٥ 'أتانا ساغبا - لاغبا أي جائعا تعباً' ، قال الله تعالى ' وما مسنا من
لغوب^٥ ' - انتهى .

١٥

(١) في بن : لسن .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) زيد في بن : والمشقة .

(٤-٤) زيدت العبارة في بن فأوردناها بالنص وهي ساقطة من بر .

(٥) قرآن كريم ٥٠ : ٣٨ .

١ 'والحق قلة التنبه لطريق الحق ، و الجنون هو عارض يعم العقل ،
وقد عظم الحق ما لا يعظم الجنون . و قيل الوقاحة و هو أن يرتكب
الناطق و يراه صورة الحق و يدب عنه فيورثه قساوة القلب كما قال الله
تعالى : " ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة " .
ه و قيل : الرقيق الذى يلصق بقلبه كل محال ، و الأرعن الذى يأتى بما
يخرج عن الصواب - انتهى ' .

نعود ، و اعلم أن البكر بمنزلة الفتاة ، و الجمع قلاص و قلص .
و قلص التعام فراخها ، و قلص الحبارى ولدها . و الكوماء الناقة العظيمة
السنام ، قال ٣ الفرزدق :

١٠ و كوم تنعم الأضياف عينا و تصيح في مداركها ثقالا

الكوم جمع كوماء ، و هى الناقة العظيمة السنام ، و المعنى أنه يصف نوقا
سمانا كثيرة اللبن ، فكأنه يقول : رب كوماء تنعم عين الأضياف بكثرة
لبنها ، و أنهم يرثون منها ، و تصيح ثقالا باحتفال ضروعها ، و عظم

(١-١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن [١٥٥ : ب] ، وفيه و وردت
كلمة « و الأحمق » بدلا من « و الحق » فصححناها لأن المصدر لازم لاستقامة
العبارة .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٧٤ .

(٣) هذا القسم من الكلام ساقطة من بر ، و وارد في بن [١٥٥ ب] ،
و يبدأ من « قال » و نهايته كلمة « بشيء » و بعدئذ يستأنف الكلام من بر .
خلفها

خلفها . و المبارك مَعَاظِنُ الإبل ، و هى بمنزلة المراح للغنم . قال بعضهم :
 قدمنا البحرين فلاحقنا أعرابي على ناقة له صغيرة قد أكل الجرب جنبها
 و معنا إبل لم ير الناس مثلها . ققلنا : يا أعرابي أتبيعنا ناقةك ببعض
 هذه الإبل ؟ قال : و الله لو أعطيتمونى بها جميع إبلكم ما بعتكم . قلنا :
 فلك بها مائة دينار . فأبى ١ ، و نحن فى كل ذلك نهزأ ٢ به . فقال : ه
 لو ملأتم جلودها ذهباً ما بعتها . قلنا : فأرنا من مسيرها شيئاً ! قال :
 نعم ؟ فسرنا فإذا نحن بحمير وحش ٣ قد عنت ٣ . فقال : أى ٢ الحمير
 منها تريدون آتيكم به ؟ ققلنا : نريد حمار كذا ؟ فلم يزل يرشقه حتى
 صرعه و لحقناه و قد ذبحه ، فلما رأينا ذلك ساومناه الناقة بجد ، قال :
 ليس عندى من نسلها إلا ابن لها و ابنة ما أبيعها بشئ . ١٠

و المهارى ٤ ابل من تتاج مهرة و نوق مهارى ٥ ، و ولد الناقة
 يقال له حوار إلى أن يعظم ، فإذا فطم ٦ فهو فصيل ، فإذا دخل فى
 السنة الثانية فهو ابن مخاض ، و الأنثى بنت مخاض ، وإذا دخل فى
 السنة الثالثة فهو ابن لبون . فإذا دخل فى السنة الرابعة فهو حق ،

(١) فى بن : فأبى .

(٢) فى الأصل : نهزو .

(٣-٣) العبارة و كلمة « أى » مكررة فى الأصل .

(٤) هنا يستأنف الكلام فى بر .

(٥) فى هامش بر : الحوار .

(٦) فى بن : أمطم .

[٢١١ : ب] فاذا دخل في الخامسة فهو جذع ، فاذا دخل في السادسة فهو ثنى ، فاذا دخل في السابعة فهو رباع ، فاذا دخل في الثامنة فهو سديس ، فاذا دخل في التاسعة فهو بازل ، فاذا دخل في العاشرة فهو مخلف ١ . و الآدم الإبل الخالصة للياض ، والعيس التى يخالط ٢
 ٥ يياضها شقرة ٣ ، والصهب التى يغلب عليها الشقرة . والحجرة ٤ الخالصة الحجرة ، و الرمك التى ٥ يخالط حررتها سواد ، و الورق التى يخالط ٦ يياضها سواد ٦ . و الحمر من الابل أظهرها جلدا ، و الورق أطيبها لحما . و قالت ابو عبس : ما صير معنا فى حرنا إلا بنات العم و من الإبل إلا ٧ الحمر ٨ و من الخيل إلا الكمت ٩ . و الكمت الشديد الحجرة ١٠ من الخيل ، و لا يقال للفرس كمت حتى يكون عرفه و ذنبه أسودين . و إن الله ١١ أكرم الإبل و شرفها إذ قال لها « كوني » فكانت . و أخرج

(١) عن بن ، و فى بر : مختلف .

(٢) عن بن ، و فى بر : يخالط

(٣) فى بن : شىء من الشقرة .

(٤) فى بن : و الحمر .

(٥) كذا فى بن ، و هى فى بر : الذى .

(٦-٦) فى بن : سوادها بياض .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) عن بن ، و فى بر : الأحمر .

(٩) فى بر : كمت . و بهامش بر : الكمت .

(١٠) زيد فى بن : تعالى .

ناقة صالح 'عليه السلام' من صخرة ضياء ٢ وخص بها العرب دون غيرهم . و كان يركبها ٣ الانبياء عليه السلام ٤ ، و جعلها مباركة ، تقنع بما تجده ، و تصدر على الحمل الثقيل ، و السير الطويل ، و تصبر على الماء ٥ أياما ٥ عدة . و قد ذكرها ربنا في كتابه العزيز فقال : "و البئدن جعلناها من شعائر الله لكم فيها خير" ٦ . و أول من غزا ٧ من غزواته ٨ صلى الله عليه و سلم ٩ غزاة بدر ، و كان معه مائة ناضح من الإبل ، و كان أصحابه يعتقبون الناضح في الطريق ، و كان معه فرسان يركب أحدهما المقداد ابن الأسود ، و يركب الآخر مصعب بن عمير ، فلقوا قريشا في عددها و عديدها فهزمهم الله تعالى ببركة رسول الله صلى الله عليه و سلم - انتهى .

٩ و لحم الإبل حار مسخن ملهب يزيد في السوداء كالحم البقر لأنه ١٠

(١-١) العبارة ساقطة من بن [١٥٦ : الف] .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) عن بن ، و في بر : الأولياء .

(٤) في بن : العطش .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر : أيام .

(٦) قرآن كريم ٢٢ : ٣٦ .

(٧) في بن : غزى .

(٨-٨) العبارة ساقطة من بن .

(٩) هذا القسم من هنا إلى « في قوى الجماع جدا » ساقط من بر بأجمعه ، و هو وارد في بن [١٥٦ : الف] ، و قد نسخناه من الأصل كما هو لأهميته في الطب العربي و لو أن فيه عبارات غامضة لكنها قليلة العدد . و قد أدخلنا في أوله لفظة « لحم » بدل « لحوم » لا نسجامها مع ما يتلوها من الأفعال .

يولد دما غليظا على المرة السوداء، لكن ليس كغلظ المرة السوداء
 التي يولدها لحم البقر، فاذا طبخ بالخل كسر الخل حرارته، ولطف
 لحمه، وإن طبخ بالمرى النقيع الذي تصنعه المغاربة لطفه المرى أكثر مما
 يلففه الخل وهدأه وأسرع باخراجه عن البدن، ولكنه مع ذلك
 ٥ أشد اللحوم. ولبن الإبل مسهل البطن مخرج للماء الأصفر من بطون
 المستسقين، وينفع من ورم الطحال لأنه ينقصه، لكنه يُغذى البدن
 غذاء كثيرا، وينفع الكبد الوجعة، وأنفع ما هو للشيخ لأن أجسادهم
 ضعيفة وأطاحتهم غليظة بما فيه من القوة البورقية، وينفع أيضا من
 البواسير، وقد يهيج شهوة الغذاء، ويقوى الجماع. وقد قال جالينوس:
 ١٠ ألبان الإبل جيدة للبدن الذي فيه أخلاط حارة يابسة لأنها تنقص
 الصفراء والسوداء المحترقتين، وينفع من الفساد المزاج، ولا شيء
 أنفع من ألبانها شفاء من الدرب، والدرب فساد المعدة. ودهن اللسان
 حار جدا إذا شرب أدرّ البول وفتت الحصا في المثانة وقع من نهش
 الهوام ومن عسر النفس، وإذا اكتحل نفع من الظلمة في البصر والماء
 ١٥ الأسود النازل في العين، إذا مسح به الظهر أبطل النافض، وإذا
 احتملت به المرأة أخرج الجنين والمشمة ونفع من خروج الرحم إذا
 احتمل مع الشمل المذاب. وإن دهن به الذهر^٢ والحالبان زاد في قوى

(١) في الأصل: التي. وتصحيحها لازم لاستقامة العبارة.

(٢) كذا في الأصل، ولعله يقصد «الذبر» الذي هو آلة الرجل، وقد تكون
 الكلمة «الظهر» وهي أقل احتمالا من الأخرى.

الجماع جدا .

فلنذكر الآن ما قيل في البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام ان شاء الله تعالى . البحيرة هي الناقة تلد خمس بطون فتشق أذننها و تسرح لا يحمل عليها و لا تركب . و السائبة إذا سافر الرجل أو مرض يقول : إن رجعت من سفرى أو أققت من مرضى هذا ، فتلك الناقة سائبة مثل البحيرة . و الوصيلة كانت في الجاهلية إذا ولدت الشاة في البطن العاشر ذكرا ، و إن كان أنثى لا يؤكل ، و إن ولدت توأمين ذكرا و أنثى في البطن السابع لا يؤكل الذكر ولا الأنثى لأن الذكر وصلته أخته نفسها و ألقت عليه حرمتها بأن لا يؤكل . و الحام هو محل الإبل يلد عشر مرات فيقولون : حمى ظهره ، فلا يحمل عليه ولا يركب ، فلما جاء الله بالإسلام ١٠ فعل هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب كفعلهم ، فقال الله تعالى :
 ” ما جعل من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام “ - الآية .

[شجرة البلسان]

فلنذكر الآن شجرة البلسان ، ٣ أما شجرة ٣ البلسان فنبته بأرض مصر خاصة ، و المستعمل منها حبها و عيدانها و دهنها ، و أقوى ما في ١٥ البلسان دهنه و بعد دهنه حبه و بعد حبه عيدانه . و من مصر يصل ذلك

(١-١) هذا القسم بأجمعه ساقط من بن .

(٢) قرآن كريم ١٠٣ : ٥ .

(٣-٣) في بن : وشجرة .

(٤) في بن : منبتها .

إلى جميع البلدان . وقد ذكر دياسقوريدوس الفيلسوف بعد طلوع نجم
الكلب بأن يشرط بالمشارط من حديد^١ ، و الذي بسيل منه شيء^٢ يسير
و الذي يجتمع منه في كل سنة ما بين الخمسين إلى الستين رطلا ، وياع
في مكانه وزن الفضة^٣ ، وله منافع كثيرة ، وقد كان يعض الكنائس
صنم من الرخام يبكي فتخشع^٤ النصارى لبكائه^٥ ، وقد كان بعض المسلمين
اطلع على ذلك فقال : هذه حيلة ، فصر إلى حين [٢١٢ : الف] إن
المطر ، فوضع ثيابه في جراب و أتى إلى الكنيسة عريانا وقت السحر ،
فوقف على بابها ، فلبس ثيابه و غيَّب الجراب تحتها^٦ و دق بابها
و اعتمد على عكازه منحنيًا ، فخرج القسيس فوجده كأنه قدم من سفر
١٠ و أثوابه لم تبطل بالمطر ، فسأله عن حاله فقال : قدمت من سفر
و أريد أن أقيم عندك قليلا^٧ أستريح و أرتحل . فقال القسيس : أرى
ثيابك غير مبلولة^٨ و المطر كأفواه القرب^٩ . فقال : إن من عادتي
أنى لم تبطل لي ثياب^{١٠} من المطر . فقال : ادخل . فلما دخل قال :

(١) في بن : الحديد .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الدرهم النقرة .

(٤-٤) في بن : لبكائه النصارى .

(٥) في بن : سمته .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٨) كذا في بن ، و هي في بر : ثيابا .

علمني ذلك . فقال له المسلم : إن علمتي بكاه الصنم علمتك منع المطر
للثياب ١ لتصير لك حيلة أخرى ٢ نأكل بها أموال النصارى كما تأكلها
ييكاه الصنم ا فقال : نعم ، و معنى به إلى موضع الصنم فرفع رخامة ،
و إذا ٣ تحتها قرية ماء صغيرة متصل ٤ مأواها إلى عيني الصنم ٥ بخيط مدهون
بدهن البلسان ، فإذا اجتمعت النصارى وانقضت صلاتهم استقبلهم بالوعظ ٥
وغمز الرخامة برحله فيجرى الماء في الخيط ٦ من باطنه ٧ إلى عيني الصنم
فتجرى منها الدموع فتضج النصارى ويتباكون عند رؤيتهم الدموع السائلة
على خدي الصنم ، و يبتهلون ٨ بالادعية ، و يمدون ٩ القسيس عند ذلك
بالدراهم وغيرها ١٠ و يقولون : إن الحجر ١١ خشع من وعظه حتى سالت
دموعه و ذلك لصلاحه ١٢ و بركته . فلما فهم المسلم منه تلك الحيلة التي ١٠

(١) في بن : ثيابك .

(٢) في بن : ثانية .

(٣) في بن : فإذا .

(٤) في الأصلين : متصلة .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٧) العبارة ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٧) في بن [١٥٢ : ب) : فيبتهلون .

(٨) كذا في بن ، و هي في بر : فيمدوا .

(٩-٩) في بن : يدفعهم - أو - يرقهم . و الكلمة غير واضحة .

(١٠) في بن : الصنم .

(١١) في الأصل : صلاحيته .

تحيل بها على أخذ أموال النصارى، قال القسيس له ١: وإذا قد تعلمت حيلتي فعلني أنت حيلتك ١. فأخرج ٢ له الجراب من تحته وقال: إذا أردت أن تسلم ثيابك من المطر فضعها ٣ في جراب و امش عريانا . فقال ٤: تمت حيلتك ٥ على حتى ظهرت ٦ على حيلتي الخفية ٧، ٨ وليست حيلتك كحيلتي ٩ فاكتمها على ١٠ ولا تظهرها للنصارى . فقال: ١١ إن أردت كتمانى ١٢ فأعطى ١٣ مما جمعته ١٤ منهم بحيلتك هذه ١٥. فأكرمه القسيس وأحسن إليه خوفا من إظهار ١٦ المسلم ١٧ لهم حيلته ١٨، فتركه المسلم على ما هو عليه ومضى إلى حال سبيله .

(١-١) في بن: فعلني أنت إذا حيلتك اد قد تعلمت حيلتي .

(٢) زيد في بن: المسلم .

(٣) في بن: فاجعلها .

(٤) زيد في بن: القسيس يا مسلم .

(٥) زيد في بن: الباردة .

(٦) في بن: اظهرتك .

(٧) عن بن، والكلمة ساقطة من بر .

(٨-٨) ساقطة من بن .

(٩-٩) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(١٠) عن بن، و في بر: أعطى .

(١١) في بن: جمعت .

(١٢) الكلمة ساقطة من بر، و واردة في بن .

(١٣) في بن: هناك .

وكذلك

وكذلك كان يفعل مثل ذلك في كنيسة اقامة التي يحجها^٢
 النصارى بالقدس الشريف في يوم السبت الذي تسميه النصارى سبت^٣
 النور . يعمل القسيس خيط إبريسم من خلف حائط الكنيسة مدهونا
 بدهن البلسان متصلا طرفه بالقنديل المعمر^٤ بالزيت ، فيطلق فيه^٥ القسيس
 النار من وراء الحائط فتسرى [٢١٢ : ب] النار فيه إلى أن تصل^٥
 بالفتيلة فيشتعل القنديل ، و النصارى مجتمعون^٦ في وقت السحر بها
 منتظرون^٧ النور ينزل في القنديل من السماء بزعمهم ، فاذا اشتعل
 القنديل من ذلك الخيط الرقيق الذي هو كالشجرة من رفته صرخوا
 صرخة عظيمة^٨ يزعمون بقلّة عقلهم^٩ أن النور نزل من السماء في
 القنديل . فظهر^{١٠} المسلمون على حيلة القسيس فُضرب وأُهين وأُخذت^{١٠}
 منه الأموال التي^{١٢} جمعها بحيلته تلك وحملت إلى السلطان - انتهى^٤ .

(١) في بن : القيامة .

(٢) عن بن ٤٠ ، و في بر : تزورها .

(٣) في بن : بست .

(٤) الكلمة ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) في بن : يتصل .

(٦) في الأصلين : مجتمعين .

(٧) في بر : منتظرين . و في بن : ينتظرون .

(٨) في بن : واحدة .

(٩) في بن : عقولهم .

(١٠) في الأصلين : فظهرت .

(١١) في الأصلين : وأخذ .

(١٢) كذا في بن ، و هي في بر : الذي .

[من عجائب مصر العرس]

نعود إلى ذكر عجائب مصر . و من أعاجيب مصر العرس وهي من أعاجيب الدنيا ، وذلك أنها دويّة متحركة ، و إذا رأت الثعابين دنت منها ، فينطوي الثعبان عليها ، ويريد أن يقطعها و يأكلها ، فتتحنى ٥ و تزهر زفرة يتقطع الثعبان قطعاً . و الثعابين بمصر أكثر منها في بلاد الدنيا ، و لولا العرس لآكلت الثعابين سكان مصر و أهل أعمالها . وهي هناك أسع لأهلها من القفاد لأهل ' سجستان ، لأن سجستان بلد كثير القفاد و الآفاعي ، و في شرطهم أن لا يصاد منها ٢ قنفذ ولا يقتل لأن الثعبان يحسه ناعم ٥ و القنفذ مشوك ٥ ، فإذا رأى الثعبان ٦ سعى له ١٠ و جرحه بشوكه ، فينتن جرحه ، فيموت الثعبان من أذى النمل له بأكل جرحه ٦ .

[سجستان بعراق العجم]

و سجستان مدينة بعراق العجم ، و كان أميرها فيما مضى يقال له

(١) في بن : أعاجيت .

(٢) في بر : بأهل ، و صحتها في بن .

(٣) في بن : فيها .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : ناعما .

(٥-٥) في بن : و القفاد ذوات شوك . و في بر : مشوكا .

(٦-٦) في بن : القنفذ سعى له فإذا لمسه حرحه القنفذ بشوكه القائم بجسده فينتن

الجرح فيشحه النمل فيسعى إليه يأكل حرحه فيموت الثعبان من أذى النمل له .

طلحة الطلحات ، وكان شجاعا سخيا له عطايا و مكارم ، فلما مات رثى
بمرثية منها :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات - انتهى .
[بن ١٥٦ : ب] اقال الاصمعي : المعروف بالكرم طلحة بن عبد الله التيمي ،
وهو طلحة الخير ، وطلحة بن عمرو ، وهو طلحة الجود ، وطلحة بن ه
عبد الله بن خلف ، وهو طلحة الطلحات ، وسمى بذلك لأنه كان أجودهم .
دخل كثير عزّة عليه عابدا ، فقعد عند رأسه ، فلم يكلمه لشدة ما به من
الضعف ، فأخذ كثير في الثناء عليه ، ففتح طلحة عينه فقال : ويحك
يا كثير ما تقول؟ فقال [بن ١٥٧ : الف] كثير :

يا بن^٢ الذوائب من خزاعة والذي لس المكارم وارتدى سجاد ١٠
حلت بساختك الوفود من الوري فكأما كانوا على ميماد
لنعود سيّدنا وسيّد غيرنا ليت التشعّكي كان بالعواد
فاستوى جالسا وأمر له بمائة ألف درهم وقال : هي لك إن عشت في
كل سنة . وكانت وفاة طلحة الطلحات بسجستان فرثاه بعض الشعراء
بمرثية منها البيت المتقدم ذكره وهو :

١٥

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

[أول من ابتدع المساحة]

[٢١٢ : ب] فلنرجع^٣ إلى ذكر من ابتدع المساحة . قبل إن أول

(١) هذا القسم إلى « فلنرجع إلى ذكر من ابتدع المساحة » ساقط من برو و وارد

ي بن . (٢) في الأصل : يا ابن .

(٣) هنا يستأنف الكلام في كلا الأصلين . وفي هامش برو : أول من
ابتدع المساحة .

من ابتدع المساحة أهل مصر ، و ذلك بمكان زيادة النيل و نقصانه ،
 فيعملون^١ المساحة بحدود التجوف^٢ من الفرق^٣ لإفاضة الماء^٤ على أرضهم
 و تصويبه عليها ، فحدوا الحدود و تحرزوا من الفرق و سيأتي ذكر
 المساحة^٥ ، و ما^٦ قيل فيها عند تعدد^٧ العلوم إن شاء الله تعالى .

[من عيوب مصر]

و ذكر بعض الأطباء إن أجل عيوب^١ مصر اختلاف الهواء في كل
 وقت و حين يوجد بها الحر ثم البرد في يوم واحد .

[عن الأهوية]

^٨ فلنذكر الآن الأهوية و ما قيل فيها . أما الأهوية فأصلها الهواء
 ١٠ البارد لأنه يصلح لحفظ الصحة و يقوى الأبدان و الشهوات ، و يسخن
 الأجفان ، و يحوّذ الهضم ، و لاسيما لأصحاب الأمزجة الحارة . و أما
 الهواء الحار فلا يصلح لحفظ الصحة على أكثر الأمر للأبدان الحارة ،
 لأنه يسخن الأبدان ، و يصفر الألوان ، و يهيج العطش . و يرخي

(١) في بر : يعلموا . و صحتها في س كما أوردناه بالنص .

(٢) في بر : التجوف . و هي كما أوردنا بالنص عن بن .

(٣-٢) في بن : و الإفاضة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : ما .

(٦) عن بن ، و في بر : تعدد .

(٧) في بن : عيون .

(٨) هذا الجزء ساقط من بر ، و وارد في بن لغاية « في المنفعة و المضرة » .

الحواس ، ويحمي القلوب ، ويعفن الدماء ، إلا الأبدان الباردة التي تحتاج إلى تسخين ، وللزكومين والمفلوجين والمشحنين من الرطوبة .
و أما الهواء الرطب فقائده كثيرة ، وذلك يحفظ الرطوبات عل الأبدان ويصلح أحوال النحفاء ، ويلين الجواد واللحوم ، ويكسها لدونة ونقاء ،
و الهواء البابس على ضد ذلك . وكذا أصلح الرياح الاربع الشمالية ه
أعنى الحوفية ، لأنها تشد الأبدان ، وتذكي الحواس ، وتدفع العفونات
عن الهواء ويصح بها . وأما القبلية فهي على ضد ذلك ترخي الأبدان ،
وتكدر الحواس ، وتثير الدماء . والشرقية والغربية دون هاتين الريحين
في المنفعة والمضرة .

١٠ [وصف مصر مدينة فرعون]

- [٢١٢ : ب] ومصر مدينة فرعون اتخذ لها سبعين^١ بابا ، وجعل
حيطانها بالحديد والصفير ، وفيها كانت الأنهار تجري من تحتها وهي
أربعة أنهار . قيل إن هارون الرشيد قرأ في المصحف ذات يوم فمر
بقوله تعالى حكاية عن فرعون "أليس لي^٢ ملك مصر وهذه الأنهار
تجري من تحتي" فقال الرشيد : [٢١٣ : الف] افتخر الكافر بملك ١٥
مصر ، فوالله لا أوليها إلا لعبد نكايه له . فولى عليها عبدا يقال له خصيبا^٣
احتقارا لفرعون ، وقال : فان كان لا بد من الافتخار فأهل الإسكندرية
(١) هنا يستأنف الكلام في كل من بر وبن .
(٢) في بر : سبعون . و صحته في بن كما أوردناه بالنص .
(٣) الكلمة ساقطة من الآية في بن . (٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٢ .
(٥) في بن : الحصيب . (٦) في بن : ولا .

أحق منه بالافتخار لأن الانهار تجري من تحتهم تخترق أسرابها من خليجها ، وهم لا يعدّون ذلك افتخار أعلى أحد يل يحمّدون الله تعالى على ما أنعم عليهم بها ليعلاوا ١ منها صهاريج دورهم ، فتبّا لفرعون افتخر بالماء والماء غرق ، ملعنة الله على الكافرين .

[في موضوع اللعنة]

و ٢ سأذكر هنا ما قيل في اللعنة إن شاء الله تعالى . قيل اللعنة البعد ، ومعنى لعنة الله : أعدّه الله . وكان ٢ العرب إذا تمرد الشرير منهم طردوه وأعدوه عنهم لئلا يؤخذون ٣ بجرائره وسموه لعيا . و اللعان مشتق من اللعنة ومعناه البعد ، فلما كان لفظ اللعن مذكورا في حلف ١٠ الزوج عن ٥ التحالف الواقع بين الزوجين لعانا و ملاعنة غلب فيه ما يصدر من الرجل على ما يصدر من المرأة لأن حلف الزوج مساق على حلف الزوجة و سب له . ولما أنزل الله سبحانه : ” والذين يرمون المحصنات “ الآية ٥ كان هذا الحكم عاما في الزوجات و الاجنيات . ثم جعل للأزواج مخلصا من حد القذف باللعان لأن الزوج يلحقه العار ويهدد النسب بزناه وروحه ، فلا يمكنه الصبر عليه و توقيف أمره

(١) في الأصلين : ليملوا .

(٢) هذا القسم بكامله عن موضوع «اللعنة» ساقط من بن ، و يستأنف الكلام فيه ابتداء من «نعود إلى ذكر صفة دار فرعون» ، وبهامش بر : فرق بين اللعنة والغضب .

(٣) في الأصل : وكانت

(٤) في الأصل : يؤحدوا .

(٥) كذا في الأصل ، وربما كانت الكلمة « عند » و يستقيم بها السياق .

على البيّنة كالمعتذر بخلاف الأجنبي فإنه لا يلحقه عار بزنا غير زوجته ،
 ولا يفسد نسبه و الأولى به الستر . و في حديث ابن عباس أنه قال :
 لما نزلت الآية ” و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
 فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً “ قال سعد بن عبادة :
 أهكذا نزلت يا رسول الله ، لو رأيت لكاع و قد تفخذها رجل لم يكن
 لي أن أهيجه أو أن أخرجها حتى آتي بأربعة شهداء ؟ فوالله ما كنت
 لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 يا معشر ٢ ألا تسمعون ما يقول سيّدكم ؟ قالوا : لا تلبه فإنه رجل غيور
 ما تزوج ثيب قط إلا عذرا و لا طلق زوجته فاجترى أحد أن يتزجها .
 فقال سعد : يا رسول الله باني أنت و أمي و الله إني لأعرف أنها من الله ١٠
 و أنها لحق . فوالله ما لشوا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى
 بنيه و سمع [٢١٢ : ب] بأذنيه ، فأمسك حتى أصبح ثم غدا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء
 فرأيت رجلا مع أهلي ، رأيت بعيني و سمعت بأذني . فكره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما آتاه و ثقل عليه جدا حتى عرفت الكراهة في ١٥
 وجهه . فقال هلال : يا رسول الله إني رأيت الكراهة في وجهك ،
 و الله يعلم إني لصادق ، و إني لأرجو أن يجعل الله فرجا . فقال : ابتلينا
 بما قال سعد ! يحل هلال و تبطل شهادته في المسلمين . فهم رسول الله

(١) قرآن كريم ٢٤ : ٥٠ .

(٢) ربما كان الأصح : يا معشر الناس .

صلى الله عليه وسلم بضربه فانه ' اخذا لك ' يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي : " و الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم " الآيات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سعد إن الله قد جعل فرجا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلوا إليها . فلما اجتمعا فقال لها هـ فكذبت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يعلم أن أحدا لكاذب ، فهل فيكما تائب ؟ فقال هلال : لقد صدقت وما قلت إلا حقا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عنوا بينهما ! قيل لهلال إشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . فقيل له عد الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس ، وإنها لموجة التي توجب ١٠ عليك العقوبة . فقال هلال : والله ما يعذبني الله عليها كما لم يحلدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فشهد الخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم قيل لها : تشهدين . فشهدت بالله إنه لمن الكاذبين . ثم قيل لها عد الخامسة : اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الموجة التي توجب عليك العذاب . فتلکأت ساعة وقالت : ١٥ والله لا أفصح قومي . فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . فمرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، وقضى أن

(١-١) كذا في الأصل ولا تستقيم العبارة بها وربما كان الأصح أن يحمل محلها لفظة « كذلك » .

(٢) قرآن كريم ٢٤ : ٧ .

(٣) في الأصل : يوجب .

الولد لها و لا يدعى لأب و لا يرمى ولدها . و قد أشار بعض أهل المعاني أن الغضب أشد من اللعنة ، و لذلك كانت مقدمة في آية الجلد ، فعلى هذا إن بدلت المرأة الغضب باللعة لم يحزها و أعادت اليمين الخامسة على سنتها ، و لو بدل الرجل اللعة بالغضب أجواه ، و الأولى اتباع الآية - انتهى .

[صفة دار فرعون و الهرمين]

نعود إلى ذكر صفة دار فرعون و مجالسه و غرفه إن شاء الله تعالى . ذكر بعض [٢١٤ : الف] أهل العلم أنه رأى بمصر - و يقال لمصر أيضا منف^٢ - دار فرعون و مجالسه و مشاربه و غرفه ، و كل ذلك حجر واحد ، فان كانوا هذبوه و حسنوا صنعته حتى صار في الملوسة واحدا ٣ . لا يستبان فيه مجمع حجرين و لا ملتقى^٤ صخرتين فهذا عجب . و إن كان جبلا واحدا فقبوه الرجال و حذاق الصناعات بالتأقر حتى خرقت تلك المخارق فان هذا لا عجب .

و بمصر الهرمان^٥ و هي مبنية بالرخام و المرمر ، عرض كل حجر و طوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمانية أذرع ، كل حجر ملتصق إلى ١٥

(١) هما يستأنف الكلام في كلا الأصلين بر و كذلك بن .

(٢) ساقطة من بن و مكانها بياض بالأصل .

(٣) في الأصلين : واحد .

(٤) في الأصلين : ملتقا . و بهامش بر : مجالس فرعون .

(٥) في بن : الهرمين . و بهامش بر : الأهرام .

الآخر لا يستين التصاقه إلا لحادّ البصر ، سَمَك كل واحد منهما أربعمائة ذراع طول في أربعمائة ذراع عرض ، فكلما ارتفع رق ، مكتوب عليهما بالقلم المسند كل ١ سحر وكل شيء من الطب ٢ و كل طلسم مكتوب عليها ، إِنَّا بَنَيْنَاهَا فِي سِتِّ سِنِينَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَهْدَمْهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ، فَإِنْ الْهَدَمَ أَيْسَرُ

٥ من البناء ١ .

فذكر أن بعض ملوك بني العباس قصد هدمها ، فاذا خراج مصر جميعه لا يقوم بهدمها فتركها . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

و في واحات مصر حجارة من تناول منها حجرا فحركه فانما يحرك ١٠ مقلة في جوفها نواية .

تم الجزء الثالث

(١ - ١) كذا في الأصلين ، وربما كان الأصح صياغة العبارة من جديد على الوجه الآتي : في ست سنين فمن شاء فليهدمها في ستين سنة فإن الهدم أيسر من البناء . [فيها] كل سحر وكل شيء من الطب و كل طلسم .

(٢) في ر : الطيب . و صحتها في بن [١٥٧ : ب] كما اوردناه بالنص .

خاتمة الطبع

تم بمتة تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثالث من كتاب الإمام
 للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الاثنين التاسع من شهر
 رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ = ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م . و اعتنى بتصحيحه
 و التعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه -
 أبقاه الله للخدمة العلمية . و عني بتقيقه و مراجعة نسخته راقم هذه الخاتمة
 تحت إدارة الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد محامد على العباسي
 عم كرمه الداني و القاصي .

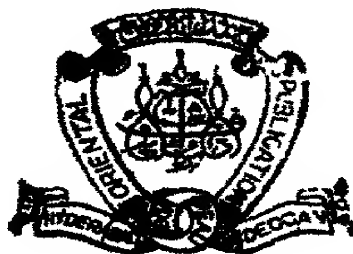
و في الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
 و يرضاه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي
 العظيم . و صلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا محمد و آله و صحبه
 و سلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عبد الغفار خان عفي عنه
 (الماجستير - الجامعة العثمانية)
 المصحح بدائرة المعارف العثمانية

593 66

* * * * *

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iii



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. III

Edited by

DR. AZIZ SURYAL ATIYĀ,
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed

Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of

Mahamed Ali Abbasi

Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7
INDIA

1970 A.D./1390 A. Da'iratu'

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iii



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muhammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. III

Edited by

DR. AZIZ SURYAL ATIYA
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed

Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7
INDIA
1970 A.D./1390 A.H.